

# التصوير البياني

عند شعراء الرسول ﷺ

دراسة بلاغية نقدية مقارنة

رسالة ماجستير

إعداد الباحث / طاهر عبد المنعم على أبو يوسف

إشراف

الأستاذ الدكتور / حسن أمين مخيمر

الأستاذ الدكتور / على محمد العطار



# إهداء

إلى من أسير بفضل الله ثم بفضل دعائهما .... إلى أبي وأمي .... أسأل الله أن يبارك فيهما .

إلى من تبعث فيّ الأمل كلما أحسست بالملل ، إلى أم أولادي ....  
أم حبيبة .

إلى صغاري .... حبيبة وعبد الله ، أسأل الله أن يحفظهما وأن يبارك فيهما ،  
وأن ينفع بهما الإسلام والمسلمين .

إلى أساتذتي .. الأستاذ الدكتور / رفعت السوداني ، والأستاذ الدكتور : أحمد  
سعد ناجي والأستاذ الدكتور / عبد الرازق عبد الحميد حويزي ، أسأل الله  
أن يبارك لهم وأن يرفع ذكركم جزاء تواضعهم .

إلى أصدقائي ومن أحبهم قلبي الأستاذ / عبد العزيز الديب ،  
والأستاذ : رجب حماد .



# شكر وتقدير

لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور / حسن أمين مخيمر ...

أسأل الله أن يبارك له وأن يهبه الصحة والعافية في الدنيا والآخرة ، وأن يرفع ذكره  
وقدره في الدنيا والآخرة .

لأستاذي الفاضل المرحوم الأستاذ الدكتور / عبد الرازق محمد فضل ..

أسأل الله أن يتغمده برحمته وأن يسكنه فسيح جناته .



مُقَدِّمَةٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا

مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

ذَلِكَ الْوَعْدُ

# سورة الرعد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، مُعَلِّمِ الناس الخير ، صاحب البيان العالِي ، خير من تحدث العربية ، تكفل الله بحفظه من المستهزئين حيث قال :

## ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (1)

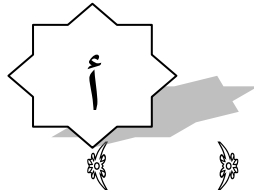
فقيض الله له في كل زمان ومكان من يدافع عنه ﷺ ، ففي حياته سخر الله نفراً من أصحابه يرذون عنه الأذى بسيوفهم ، و ألسنتهم ، وبعد قبضه سخر الله له في كل زمان ومكان من ينصره ويدافع عن شخصه الكريم ، ويرد عنه كل محاولة لإيذائه بالأقوال أو الأفعال ، حتى عندما يقصّر الناس في الدفاع عنه ، فإن ما أيده الله به من معجزات باقية على مرّ العصور والأزمان تشهد بأنه رسول الله ، فمن إعجاز في آية قرآنية إلى إعجاز في حديث نبوي شريف ، يشهد له المنصفون حتى من الأعداء تحقيقاً لوعده الله جلّ في علاه حيث يقول :

## ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى

## يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (2)

(1) سورة الحجر الآية (95)

(2) سورة فصلت الآية (53)



وإنَّه لمن دواعي سُروري أن تخرج هذه الدراسة والتي تعرض في جانب منها نماذج للدفاع عن نبي الرحمة , وهجاءً للسفهاء الذين عاندوه وآذوه - في هذه الأيام التي يقوم فيها السفهاء من مشركي هذا الزمان بمحاولات لإيذاء الرسول ﷺ والصدِّ عن دين الله , وموضوع هذه الدراسة :

## ﴿ التصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ ﴾

وعلم البيان من أشرف علوم العربية , إذ به يتوصل الأدباء , بل والعوام إلى توضيح معانيهم , والمبالغة في تأكيدها ومخاطبة وجدان المخاطبين , والتأثير فيه وتحريك عواطفهم وإمتاعهم , " فالبيان بحسبه أنه يعبر عما في نفسك تعبيراً مؤثراً سليماً بلغت به المراد " (1)

### وقد اخترت هذا الموضوع لأسباب منها :

#### 1- السبب الأول :

أنني رأيت الكثيرين\* تسرَّعوا في الحكم على الأدب الإسلامي , وخاصة الشعر في صدر الإسلام بأنه ضعيف , وبدأوا يسرِّدون أسباباً لضعفه , بعيداً عن الواقع دون أن يتعمقوا في دراسته , وهذا الأمر بعيدٌ كل البعد عن المنهج العلمي ؛ فالأدب عامةً والشعر خاصة " لا نحكمُ عليه بقواعد المنطق , وإنما نحكمُ عليه بأذواقنا ؛ فهي المعيار الذي نرجع إليه في تذوق جماله " (2)

\* منهم د/ محمد نجيب البهبيتي في تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري ص 113 وما بعدها ط دار الكتب المصري سنة 1950 .  
(1) أصول البيان العربي د / محمد الصغير ط دار الثقافة بغداد ص65 .  
(2) في النقد الأدبي د / شوقي ضيف ص 91 .

فلما رأوا تقلصًا في بعض الأغراض التي هذبها الإسلام ، والتي تتعارض مع الأخلاق الإسلامية ، والتي كانت من أوسع أبواب الشعر ، حكّموا عليه بأنه ضعيف ، مع أنه استخدت أغراضاً آخر بقدر ما حذف ، كما أنه من المعلوم أنّ العبرة ليست بكثرة الشعر ، وإنما العبرة ببلاغته ، "فما كان بليغاً كان جميلاً" (1) ، " كما أنه ليس للاقتصاد ، والكثرة دخل في جودة الشعر ، وإنما العبرة بحسن التصوير وصحّة التعبير " (2) .

إذن فالحكم على النص بأي عوامل منطقية بعيدة عنه كظروف العصر ، والانشغال بالحروب والفتوحات ليس صحيحاً ؛ فلكل نصّ " إشعاعات خاصة يحكم بمقتضاها المتلقي عليه " (3) . فليس هناك مجالٌ للأحكام العامة المجمّلة .

## 2- السبب الثاني :

أنني عندما قرأت بعض أشعار صدر الإسلام ، وبخاصّة شعراء الرسول ﷺ الثلاثة ، لاحظت أنّها ما زالت بحاجةٍ إلى مزيد من الدراسات ، فالروح الإسلامية والإلهام الإلهي يمنحها ظلالاً ، وإيجاءات غاية في الدقة والإحكام .

(1) الجمال بين الفلاسفة والبلغاء د / بسيوني عرفة رضوان ص6 ط الرسالة سنة 1981م.

(2) الصور البيانية بين النظرية والتطبيق د/ حفني شرف ص58 .

(3) الأسس الجمالية للنقد الأدبي د/ عز الدين إسماعيل ص111 ط دار الفكر العربي ط سنة 1947



وقد شجعني على خوض هذا الموضوع بالرغم من كثرة الدراسات حول الأدب الإسلامي , قول الأستاذ الدكتور / عبد الغني بركة في إحدى المناقشات : " ليس عيباً كثرة الدراسات حول الموضوع ولكن المهم هو إظهار الشخصية وعدم الاكتفاء بالنقل عن الآخرين " \* . وقول الأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى : " لقد ساد الاعتقاد بأننا حين نبين مراد القائل , نكون قد وصلنا إلى قراره , وأفرغناه من كل ما فيه .... وأنه حين نقول " قال بعضهم " إنما يريد فلاناً , إلى آخر ما تجدنا نهتّم به , ثم نعتقد أننا لم ندع من الأمر شيئاً إلا كشفناه , ولهذا شاع القول بأن التراث قد دُرسَ , وأن فلاناً من المحدثين كتب عن فلان من القدماء , وهذا كله قاصرٌ جداً " (1) .

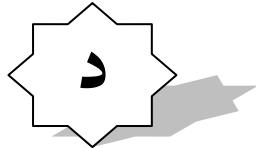
وبالفعل وجدت بفضل الله وعونه صورةً مختلفةً تماماً عما أُشيعَ عن الشعر الإسلامي , وجدت العمق والإيجاءات والظلال والمعاني الدقيقة التي صيغت ببراعة وإتقان , فقد كان شعراء الرسول ﷺ ملهمين قال ﷺ لحسان ﴿ اهْجُهم أو هاجهم وجبريل معك ﴾ (2)

وقد كنت أقف عند التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو الكناية لأول مرة أو لثاني أو لثالث مرة فلا أرى فيها إبداعاً , حتى تنكشف محاسنها وتتبرج عن جمال مبهر وتنشق أصدافها عن لآلئ مصونة أعان على الوصول إليها تدبُّر السياق قبلها وبعدها ودقّة النظم وحسن اختيار حروف المعاني ..... الخ

\* في مناقشة رسالة بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود بعنوان الشباب والشيب في شعر ابن الرومي .  
(1) القوس العذراء وقراءة التراث ص 51 د/ محمد أبو موسى ط دار غريب القاهرة سنة 1402هـ / 1983م .

(2) صحيح البخاري ، حديث رقم 2974 كتاب بدء الخلق .

(3) في البلاغة القرآنية - أسرار الفصل والوصل أ.د/ صباح دراز ص 55 ط الأمانة القاهرة سنة 1406هـ / 1986م .



فأخذت عهدا على نفسي أن أدقق النظر مرات ومرات عندما أقف على تشبيه بسيط لا أرى له جمالا أو استعارة بسيطة لا أرى لها لأول وهلة حسنا , فسرت واضعا نصب عيني قول ابن طباطبا / - رحمه الله - " فإذا اتفق لك في أشعار العرب التي يُحتج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول .... فابحث عنه , ونقب عن معناه , فإنك لا تعلم أن تجد تحته خبيئة إذا أثرها عرفت فضل القوم بها , وعلمت أنهم أدق طبعا من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته " (1)

وقد واجهتني في هذا البحث بعض الصعوبات منها :

أولا : قلة ما وصل إلينا من شعر عبد الله بن رواحة , الأمر الذي جعلني أقبل من النماذج التي قمت بتحليلها من ديوانه , كما أن ديوانه لم يكن متوفرا حتى وفقني الله وعثرت عليه في معرض الكتاب .

ثانيا : كثرة الدراسات حول الأدب الإسلامى وقد تغلبت على هذه الصعوبة بأن أرجأت الإطلاع على ما كُتب حتى أضع في البحث كل طاقتي وما وهبني الله من فكر حتى لا أتأثر بغيري وحتى لا أقف عندما وقف عنده الآخرون .

وقد سرت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي البلاغي مراعيًا ربط الصور بالنظم , وسرت في دراسة التصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ على الخطوات التالية :

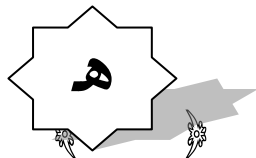
أولا : قسمت النماذج التي حللتها حسب الأغراض المعروفة ( المدح - الهجاء - الوصف - الرثاء )

ثانيا : قمت بتحليل المقطوعات التي اخترتها وتمثلت طريقة التحليل فيما يلي :

(1) راعيت في المقطوعات اكتمال الفكرة التي تناولتها المقطوعة .

---

(1) عيار الشعر ص25 ، دكتور / محمد زعلول سلام ط منشأة المعارف - الإسكندرية 1980



(2) ضبط كلمات المقطوعة . (3) نسبة الأبيات إلى بحرهما العروضي (4)  
شرح المعنى العام للمقطوعة بإيجاز . (5) تحليل الصور البيانية في الأبيات مع بيان ظلالها  
وإيجاءاتها وبلاغتها ودور النظم في إظهارها ومدى دقتها .  
وقد اشتملت خطة هذا البحث على مقدمة , وتمهيد , وسبعة فصول وخاتمة .  
أمّا المقدّمة فقد اشتملت على أهمية البحث وسبب اختيار الموضوع والمنهج الذى سرت  
عليه .

وأما التمهيد فقد ذكرت فيه أثر الإسلام في حياة العرب الاجتماعية والسياسية والدينية  
والثقافية بإيجاز , ثم موقف الإسلام من الشعر , وأثر الإسلام في الشعر , ثم قمت  
بالتعريف بشعراء الرسول ﷺ الثلاثة .

وتحدثت عن مفهوم الصورة , ثم توقفت مع تعريف علم البيان ومنزلة التشبيه منه .  
وأما الفصل الأول فهو بعنوان " التصوير البياني وبلاغته في شعر المدح " , ومهدت له  
بتمهيد تحدثت فيه عن المدح قبل الإسلام وبعده , وتهذيب النبي ﷺ لهذا الفن , وقلة  
مدح الشعراء للنبي ﷺ وسببه . وقد درست الصور البيانية في هذا الغرض من خلال  
الأغراض التالية :

أولا : تصوير نور النبي ﷺ .

1) تصوير نور النبي ﷺ الظاهر .

2) مدحه ﷺ بنور ظاهره وباطنه .

ثانيا : مدحه ﷺ بالهداية :

1) بعموم الهداية . 2) بالهداية والشجاعة .

ثالثا : مدح المؤمنين :



## 1)مدح المؤمنين بالقوة والكرم (2)مدح المؤمنين بالشجاعة.

وأما الفصل الثاني فهو بعنوان التصوير البياني وبلاغته في شعر الهجاء , وقد مهّدت له بتمهيد ذكرت فيه أثر الهجاء وقيّمته كسلاح من أهم أسلحة المسلمين في صدر الإسلام . وقد تناولت التصوير البياني في هذا الغرض من خلال الأغراض التالية

أولا : الهجاء بالسفاهة والجهل. ثانيا : الهجاء بالكفر والغدر .

ثالثا : الهجاء بالحقّد والغیظ . رابعا : الهجاء بضعة الأصل .

خامسا: الهجاء باللؤم.

وأما الفصل الثالث فعنوانه " التصوير البياني وبلاغته في شعر الوصف " , وقد مهّدت لهذا الفصل بتمهيد ذكرت فيه غلبة هذا الوصف وشيوعه في كل زمان , وتغير موضوعه في هذا العصر وكثرت , تعديل الإسلام لبعض موضوعاته .

وقد تناولت بلاغة التصوير البياني في هذا الغرض من خلال الأغراض التالية :

أولا : وصف أدوات القتال ( الخيل - السيوف - الدروع - الرماح )

ثانيا : وصف المعركة وقد اشتمل هذا الغرض على مجموعة من الأغراض :

1) وصف المعركة وفرار الأعداء . 2) وصف شدة القتال وتصوير الموت .

3) وصف الحرب وشجاعة الصحابة فيها . 4) وصف الحرب وتشبيهها بالناقة.

ثالثا : وصف الموت وبيان حقيقة الحياة .

رابعا : وصف الأرق

1) وصف الأرق بسبب الحزن وطول الليل 2) وصف الأرق بسبب الخوف

خامسا : وصف الجروح .

سادسا : وصف الكتيبة الإسلامية

سابعا : وصف جموع المشركين



## (1) تشبيههم بموج البحر (2) تشبيههم بجبل حراء

ثامنا : وصف هداية الرسالة الإسلامية ,

تاسعا : وصف قوة الهجاء وأثره .

وأما الفصل الرابع فهو بعنوان " التصوير البياني وبلاغته في شعر الفخر " وقد مهدت له بتمهيد تحدث فيه عن الفرق بين الفخر الجاهلي والإسلامي .

وقد تناولت بلاغة التصوير البياني في هذا الغرض من خلال الأغراض التالية :

أولا : الفخر بالمجد في الجاهلية والإسلام .

ثانيا : الفخر بالقوة والخبرة :

(1) الفخر بكرم الأصل والشجاعة والقوة .

(2) الفخر بالخبرة في الحرب .

ثالثا : الفخر بالشهادة .

رابعا : الفخر باتباع الإسلام .

وأما الفصل الخامس فهو بعنوان " التصوير البياني وبلاغته في شعر الرثاء وقد مهدت له بتمهيد ذكرت فيه قدم هذا الفن . واختلافه عن الرثاء في الجاهلية . "

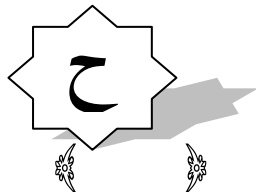
وقد تناولت بلاغة التصوير البياني في هذا الغرض من

خلال الأغراض التالية :

ثانيا : رثاء حمزة رضي الله عنه .

أولا : رثاء النبي صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : رثاء عثمان رضي الله عنه



أما الفصل السادس فهو بعنوان ( الخصائص الفنية للتصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ ) وتناولت فيه :

أولا : السمات الفنية للتشبيه من حيث : منزلته من البلاغة وسمات طرفيه من حيث الحسية والعقلية . والإفراد والتركيب والتعدد , ثم السمات الفنية لأدوات التشبيه وتوقفت عند الفعلين ( خال - حسب ) اللذين أرى أنهما من أدوات التشبيه وأنهما لا يأتیان بعد تمام التشبيه للدلالة على قربه أو بعده قربه وذكرت الأدلة على ذلك . ثم تعرضت للتشبيه من حيث الإرسال والتأكيد . ثم تعرضت للخصائص الفنية لوجه الشبه من حيث الإجمال والتفصيل , والقرب والبعد .

ثانيا : تناولت الخصائص الفنية للاستعارة من حيث بلاغة التصوير الاستعاري . السبب في كثرة الاستعارات التبعية , والسبب في كثرة الاستعارة المكنية في تصوير الحرب والموت .

ثالثا : تناولت الخصائص الفنية للمجاز المرسل من حيث أكثر العلاقات ورودا في شعرهم . قلة استخدامه إذا ما قورن بالتشبيه والاستعارة - بلاغته . بسبب قلته في شعرهم

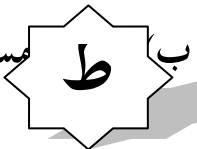
رابعا : تناولت الخصائص الفنية للكناية من حيث بلاغتها , درجاتها , كثرتها في شعرهم والسبب في ذلك .

وأما الفصل السابع فهو بعنوان " موازنات " وفي هذا الفصل قمت بالموازنة بين شعراء الرسول ﷺ وغيرهم من الشعراء في المعاني المشتركة بينهم .

وقد تناولت هذه الموازنات من خلال الأغراض التالية :

أولا : تصوير الأرق والليل      ثانيا : تصوير الدروع

(أ) تصوير شكلها وهيئتها      ب) مسامير الدروع



- ثالثا : تصوير الحرب .  
رابعاً : الصبر على نتائج الحروب .  
خامساً : تصوير سيلان الدماء  
سادساً : تصوير الشجاع وتشبيهه بالأسد .  
سابعاً : تصوير السيوف :  
أ) تشبيه لوهاوبريقها بلون الملح .  
ب) تصوير الضرب بالسيوف  
ج) تصوير لمعان السيوف والرماح .  
وأما الخاتمة : فقد تضمنت أهم نتائج البحث ، ثم بعض التوصيات .  
وأخيراً فهارس البحث .

## وبعد

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأبرأ إليه من الحول والقوة ، فما كان من توفيق فمنه وحده ، وما كان من خطأ فمني ، كما أتقدمُ بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الجليل :

### الأستاذ الدكتور / حسن أمين مخيمر

لما له من أثر وجهد كبير في إخراج هذا العمل بهذه الصورة ، ولا أنسى أن أذكر فضل أستاذي المرحوم الأستاذ الدكتور / عبد الرازق محمد فضل ، والذي شرفت بإشرافه وتوجيهه في جانب كبير من هذه الدراسة أسأل الله أن يتغمده برحمته وأن يجزيه عنا خير الجزاء .

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ البقرة الآية (127)

## الباحث

طاهر عبد المنعم علي أبو يوسف



مَهَيَّبٌ



## أثر الإسلام في حياة العرب وأحوالهم

أولاً : الحياة الاجتماعية والسياسية :

كان قوام الحياة السياسية والاجتماعية قبل الإسلام القوة والإغارة والهجوم على الغير قبل أن يبادر هو بالهجوم ، وملخص هذا الأمر قول شاعرهم :

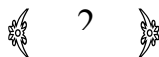
وَمَنْ لَا يَدُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ ♦ يَهْدَمُ ، وَمَنْ لَا يُظَلِّمُ النَّاسَ يَظْلَمُ (1)

وهكذا فإن الناظر في تاريخ العرب قبل الإسلام يجد أن منطق القوة كان سائدا بسبب غياب الدين المؤثر في النفوس ، الموجّه والمطهر لها ، مما تسبب في الفوضى والهمجية في العلاقات القبلية ، وزيادة الروح العصبية والحمية الجاهلية ، فلما جاء الإسلام " جمع قبائل العرب تحت لوائه ، وألّف بين قلوبهم ، وقضى على العصبية الجاهلية ؛ فزالت الحزّازات القديمة ، والثّارات التي بين القبائل ، فخضعوا لحكم النبي ﷺ وأوامر القرآن الكريم .... وكان حماس العربي للإسلام وولائؤه له لا يقلُّ عن حماسه لوثنيته واستبساله في الدّود عنها " (2) .

وللسبب نفسه - غياب الدين القويم - انتشرت عادات جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان " كوأدِ البنات ، وامتهان المرأة في دمها وحياتها ونفسها " (3) وكانوا ينظرون إليها نظرة احتقار " فهذه كانت نظرهم إلى المرأة ، حتى جاء الإسلام يُشَنِّع بهذه العادات ، ويقبحها ، وينهي عن الوأد ويُعَلِّظ فعلته " (4) .

(1) شرح المعلقات السبع / الزوزني ص 158 ط مكتبة المعارف بيروت 1982 والبيت لزهير بن أبي سلمى . (2) تاريخ الإسلام السياسي للدكتور / حسن إبراهيم حسن ص 150 ط 1948 . (3) الحياة الأدبية في العصر الإسلامي .. للدكتور / النبوي شعلان ص 16 ، 22 مطبعة المدني مصر 1401 هـ / 1981 م .

(4) في ظلال القرآن للأستاذ / سيد قطب ج 6 ص 384 طبعة دار الشروق ط 25 ، 1417 هـ / 1996 م



## ثانيا : الحياة الدينية :

كان العرب قبل الإسلام ضلّالاً في عقيدتهم ؛ حيث تعددت أحوارهم التي يعبدونها من دون الله ، وقد ذكر القرآن الكريم بعضاً منها ، قال الله تعالى :

(1)

﴿ ١٨ ﴾ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿ ١٩ ﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَیٰ

وقد ترتب على فساد عقيدتهم بعض العادات الجاهلية ، والتي توارثوها عبر الأجيال ، ومنها الاعتمادُ في بعض الأمور على الكهنة على أساس أن الكثير منهم يتنبأ بما سيحدث في المستقبل ، معتمدين في ذلك على شياطينهم الذين يسترقون السمع قبل بعثة النبي ﷺ . " فعند بعثته انقطعت الكهانة ، فلم يُسمع في الإسلام بكاهن ، وهذا من معجزات نبوة سيدنا محمد ﷺ " (2) .

فلما جاء الإسلام " سرى هديّه فيهم مسرى الروح ، ونزل وحيه منهم منزلة الطبع ، وأثر في ألسنتهم وأفئدتهم ما لم يؤثره كتاب سماويّ آخر في أهله " (3) .

## ثالثا : الحياة الثقافية

نبغ العرب في اللغة العربية ؛ فكانوا أرباب الفصاحة والبيان " وكان القرشيون خاصةً على قسطٍ من المعرفة والرقي الفكري ، وفيهم ذوقٌ ، ولهم ملكاتٌ ناضجةٌ في النقد اللغوي " (4) .  
ولذلك أقيمت الأسواق للتجارة والبيع والشراء " وكانت مع ذلك مجمعاً أدبياً كبيراً ؛ حيث كان يجتمع فيها الشعراء والخطباء فينشدون ويخطبون ..... ومن أهم هذه الأسواق ، عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز " (5) .

(1) سورة النجم الآيتان (18،19)

(2) نهاية الأرب في فنون الأدب / شهاب الدين النويري 3 / 124 طبعة دار الكتب المصرية 1924 م  
(3) تاريخ الأدب العربي للأستاذ / أحمد حسن الزيات ص 60 طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر 1935 م

(4) دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي د محمد عبد المنعم خفاجي ص 26، 27 طبعة دار الجيل بيروت 1412 هـ / 1992 م  
(5) المرجع السابق ص-27

" ولقد بلغ العرب في ذلك الحين مبلغهم من تهذيب اللغة ، ومن كمال الفطرة ،  
ومن دقة الحسّ البياني ، حتى أوشكوا أن يصيروا في هذا المعنى قبيلًا واحدًا ، باجتماعهم  
على بلاغةِ الكلمةِ وفصاحة المنطق " (1) ؛ فجاء القرآن بالبلاغة العليا والمعجزة  
البيانية الكبرى من جنس ما نبغوا فيه ؛ فخشعت الأصوات ، وذلت الرقاب ، ولم  
يملكوا إلا أن يعترف منصفهم أنّه من عند رب العالمين ؛ وذلك لأنّ " العالم في فنّه  
هو أكثر الناس استعدادًا للتسليم بالحقيقة فيه ، حين تنكشف له ؛ لأنّه أقرب إدراكًا  
لهذه الحقيقة ممن لا يعرفون في هذا الفنّ إلا القشور " (2).

---

(1) تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي 2 / 168 ط أولى ، مطبعة الاستقامة القاهرة 1940 م

(2) في ظلال القرآن ج 3 ص 1350

## موقف الإسلام من الشعر :

طلَع نور الإسلام على الدنيا مبدِّداً الظلمات ؛ فاستنارَ به كلُّ شئٍ ؛ فمحا ما يتنافى مع ما جاء به ، وهذَّبَ أشياءَ وقومها ، بحيث تنفق مع ما جاء به من العقيدة السمحة ، ومكارم الأخلاق ، ومن الأشياء التي هذَّبَ الإسلام أسسها ، وقومِ سِنادها، ومنتها - ما دامت مُتَّفِقة مع العقيدة الإسلامية ، بعيدةً عن النفاق ، والفجور والفحش والكفر - الشعرُ ، ولقد وَهَمَ البعض \* أن الإسلام حَرَّمَ الشعر ، ونهى عن قوله ، مُستنديين إلي قوله تعالى :

(1) وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾

وهذه الآيات كي نفهم معناها لا بد من وصلها بالآية التي تليها : إِلَّا الَّذِينَ

(2) ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

إن الآيات السابقة ليست مانعةً وصادةً عن قول الشعر ، وليست محرمةً للشعر عامة ، وإنما مُوجِّهةٌ ومقومةً له كأي شيء جاء الإسلام ووجد فيه زيغاً وضلالاً ؛ فإنه يُعَدِّلُ مساره ؛ فقد كان الشعراء في الجاهلية لا يتورعون عن هجاء من يغضبون عليه ولا يتورعون عن الغزل الفاحش ، وقد يمدح الواحد منهم شخصاً من أجل عطاياه ، فإذا منعها أمطره بوابل من السباب واللعن في هجائه ، وهكذا كان الشعراء ملاذاً للغواية والعبث والضلال ؛ فجاءت هذه الآيات لتوجِّه الشعر والشعراء إلى الوجهة التي يرتضيها الإسلام ، وتحدِّد أهدافه ومراميهِ ، فهذه الأمة لم يعد للغواية والعبث واللغو والضللال مكانٌ فيها ؛ لأنها الأمة الخاتمة التي تحمل الرسالة الخاتمة لأهل الأرض كافة .

\* انظر الموازنة بين الشعراء د / زكي مبارك ص(34,35) ط الثالثة ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي

1393/ 1973

(2) سورة الشعراء الآيات من (224-227)

(1) سورة الشعراء الآيات (224-226)

يقول الأستاذ سيد قطب في تعليقه ذمّ الإسلام للشعراء في الآيات السابقة : " لأنهم يعيشون في عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم ، يؤثرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم ! ومن ثم يقولون أشياء كثيرة ، و لا يفعلونها ؛ لأنهم عاشوا في تلك العوالم الموهومة ، وليس لها واقع في دنيا الناس المنظورة . . . . . ، و أما حين يكون للروح منهج ثابت يهدف إلى غاية إسلامية ، ثم تعبر عن ذلك شعراً وفناً ، فأما عند ذلك فإن الإسلام لا يكره الشعر ، ولا يحارب الفن " (1) ، فعندما يقف الشاعر مجاهداً بسيفه ولسانه ، مدافعاً عن الحق وأهله ، عندها يحتضنه الإسلام ، ويشجعه الرسول ﷺ ويستثنيهم الله عز وجل من الضلال الغاوين فالآيات " مُستثنية فئة مؤمنة صالحة ذاكراً لله ، ومشيرة إشارة لطيفة إلى أن هذه الفئة ستنتصر للمسلمين من بعد ما ظلموا (2) " وهؤلاء انتصروا من بعد ما ظلموا ، فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقتهم ؛ ليصلوا إلى نصره الحق الذي يعتنقوه " . (3) .

### أما ما ذكره الدكتور / يحيى الجبوري في تعليقه لدم الآيات للشعراء

من أن " الإسلام اتُخذ من الشعر مواقف تنسجم وطبيعة المرحلة التي شهدتها الدعوة ، والمواقف الإسلامية تلك كانت منبثقة من ظروف الدّعوة نفسها ، فنجد أن الدين قد ذمّ الشعر والشعراء ، و هوّ من أقدارهم في الفترة الأولى ، فترة البدء بنشر الدعوة حين كان الشعر يهاجم الدين وينتقص منه ، ويرمي المرجمون الرسول ﷺ بأنه شاعرٌ ، وقوله الشعر ؛ فهو سلاحٌ من أسلحة الشرك ، ثم يكون الإسلام مُشجعاً وموجّهاً للشعر والشعراء ، و ذلك حين أُتيح للمسلمين أن يتخذوا الشعر سلاحاً من أسلحة الحرب ، يقاتلون به أعداءهم المشركين . (4) .

(1) في ظلال القرآن ج 5 ص 2622 .

(2) الأدب في صدر الإسلام د / محمد عبد الرحمن عبد الظاهر ، ص 77 ، مطبعة الحسين الإسلامية - القاهرة 1996 م .

(3) في ظلال القرآن ج 5 ص 2622 .

(4) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، د / يحيى الجبوري ، ص 40 ط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ثانية ، 1401 هـ / 1981 م .

ولا أتفق مع الدكتور يحيى في ذلك ؛ لأنَّ الشريعة الإسلامية لا تعرف النفعيَّة ، فتحريم الشيء عندما يتعارض مع مصلحتها، وتحلّه عندما يكون في صالحها ، نعم قد يتدرج الإسلام في تحريم شيء كالخمر مراعاةً للطبيعة البشريَّة ، و لكنه لا يعرف النفعيَّة مُطلقاً ، كما أنَّ المشركين لا يعبؤون بتحريم الإسلام للشعر فهم مستمرُّون في هجائهم ، كما أنَّ دعواهم أن القرآن شعرٌ دعوى ظاهرة البطلان ؛ لأنَّ الجميع يعرف طبيعة الشعر ، وأنَّ القرآن ليس شعرًا ، وقد يتخذ البعض من حديث النبي ﷺ الذي قال فيه ﴿لأنَّ يَمْتَلِيءَ جَوْفَ أَحَدِكُمْ قَيْحًا فَيْرِيَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْرًا﴾ (1)

قد يتخذ البعض هذا الحديث دليلاً على تحريم الإسلام للشعر، ولكن الرواية التالية للحديث توضح مقصد النبي ﷺ ﴿لأنَّ يَمْتَلِيءَ جَوْفَ أَحَدِكُمْ قَيْحًا فَيْرِيَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْرًا مِمَّا هُجِيَتْ بِهِ﴾ (2) وهي رواية ابن عدي عن جابر، وهذه الرواية تبين أن الشعر الذي ذمّه النبي ﷺ ، ونهى عن روايته هو الشعر الذي يسيءُ إلي شخصه ﷺ ، و القرآن الكريم يُؤيِّد ذلك ؛ فالله سبحانه وتعالى نهى عن الجلوس في مكان يُستهزأُ فيه بآيات الله قال تعالى :

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ (3)

وقال تعالى "

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٦٨﴾ (4)

(1) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب " ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان " ج1 ص109 ، ط دار الفكر استنبول .

(2) كنز العمال ، 3 / 576 ، المتقي الهندي ، ت / بكر حياني وصفوت السقا ط مؤسسة الرسالة بيروت

(3) سورة النساء الآية (40)

(4) سورة الأنعام الآية (68)

وما يدل على تخصيص الشعر المنهبي عنه بالشعر الذي هُجِيَ به الرسول ﷺ ، ما روى من أن النبي ﷺ امتدح الشعر في حديثه الذي رواه أصحاب السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : ﴿ إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمًا ﴾ (1) ، وقد يسأل سائلٌ إذا كان الإسلام والنبي ﷺ لم يحرم الشعر ! فلماذا لم يقل النبي ﷺ شعراً؟! ولم نزهه الله عن قول الشعر في قوله تعالى :

(2) وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾

أليس هذا ذمًا للشعر والشعراء!؟

ذكر صاحب الأغاني سبباً لعدم قول النبي ﷺ الشعر، حيث قال " ولو كان الرسول شاعراً ، لنسب العرب فضيلته وحبته البالغة إلي تأثير الشعر ، لا إلي فضل الرسالة ، ولا يكون إذ ذاك الكلام الذي يُلقى إليه وحيًا من عند الله ، بل إلهامًا من شيطان الشعر - وما أكثر شياطين الشعراء ! " (3) وأري أن هذا ليس بسببٍ ، ويمكن الردُّ عليه بعبارة واحدة ، فليدعوا كل شعرائهم وشياطينهم ، فالعرب كان أغلبهم شعراء ألم يتحدّهم الله في قوله تعالى :

(4) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾

أليست شياطين الشعراء واحدة؟! فلماذا عجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله؟! ألم يتحدّ الله الشياطين في قوله تعالى :

قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ (5)

(1) سنن أبي داود حديث رقم 4358

(2) سورة يس الآية (69)

(3) الأغاني 15 / 142

(5) سورة الإسراء الآية (88)

(4) سورة الطور الآية (34)





- (2) عبقرية محمد للأستاذ /عباس محمود العقاد صـ 77 طبعة دار نهضة مصر للطباعة الفجالة - القاهرة د.ت  
(3) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب الشعر في المسجد 453 جـ 1 / 116 ط دار الفكر استنبول



وقد يقول قائل : أليس هذا مناقضاً لتنزيهه ﷺ عن قول الشعر؟! أقول : فرق بين أن يستنشده ، ويحث عليه ، ويسمعه ويستحسنه فيجيزه ، وبين أن يقوله فيسنه ، وقد استلهمت من كلام الإمام العلامة عبد القاهر الجرجاني سبباً في إجازة النبي ﷺ قول الشعر وروايته وهو أن النبي ﷺ لم يُرد أن يُغلق الباب أمام رواية الشعر وقوله ؛ لأنَّ روايته وقوله سيعود على الإسلام بفائدة عظيمة ، وهى استبيان معجزة القرآن وبلوغ حجة الله ، يقول رحمة الله في معرض التقرير لمن ذموا النحو والشعر لضعف همهم : " وذاك أنا إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت ، ودانت وبهرت هي أن كانت على حدٍ من الفصاحة تقصر عنه قوة البشر ، ومنتهاً إلي غاية لا يُطَمَح إليها بالفكر ، وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب ، وعنوان الأدب ، والذي لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان ، وتنازعا فيهما قصب الرهان ، ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل وزاد بعض الشعر على بعض ، كان الصادُّ عن ذلك صادّاً عن أن تُعرف حجة الله ، وكان مثله مثل من يتصدى للناس ، فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله تعالى ، ويقوموا به ويُقرئوه " . (1)

إذن فالنبي ﷺ لم يرد أن ينصرف الناس عن الشعر ؛ لأنه أسمى صور البيان العربي ، ومن أراد أن يدرك الهوة بين الإعجاز الإلهي والتعبير البشري - وأن الله سبحانه وتعالى لم يتحدَّ عجزاً ، وإنما تحدى أرباب فصاحة وبلاغة وبيان ودقة ومهارة لغوية - فليُنظر في الشعر الذي هو ثمرة عقول العرب وديوانهم ، وشاهد حضارتهم .

(1) دلائل الإعجاز ، شرح وتعليق الأستاذ / محمود محمد شاكر ص 9 طبعة دار المدني - القاهرة 1412هـ

## أثر الإسلام في الشعر

لقد جاء الإسلام ، وغير من قيم العرب وعاداتهم وديانتهم الوثنيّة ، ولأنّ الشعر مرآة عصره ، كان طبعياً أن يؤثر هذا الحدث العظيم في الشعر العربي ، كما أثر في نفوس قائله ، ولقد وصف د/ محمد طه الحاجري هذا الأثر بأنه " صراعٌ بين القيم الإنسانية الحقّة الخالصة التي جاء بها الإسلام ، وبين القيم التي كوّنتها الجاهلة " (1)

وأرى أن يطلق على أثر الإسلام في الشعر " تحوّل " لا " صراع " ، كما أطلق عليه الأستاذ الدكتور / صفوت زيد (2) ، " ولم يكن هذا التحوّل والتغيّر الذي طرأ على القصيدة العربية وليد يومٍ وليلة ، وإنما استغرق زمناً حتى بدت معالمه واضحة ؛ لأنّ القرن الأوّل الهجري كان بمثابة المحصلة المشتركة التي استطاعت فيها معالم الحياة العربية أن تتكيّف ويتّضح معدنها ، حتى أصبح بإمكاننا أن نحدّد بوادر التجديد في البناء الفني للقصيدة . (3)

- 
- (1) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، د / يحيى الجبوري ص 3  
 (2) في عنوان كتابه التحوّل الشعري في عصر البعثة المحمدية طه التركي طنطا د-ت  
 (3) أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية د / أحمد شاكر غضيب ص 21 ط دار الضياء الأردن 2001



ولقد أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية في شكلها وفي معاني الشعر وفي موضوعاته

## أولاً : أثر الإسلام في شكل القصيدة العربية

إنَّ تأثير الإسلام في شكل القصيدة العربية يتمثل في تأثيره في المطلع والمقدِّمة والتخلُّص من غرضٍ إلي غرضٍ وطول أبيات القصيدة وقصرها والختامة .

### 1- أثر الإسلام في مقدمة القصيدة :

يتمثَّل أثر الإسلام في مطلع القصائد في سهولة المطلع ، وبُعدّه عن التَّموذج الجاهلي ، فبعد أن كان الجاهلي يبدأ القصيدة بكاء الأطلال والتغرُّل في المحبوبة ووصف الناقة " نجد المطلع الإسلامي ، وقد تخلَّص من هذه التقاليد الموروثة ؛ بسبب ظروف العصر التي اقتضت الارتجال والرَّد السَّريع " (1) ، على أنَّ المقدمات الجاهلية وُجِدَت على استحياءٍ عند بعض الشعراء فنجد الشاعر يقدِّم لقصيدته بيتين أو ثلاثة على المنهج الجاهلي من غزلٍ أو بكاءٍ للأطلال ، ثم يتخلَّص إلي غرضه ، فعلى سبيل المثال نجد شاعراً مثل كعب بن مالك يقدِّم لمرثيته التي يرثي فيها شهداء أحد بيتين من الغزل ، حيث يقول : (2)

طَرَقْتُ هُمُومَكَ فَالرُّقَادُ مُسَهَّدٌ      وَجَزَعْتَ أَنْ سُلِّحَ الشَّبَابُ الأَغْيَدُ  
وَدَعْتَ فُؤَادَكَ لِلَّهِ وَى ضَمْرِيَّةً      فَهَوَاكَ غُورِيٍّ وَصَحْبِكَ مُنْجِدُ

ثم تخلص من هذه المقدمة الغزلية الموجزة إلي غرضه الأصلي :-

فَدَعَ التَّمَادِي فِي الغَوَايَةِ سَادِرًا      قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الغَوَايَةِ تَقْنَدُ  
ولعل السبب الأول والرئيسي في انحسار هذه المقدمات ، هو أن الشاعر وجد نفسه مطالباً بسرعة الرَّد في المواقف التي تقتضى الدِّفاع عن الرسول ﷺ وعن المسلمين ؛ فتندفع المعاني اندفاعاً ، وتتراحم العبارات على لسانه فلا يُعقل أن يقاوم هذه التيارات الجارفة ويعوقها بمقدماتٍ لا تتلاءم مع المقام ؛ ولذلك فإنَّ كعب بن مالك نراه يعيب على من يفتتح قصائده بكاء الدمن في مطلع قصيدة يرثي بها عثمان رضي الله عنه حيث يقول (3) :

يَا لِلرِّجَالِ لِأَمْرِ هَاجَ لِي حَزَنًا      لَقَدْ عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْكِي عَلَى الدَّمَنِ

(1) المرجع السابق ص 26 بتصريف يسير

(2) ديوان كعب بن مالك تحقيق د / سامي مكي العاني ص 189 مطبعة المعارف بغداد ط أولى

(3) المرجع السابق ص 282

1966/1386

## 2- أثر الإسلام في التخلص من غرض إلى غرض

لقد أثر انحسار المقدمة الجاهلية في طريقة انتقال الشعراء من غرض إلى غرض " فالشاعر الجاهلي كان يشبُّ بين موضوعاته داخل القصيدة الواحدة عبر مرتكزات فنية جاهزة تعكس إحساسه بالوحدة ..... بينما أصبح تحوُّل الشاعر الإسلامي تحوُّلاً فجائياً " (1) ؛ فحسان بن ثابت يقدِّم بمقدمة طلبية عددها أربعة أبيات يقول بعدها يستهلُّ قصيدته :

فَدَعِ عَنكَ التَّذَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ      وَرَدِّ حَرَارَةَ الصَّدرِ الكَئِيبِ  
وَخَبِّرْ بِالَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ      بَصْدَقِ غَيْرِ إِخْبَارِ الكَذُوبِ  
بِمَا صَنَعَ المَلِيكُ عَدَاةَ بَدْرِ      لَنَا فِي المُشْرِكِينَ مِنَ النِّصِيبِ

وكأن هذا الانتقال الفجائي يوحي للسَّامع بعدم اهتمام الشاعر بهذه المقدمة ، وأتته ما قالها إلا تقليداً ، يتوصَّل منه إلى غرضه ، وقضيَّته الأهم ، وهو غرضه الذي قال فيه القصيدة .

## 3- أثر الإسلام في طول القصيدة وقصرها:

" لعل من أهم الملاحظات في هذا الشعر الإسلامي في إطاره العام - أنه شعرٌ مقطوعات ، وليس شعر قصائد ، وهذا النوع لا يتطلَّب مقدماتٍ ؛ لأنَّ ظروفه تدفع الشاعر إلي موضوعه مباشرةً دون تقديم " (3) ، فأصبح القِصْرُ هو السمة الغالبة على القصائد في صدر الإسلام ، يتَّضح ذلك بالمقارنة بين القصائد الإسلامية والجاهلية لشعراء الرسول ﷺ " ، يتبيَّن بوضوح مدى الازدياد الملحوظ في قصار القصائد في ظلِّ الإسلام ؛ فحسان بن ثابت قصائده الجاهلية القصيرة تسعُ قصائد ، بينما نجد له خمساً وثمانين قصيدة إسلامية قصيرة عددُ أبياتها عشرون بيتاً فما دون " (4) .

(1) أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية ص 30 بتصرف .

(2) ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق د / سيد حنفي حسنين ص 134 ط دار المعارف دت .

(3) دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي د / عبد المنعم خفاجي ص 321 ، 322 .

(4) أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية ص 35 بتصرف .

وأرى أن هذا الانحسار الذى حدث لبنية القصيدة العربية ، واختفاء بعض لوحاتها له أثرٌ بالغٌ على التصوير البياني لدى شعراء صدر الإسلام ؛ لأنَّ القصيدة العربية فَقَدَتْ ينبوعًا من ينابيع التصوير البياني ، فالأجزاء التى أُهملت كانت ميدان الإبداع فى التصوير البياني ؛ لاعتمادها الأساسى على الوصف مثل بكاء الأطلال والغزل ، ووصف النَّاقه ، ورحلة الصَّيِّد ، ووصف الخيل ..... إلى آخر هذه الأغراض التى يكثر فيها استخدام الألوان البيانية .

## أثر الإسلام في معاني الشعر

من المعلوم والمتوقَّع أن نظامًا جديدًا قلب الضلالات الجاهلية رأسًا على عقب ، وغير معتقداتها وقيمها وعاداتها ، طبيعيًّا - أن مجيء الإسلام وما واكبه من تعاليمٍ سمحةٍ وقيمٍ أخلاقيةٍ رفيعةٍ تنبع من القرآن الكريم والأدب النبوي المتمثِّل في الحديث الشريف - أن يؤثِّر هذا التحوُّل الديني والثقافي والأخلاقي في الشعر ، خاصةً أنهم رأوا البؤن شاسعاً بين نور الإسلام ، وظلمات الجهل ، والجهالة الوثنيَّة فذاقوا حلاوة الإيمان ؛ فانطبعت أشعارهم بهذا النور ، كما انطبعت وتأثرت به قلوبهم ، فجاءت أشعارهم متأثرة بقيم الإسلام ومبادئه ، ومن يتصفَّح دواوين شعراء الرِّسول ﷺ وشعراء صدر الإسلام عامَّة يرى أسلوبًا جديدًا في الفخر والهجاء والمدح ، فبعد أن كان الفخر بالآباء والأجداد والأيام أصبح الفخر باتباع دين الله ورسوله الأمين ﷺ هو أساس الفخر ، وبعد أن كان المدح بالكرم والشجاعة والصفات الأخرى من قوة وبطش ، انضم إليها المدح بالإيمان والأخلاق الحسنة المستمدة من الإسلام .

" والنظرة الناقدة لا يخطئها أن تلمح أثرًا إسلاميًا في المعاني الشعرية في شعر من لم يسلم من أهل هذا الصدر " (1) غير أن طبيعة الهجاء في تلك الفترة اقتضت أن تظلم فيه الروح الجاهلية من التعبير باللؤم والأيام والتنازب بالألقاب ، الأمر الذي دفع الدكتور محمد محمد حسن إلى القول بأن " هجاء الشعراء ظل متمسكاً بأسلوبه القديم في نهش الأعراس وقذف الناس بأحسابهم وأنسابهم " (2) لقد كان هناك داعٍ للردِّ على المشركين بمثل هجائهم .

وأحسب السبب في ذلك أنهم - أي المشركون - لا يعينهم ولا يؤثِّر فيهم مثقال ذرة أن يُعيِّروا بالكفر والشرك ، لأنهم لا يؤمنون بهذا الدين ، وإنما الذي كان يوجعهم ويؤلمهم وكان " أثره في نفوسهم لا يقلُّ عن أثر السيوف في أجسادهم " (3) هو الهجاء بالأنساب والأعراس لحرص العربي على أن يكون حسيبًا مصون العرض .

(1) قيم جديده للأدب العربي 59/1 د / عائشة عبد الرحمن ط دار المعرفة 1961م

(2) الهجاء والهجاؤن في الإسلام د / محمد محمد حسن ص7 طبعة مكتبة الآداب 1948م بتصرف يسير

(3) الحياة الأدبية في العصر الإسلامي د / النبوي شعلان ص150 مطبعة المدني القاهرة 1401/ 1981م

وقد أشار إلى هذا السبب صاحب الأغاني ، حيث يقول " فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة ، يعيرهم بالكفر ، فكان في ذلك الزمان أشدّ القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وفقهوا كان أشدّ القول عليهم قول ابن رواحة " (1) ولعل الشعر الذي يصفه الدكتور محمد محمد حسن بأنه فيه نهش للأعراض وقذف للناس بأحسابهم لعله مما " أضيف إلى حسان مما لم ينظمه " (2)

---

(1) الأغاني ج4 / 138

(2) حسان بن ثابت شاعر الرسول د / سيد حنفي حسنين ص155 ط المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .د-ت



# مُصْطَلِح شُعراء الرسول

وَسَلَّمَ  
عَلَيْهِمَا  
صَلَّى اللهُ

## مصطلح شعراء الرسول ﷺ

مصطلح شعراء الرسول ﷺ يُطلق على ثلاثة شعراء هم ، حسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك

" وهكذا تطوّع من الأنصار ثلاثة شعراء خزرجيين ، هم حسّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة لأداء هذه المهمة ، وتولّى الدفاع عن الإسلام والمسلمين ، والرّدّ على شعراء الكفر الكثيرين ، وكان يؤازرهم شعراء آخرون من المهاجرين والأنصار ، أمثال طالب بن أبي طالب ، وعلى بن أبي طالب ، وخوّات بن جبير الأنصاريّ ، وبعض الشواعر المسلمات مثل هند بنت أثّثة ، وصفية بنت عبد المطلب ، ولكن أولئك الثلاثة كانوا أشعر القوم ، وأقدرهم على القيام بهذا الدور ، وهم الذين عُرفوا بشعراء الرسول ﷺ دون غيرهم " (2) .

وقال عنهم البيضاويّ " هؤلاء الثلاثة حسّان وكعب وعبد الله شعراء المسلمين في المدينة " (3) .

وقال عنهم د / سيد حنفيّ حسنين " ولم يكن حسّان وحده هو الذى يفعل ذلك ، وإنما شاركه شاعران آخران ، هما كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة " (4)

(1) ديوان عبد الله بن رواحة تحقيق د / وليد قصاب ص 80 ط ثانية - دار الضياء - الأردن 1408هـ/1988م

(2) تفسير البيضاويّ " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " ص 367 ط 2 المطبعة البهية المصرية 1925م

(3) حسّان بن ثابت شاعر الرسول د/ سيد حنفيّ حسنين ص 155، 156

# التعريف

## بشعراء الرسول

وَسَلِّمْ  
عَلَيْهِمْ  
صَلَّى اللهُ



## أولاً : حَسَّانُ بنُ ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

### نَسْبُهُ :

" هو حَسَّانُ بنُ ثابتِ بنِ المنذرِ بنِ حرامِ بنِ عمرو بنِ زيدِ مناةَ بنِ عدى بنِ عمرو بنِ مالكِ بنِ النَجَّارِ - وهو تيمُّ الله - بنِ ثعلبةِ بنِ عمرو بنِ الخزرجِ بنِ حارثةِ بنِ ثعلبةِ العنقاءِ بنِ عمرو مزيقياءِ بنِ عامرِ بنِ ماءِ السماءِ ابنِ حارثةِ الغطريفِ بنِ امرئِ القيسِ البطريقِ بنِ ثعلبةِ البهلُولِ بنِ مازنِ ابنِ الأسدِ بنِ العوثِ بنِ نبتِ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ كهلانِ بنِ سبأِ يشجبِ بنِ يعربِ بنِ قحطان... خزرجيٌّ من جهةِ أبيه وأمه" (1)

### حياته :

" عاش نصفَ عمره في الجاهليةِ يستلهم من صحراواتها قيمَ الفتوةِ وعنجهيةِ البداوةِ ..... ومراةِ القتالِ ، ثم إذا هو يعيش نصفَ عمره الآخرِ في الإسلامِ يستحلب حلاوةَ العقيدةِ ، ورحيقَ الأخوةِ " . (2)

### شاعريته :

كان حَسَّانُ من الشعراءِ المجيدينِ المدافعينِ عن الدعوةِ وأهلها ، كما كان ذائع الصيتِ في الجاهليةِ ، وهو وإن قلَّ شعره في الإسلامِ ، إلا أن الرسولَ ﷺ اعتمد عليه كثيراً في مواجهةِ المشركينِ في المعركةِ الكلاميةِ ؛ فيروى عن البراءِ بنِ عازبٍ أنّ الرسولَ ﷺ قال لحَسَّانَ : ﴿ اهْجُمْهُمُ أَوْ هَاجِمِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ ﴾ " (3)

- 
- (1) تراجع ترجمته وأخباره في الأغاني ج 4/134 وطبقات ابن سلام 1/216 ت محمود شاكر ط الهيئة العامة لقصور الثقافة / والشعر والشعراء لابن قتيبة 1/305 /ومعاهد التنصيص 1/209 ت محمد محي الدين عبد الحميد ط عالم الكتب بيروت د. ت أحمد محمد شاكر ط دار المعارف د- ت .
- (2) حسان بن ثابت شاعر الرسول ص5 دار المعارف 1964م .
- (3) صحيح البخاري ، حديث رقم 2974 كتاب بدء الخلق .

قال الأصمعي عن شعر حسان : " إنه كان من أجود الشعر في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ضعف شعره ، فالشعر نكدٌ يقوى في الشرِّ ، ويسهل فإذا دخل في الخير يضعف ؛ هذا لأنَّ حسان بن ثابت فحلَّ من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره " (1) ولعله يقصد أنَّ الشعر يقوى ويشتدُّ مع الغضب وشدة العداة ، كما أنَّه في الجاهلية لم يكن يحكمه شرعٌ فكان الغزل الفاحش ، وكان الهجاء اللاذع ، وكان النفاق من أجل التكبس بالشعر من أقوى أسباب اتقان الشعر .

يؤيد ذلك قول الأصمعي " لأنه دخل في باب الخير ، وترك طريق الفحول من هجاء ومديح وتشبيب وفخر " (2) ، وقيل لحسان " لأنَّ شعرك وهرم يا أبا الحُسام فقال للسائل : يا ابن أخي إنَّ الإسلام يحجز عن الكذب " (3) ومع ما قيل عن ضعف شعر حسان في الإسلام إلا أن النبي ﷺ قال : ﴿ أَمَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فَقَالَ وَأَحْسَنَ ، وَأَمَرْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ فَقَالَ وَأَحْسَنَ ، وَأَمَرْتُ حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ فَشَفَى وَاشْتَفَى ﴾ (4)

## إسلام حسان :

من الواضح أن قصة إسلام حسان لم يتحدث عنها أحد من العلماء أو المؤرخين ، إلا أن د/ سيد حنفي حسنين يرى أنَّه " بالرغم من عدم وجود مصدر فيه نصٌّ صريحٌ يدل على توقيت دخول حسان في الإسلام ، إلا أن الخزرج عامَّةً وبني النجار خاصَّةً ، قد حالفوا الرسول ﷺ وأبدوا استعدادهم للدُّخول في دينه ، والدفاع عنه منذ وقتٍ مبكر ، وقبل هجرته ﷺ إلى مدينتهم ، فلا شكَّ أن حسان قد فعل مثلهم " (5)

(1) أسد الغاية 4/2/ابن الأثير ط جمعية المعارف مصر والموشح للمرزباني ص 64 ، 65 ، ط السلفية - القاهرة 1929 م .

(2) الموشح للمرزباني ص 65 . (3) أسد الغاية 4/2 .

(4) الأغاني 143/4 . (5) حسان بن ثابت شاعر الرسول ص 135 .

## جهاده في سبيل الله :

جاهد حسان في سبيل الله بلسانه دون سيفه على ما تذكره الأخبار والرويات التي يُتَّهم فيها حسان بالجبن وعدم القدرة على القتال ، منها الرواية التي روتها صفية بنت عبد المطلب عن رفض حسان الخروج لقتل اليهودي الذي كان يطيف بالحصن في يوم الخندق " (2) ، وقد دافع عنه الواقدي ونفى عنه صفة الجبن " بأنَّ قومه كانوا يدفعون أن يكون جباناً ولكنَّه أقعده الحرب أن أكُحله قد قطع فذهب منه العمل في الحرب " . (3)

## وفاته:

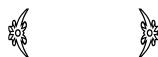
اختلف الرواة في سنة وفاته بالرغم من اتفاقهم على " أنه عاش ما يقرب من مائةٍ وعشرين عاماً " . (4)

---

(1) الأغاني 165/4 ، 166 ، تاريخ الطبري 3 / 50 .

(2) تاريخ ابن عساكر 126/4 ط أولى ط العربية دمشق .

(3) الاستيعاب لابن عبد البر مادة ( حسان ) نقلاً عن حسَّان بن ثابت شاعر الرسول ص 237.



## كعب بن مالك رضي الله عنه

### نسبه :

" هو كعب بن مالك بن أبي كعب ، وهو عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن سليلمه - بكسر اللام - بن سعد بن علي الأنصاريّ السلميّ بفتح السين واللام، ثمّ الخزرجيّ " (1) ، وأبوه " مالك بن أبي كعب كان شاعرًا " (2)

### إسلامه:

كان كعبد الله بن رواحة من السابقين في الإسلام من أهل يثرب ، حيث " كان من الثلاثة وسبعين رجلاً الذين بايعوا النبي ﷺ في العقبة الثانية " (3) وكان قد اعتنق الإسلام قبل هذه البيعة ، يدل على ذلك ما رواه ابنه عبد الرحمن حين سأله :  
" يا أبت مالك إذا سمعت الأذان بالجمعة صلّيت على أبي أمامة ؟  
فقال : أي بُني كان أول من جمّع بنا بالمدينة ... قلت كم أنتم يومئذ ؟ قال  
أربعون رجلاً " (4)

### شاعريته :

شعر كعب بن مالك رضي الله عنه من أجود الشعر في معانيه وصوره على ما نرى في هذا البحث إن شاء الله ؛ لذلك نجد النبي ﷺ يزكّي شعره، حيث قال له ﷺ : ﴿إِنَّكَ لِحَسَنُ الشِّعْرِ﴾ (5)

(1) راجع خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال ص 373 / صفى الدين أحمد بن عبد الله- ط الخيرية مصر 1322 هـ .

(2) الأغاني 226/16 .

(3) طبقات ابن سعد 393/4 وتاريخ الطبري 360/2. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- ط - دار المعارف مصر د- ت .

(4) معجم ما استعجم للبكري 571/2 الطبعة الأوربية .

(5) الأدب المفرد / البخاري ص172 ط العثمانية - مصر 1309 هـ .

قال عنه الصفدى والبغدادى " كان مجوداً مطبوعاً " (1) وكما أعجب النبي ﷺ بشعر كعب أنتت عليه السيدة عائشة وروته تقول السيدة عائشة : ﴿ الشِعْرُ مِنْهُ حَسَنٌ وَمِنْهُ قَبِيحٌ ، خُذِ الْحَسَنَ وَدَعْ الْقَبِيحَ ، وَلَقَدْ رَوَيْتُ مِنْ شِعْرِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَشْعَارًا مِنْهَا الْقَصِيدَةُ فِيهَا أَرْبَعُونَ بَيْتًا وَدُونَ ذَلِكَ ﴾ (2)

## منزلته وجهاده

لم يتخلف كعب عن غزوات النبي ﷺ إلا في تبوك وبدر قال كعب : ﴿ لم أتخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة إلا فى غزوة تبوك غير أنى كنت تخلفت فى غزوة بدر ولم يُعاتب أحداً تخلف عنها ﴾ (3) ، وقد أمره الرسول ﷺ بالجهاد بلسانه ، كما يجاهد بسيفه ، حيث قال : ﴿ إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ﴾ (4) وقد أبلى كعب بلاء حسناً يوم أحد ، حيث قيل " إنّ مظهره عن بُعد كان يشبه الرسول ﷺ ، ولبس لأمة النبي ﷺ ، وكانت صفراء ، ولبس النبي ﷺ لأمته فجرح كعبٌ أحد عشر جرحاً " (5) ، وبالرغم من هذا الإيمان القويّ ، والحرص على افتداء النبي ﷺ إلا أن كعباً تخلف عن غزوة تبوك ، وأمر النبي ﷺ صحابته بمقاطعة هؤلاء الثلاثة " كعب بن مالك ومرارة بن أبي الربيع وهلال بن أمية " (6)

- 
- (1) نكت الهميان فى نكت العميان ، ص 230 / الصفدى ط مصر 1911م وخزاته الأدب 22/3 البغدادى- ط السلفية القاهرة . د ت .  
(2) المزهرة علوم اللغة 309/2 .  
(3) صحيح البخارى- 40/6 .  
(4) مسند الإمام أحمد ج6 / 387- ط دار صادر بيروت د ت .  
(5) الاستبصار فى أنساب الأنصار ص143 ( مخطوط ) دار الكتب المصرية ( رقم " 349 " تاريخ ) .  
(6) مغازى رسول الله / الواقدى ص-44 ط السعادة - مصر 1367 هـ .





وقد نهي رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة ﴿ (1) حتى تاب الله عليهم ونزلت الآيات ، حيث قال تعالى :

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ  
وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ  
عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ (2) ﴿ ١١٨ ﴾

وفاته :-

توفي كعب بن مالك " في المدينة وكان قد كُفَّ بصره عام خمسين من الهجرة على أرجح الأقوال " (3) .

جزى الله كعب بن مالك خيراً الجزاء عما قدم لدين الله .

- 
- (1) السيرة النبوية- بن هشام 4/116 ت عمر محمد عبد الخالق ط دار الفجر للتراث - القاهرة ط أولى 1420 هـ / 1999 م .  
(2) سورة التوبة آية ( 118 ) .  
(3) البداية والنهاية 8/48 ط السعادة - مصر 1932 م .



## عبد الله بن رواحة رضي عنه

نسبه :

" هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأعز بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ، وأمُّه كُبشة بنت واقد بن عمر بن الإطنابة الخزرجية " (1).

حياته :

شاعرٌ مخضرمٌ " عاش في الجاهلية والإسلام ، وشارك قومه في حروبهم بسيفه ولسانه ، فلما ظهر الإسلام ، وأصبح واحداً من أتباع الرسول ﷺ قام بدوره السالف ، إلا أنه صار مدافعاً عن الإسلام ورسوله وأتباعه ، لا عن العصبية الجاهلية " ومما يدل على أنه نشأ مُسَوِّداً منذ نعومة أظفاره ، أنه كان يكتب في الجاهلية وكان يكتب للرسول ﷺ والناس في ذلك العهد أميون " (2).

إسلامه :

كان عبد الله من السابقين الأولين في الإسلام من أهل يثرب ، ففي السنة الثالثة عشرة من البعثة ، لقي النبي ﷺ وفداً مكوّناً من ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين ؛ فأسلموا وكان منهم عبد الله بن رواحة فقال لهم النبي ﷺ : ﴿ أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً ، لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ ، فَأَخْرِجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً تِسْعَةً مِنَ الْخَزْرَجِ وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ ، وَكَانَ ابْنُ رَوَاحَةَ أَحَدَ هَؤُلَاءِ النُّقَبَاءِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ الْقَوْمُ ﴾ (3) " وَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَهَاجِراً أَخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ " (4)

\* تدور المادة حول الكثرة والسعة ، والقطع ، الهجين ، الشاعر المدرك لعصرين / اللسان مادة خضرم (1) الطبقات الكبير ، محمد بن سعد 486/3 ت . د/ على محمد عمر - ط مكتبة الأسرة 2002 م (2) راجع قصة إسلامه في سيرة بن هاشم 65/2 وما بعدها ط دار الفجر . (3) الإصابة في تمييز الصحابة 1 / 306 ط -التجارية - القاهرة 1939 (4) نفسه

## شاعريته :-

أثنى النبي على تقوى عبد الله في كلامه ، حيث قال ﷺ : ﴿ إِنَّهُ لَا يَقُولُ الرَّفَثَ ﴾ (1) " وقد ذكر النقاد أن عبد الله بن رواحة من الشعراء المجيدين ؛ فقد وضعه ابن سلام في طبقة شعراء القرى العربية وهي ( المدينة ، ومكة ، والطائف ، واليمامة ، والبحرين ) ، ثم يقول ابن سلام بعد ذلك وأشعرهن قرية المدينة شعراؤها الفحول خمسة : ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس ، فمن الخزرج من بنى النجار ( حسان بن ثابت ) ومن بنى سلمة ، ( كعب بن مالك ) ومن بلحارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة " (2) ؛ إذن فعبد الله " مع قلة شعره الذى وصل إلينا إلا أنه يُعد من الشعراء الفحول ، وهذا دليل على أنه كان له شعرٌ كثيرٌ ولكنه ضاع ، والدليل على ذلك أن كثرة الشعر الذى قاله الشاعر مُقدمة عند ابن سلام على الجودة ، ومعيار من معايير المفاضلة بين الشعراء عنده " (3)

## منزلته عند النبي ﷺ :

ورد أن " عبد الله بن رواحة في بعض أسفاره مع النبي ﷺ في اليوم الحارّ الشديد الحرارة - كان يصوم وما في القوم صائمٌ إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة " (4) " لذلك كان عبد الله مقرباً من رسول الله ﷺ ، أثيراً عنده " (5)

## جهاده في سبيل الله :

" شهد عبد الله بدرًا ولمّا أفاء الله على رسوله أرسل ﷺ ابن رواحة إلى أهل العالية يزفُ إليهم البشرى " (6) " وشهد أحداً والخندق وبنى المصطلق وخيبر ، وغيرها الكثير " (7)

(1) صحيح البخارى حديث رقم 6151 . (2) ديوان عبد الله بن رواحة ص48 .

(3) نفسه .

(4) الاستيعاب 362/1 بتصرف نقلا عن شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ص(27).

(5) طبقات فحول الشعراء ص186 .

(6) الروض الأنف السهيلي -151/5 ط الجمالية 1332هـ -1914م .

(7) راجع سيرة بن هشام 127/3 ، طبقات بن سعد 135/3 .

## استشهاده في سبيل الله :-

لما استشهد زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب رضى الله عنهما في مؤتة ، أخذ الراية القائد الثالث وهو عبد الله بن رواحة فلما رأى في نفسه بعض الإحجام قال : " يا نفس إلى أي شيء تتوقين ؟ إلى فلانة - امرأته - فهي طالق وإلى فلان وفلان - غلامان له - فهم أحرار ، وإلى معجف - حائط له ؛ فهو لله ورسوله " (1) " ولما أصيب ابن رواحة أخذ الدم بيده فدلك به وجهه ثم جعل يقول : يا معشر المسلمين ذبُّوا عن لحم أخيكم فجعل المسلمون يحملونه حتى يحوزوه فلم يزالوا كذلك حتى مات مكانه " (2)

جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا عَلَى مَا قَدَّمَ لِلْإِسْلَامِ .

(1) أسد الغابة 159/3 .

(2) نفسه .

# مفهوم الصورة

## الصورة

تعددت وجهات النظر في تحديد هذا المصطلح ، فأبسط دلالة لكلمة الصورة " وأقربها إلى الأذهان هو دلالتها على التجسيم ، أو على الأشياء القابلة للرؤية البصرية " (1) ، وهذا المفهوم هو ما كان عليه القدماء من البلاغيين ، فالتصوير عندهم لم يكن مقتصرًا على أساليب علم البيان ( التشبيه ، والمجاز ، والكناية ) ، وإنما كان يشمل التعبير بالحقيقة أيضا ، فمعناه عندهم " هو معناه عند اللغويين " (2) ، يدلُّ على ذلك أن المتأخرين من علماء البلاغة العربية تحدّثوا عن الصورة كمرادف للمعنى " (3)

أمّا الإمام عبد القاهر فإن المصطلح عنده أكثر تحديداً، حيث جعل الصورة " تمثيلٌ وقياسٌ ، لما نعلمه بعقولنا على الذى نراه بأبصارنا " (4) ؛ فهو هنا في هذا الموضوع يتحدث عن تصوير المعاني الذهنية كلّها " ؛ فالصورة في كلامه يعنى بها عملية التّظم يتّضح ذلك جلياً في قوله : " واعلم أنّ قولنا الصورة ، إنما هو تمثيلٌ وقياسٌ لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البيئونة بين آحاد الأجناس ، تكون من جهة الصُّورة فكان تبين إنسان من إنسان وفرس من فرس ، بخصوصيّة تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك ..... ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بيئونة في عقولنا وفرقاً عبّرنا عن ذلك الفرق وتلك البيئونة بأن قلنا للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك ، وهو يريد بهذا الكلام اختلاف المعنى المدرك من الفقرة أو البيت باختلاف طريقة نظمه وإن اتّحدت كلماته ، وهو هنا يوضح مقصده وبيّنه بمثال وقياس على المحسوسات فالأمور الحسّية يُميّز بين المتشابه منها بالصورة .

وكذلك يميّز بين المعاني المتقاربة - حتى وإن اتّحدت الكلمات التي عبرت عنها - بالنظم أى باختلاف هيئة ترتيب الكلمات ، واختيار حروف المعاني ومواضعها والتقديم والتأخير ، وهو ما يُعدُّ لثباته كالصورة التي هي من خصائص المحسوسات .

(1) التعبير البياني د / شفيح السيد ص 139 ط دار الفكر العربي ط ثانية 1982م

(2) الصورة الفنية د / جابر عصفور ص 282 ط دار المعارف

(3) شروح التلخيص 3 / 312 ط دار السرور بيروت د ت (4) دلائل الإعجاز ص 508 (5) نفسه

" فتصوير أى معنى يعنى صياغته ونظمه وتشكيله على هيئة مُعَيَّنة ، وهذا المعنى كَثُرَ وروؤده فى دلائل الإعجاز ، نظراً لطبيعة القضية الأساسية التى يعالجها الكتاب وهى قضية النظم " (1)

### وفى العصر الحديث :

تعددت التفسيرات والتعريفات لمفهوم الصورة بحسب اختلاف التخصصات ، فعند علماء النفس وعلماء الجمال " تتمثل الصورة فى أنها استحضار العقل أو التوليد العقلي لما سبق إدراكه بالحواس " (2) ويرى آخرون أن التصوير نشاط لغوى غير مفارق للتركيب ، بل إن نشاط عناصر التركيب هو نشاط تصويرى " (3) وهذه الرؤية هى نفسها رؤية الإمام – عبد القاهر .

---

(1) الصورة بين القدماء والمعاصرين د عبد الحليم محمد شادى ص23، 24 بتصرف- ط أولى

1991/1411 ط السعادة

(2) التعبير البياني د شفيح السيد ص141 ط دار الفكر .

(3)مداخل إلى علم الجمال الأدبى د / عبد المنعم تلمية ص11 ط دار الثقافة مصر 1982

## الصُّورة البيانيّة

ينظر علماء البلاغة منذ الإمام عبد القاهر وحتى العصر الحديث إلى الصورة البيانيّة على أنّها مكوّنٌ من مكونات النظم ، تتفاعل مع عناصر النصِّ ومكوناته ، فالصورة " في موقعها من النص خليّة من خلاياه التي تحقق كيانا متواشجةً علاقته مع بنيتها الكليّة ، خليّةٌ تقوم بدورها التفاعلي المتبادل مع النص في تكوين معناه " (1) ، وهكذا يراها أيضا الأستاذ / أحمد حسن الزيات ، فهي تتفاعل مع " مجموعة من العلاقات المتداخلة والمتكاملة لطاقات اللغة وإمكاناتها من دلالة ، وتركيب ، وإيقاع وحقيقة ، وصور مجازية ، وترادف وتضاد ..... وغيرها من وسائل التعبير الفني ، يمنح بينها الشاعر ؛ لتخرج معانيه على درجة من الإبداع " (2)

والصورة البيانية لا تنقل الواقع نقلاً وإنما هي " إعادة تشكيل الواقع ونقله بطريقة إبداعية يسهم فيها الخيال ، بحيث لا يُنقل الواقع أو يُنسخ ، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر والجمع بين العناصر المتضادّة أو المتباعدة في وحدة " (3)

وليس هذا الكلام بجديد ، وإنما هو ترديد وإعادة صياغة لفكر الإمام عبد القاهر ، فالإمام عبد القاهر عندما يتحدّث عن بلاغة وجمال التشبيهات يقول : " وهكذا إذا استقرت التشبيهات ، وجدت التباعد بين الشئيين كلما كان أشد ، كانت إلى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب ، ..... وذلك أنّ موضع الاستحسان ..... أنّك ترى بها الشئيين مثلين متباينين ، ومؤتلفين مختلفين ، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض " (4)

وقد أشار الإمام عبد القاهر أيضاً إلى كون الصورة البيانية متفاعلة متداخلة مع النظم ، حيث يقول " إن في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم ، والوقوف على حقيقته " (5)

(1) الصورة البيانية د / محمود مجدين ص 7 بدون معلومات عن الطباعة .

(2) دفاع عن البلاغة / أحمد حسن الزيات ص 62 بتصريف .

(3) الصورة الفنية د / جابر عصفور ص 373 .

(4) أسرار البلاغة ص 130 . (5) دلائل الإعجاز ص 100 .



# وقفه مع تعريف علم البيان

## البيان في اللغة :

بمعنى الإيضاح ، والظهور ، وبمعنى الفصاحة ، وبمعنى إظهار المقصود بأبلغ لفظ ؛ فهو يدور حول الكشف والظهور " (1)

## أما مفهومه الاصطلاحي :

فلم يتحدد ويصبح مصطلحاً بلاغياً ذا دلالة خاصة إلا على أيدي رجال مدرسة التعيد والتقنين في البلاغة العربية ابتداءً من أبي يعقوب السكاكي ، ومن سار على نهجه من البلاغيين ؛ فقد أصبح البيان عندهم خاصاً بمباحث التشبيه والمجاز والكناية ، وقبل أن يتحدّد هذا المفهوم باقتصاره على هذه المباحث الثلاثة أدلى كثيرٌ من العلماء بدلوه في محاولةٍ لتعريف وتوضيح المقصود بكلمة " البيان " .

فهو عند الجاحظ " اسمٌ جامع لكلِّ شيءٍ كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير حتى يُفضى السامع إلى حقيقته ..... " (2) ، وهو عند الإمام عبد القاهر " مرادف لكلِّ من الفصاحة والبلاغة والبراعة " (3) ، نعود إلى أصحاب المدرسة التعيدية في البلاغة العربية ؛ لنرى تعريفهم لعلم البيان ، ونقف عند هذا التعريف قليلاً ، لنرى مدى الابتكار فيه.

فالسكاكي هو أوّل من عرّف علم البيان التعريف الشائع الذي تناقلته كتب البلاغة حتى يومنا هذا، حيث عرّف علم البيان بأنّه " معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ؛ ليحتزز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام المقتضى الحال " (4)

(1) لسان العرب مادة ( بين ) .

(2) البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون ص 76 ط الهيئة العامة لقصور الثقافة 2003 .

(3) راجع دلانل الإعجاز ص 43 .

(4) مفتاح العلوم ص 329 ط دار الكتب العلمية بيروت ط 1 ، 1987 .

التلخيص إلباقتضاب التعريف اللى توصل إليه السكاكى مسقطاً عبارات غاية فى الأهمية فى تحديد المصطلح، حيث عرف علم البيان بأنه " علمٌ يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه " (1) ، وتعريف السكاكى لعلم البيان أدق من تعريف الخطيب لما سأوضحه بعد قليل .

والسؤال هل تفتقت عبقرية السكاكى عن هذا التعريف ؟ لقد لاحظت صلة وثيقة بين تعريف السكاكى السابق لعلم البيان ، وبين الكثير مما كتبه الإمام عبد القاهر عن مباحث هذا العلم ، حيث أدرك الإمام السكاكى ما يريد به الإمام عبد القاهر ، وفهم كتابيه فهماً عميقاً ، فاستخرج هذا التعريف وصاغه بدقة بالغة مما كتبه الإمام عبد القاهر ثم صاغه بأسلوبه بذكاء شديد ، ولنرجع إلى دلائل الإعجاز ، وتحديد قول الإمام عبد القاهر عندما تحدث عن فضل الكناية والاستعارة والتَّمثيل على الكلام المتروك على ظاهره ، حيث يقرر " أن المبالغة التى تُدعى لهذه الأجناس ليست فى نفس المعانى التى يقصد المتكلم الإخبار بها ، ولكنها فى طريق إثباته لها وتقريره إياها " (2)

ثم يفسر - رحمه الله - كلامه قائلاً : " تفسير هذا : أن ليس المعنى إذا قلنا إن الكناية أبلغ من التصريح أنك لما كُنيت عن المعنى زدت فى ذاته ، بل المعنى أنك زدت فى إثباته فجعلته أبلغ وأكد وأشد ، فليست المزية فى قولهم " جمُّ الرماد " أنه دل على قرى أكثر ، بل إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ ، وأوجبه إيجاباً هو أشد " (3) ثم يقرر نفس القاعدة على الاستعارة فيقول " وكذلك ليست المزية التى تراها لقولك " رأيت أسداً "

(1) الإيضاح فى علوم البلاغة تحقيق د / عبد القادر حسين ص246-- ط مكتبة الآداب

1416/هـ/1996م

(2) دلائل الإعجاز ص71 بتصرف يسير.

على قولك رأيت رجلاً لا يتميّز عن الأسد في شجاعته وجرأته ، أنك قد أفدت بالأول زيادة في مساواته الأسد ، بل أنك أفدت تأكيداً وتشديداً وقوة في إثباتك له هذه المساواة ، وفي تقريرك لها فليس تأثير الاستعارة إذن في ذات المعنى وحقيقته ، بل في إيجابه والحكم به " (1)

ثم يقرر نفس القاعدة على التمثيل " وهكذا قياس " التمثيل ، ترى المزيّة أبداً في ذلك تقع في طريق إثبات المعنى دون المعنى نفسه ، فإذا سمعهم يقولون : " إنَّ من شأن هذه الأجناس أن تكسب المعاني نبلاً وفضلاً ، وتوجب لها شرفاً ، وأن تفخّمها في نفوس السامعين ، وترفع أقدارها عند المخاطبين ، فإنهم لا يريدون الشجاعة والقرى وأشباه ذلك من معاني الكلم المفردة ، وإنما يعنون إثبات معاني هذه الكلم لمن تثبت له ويخبر بها عنه " . (2)

ولننظر إلى كلام الإمام عبد القاهر السابق ونقارن بينه وبين تعريف أبي يعقوب السابق لعلم البيان وبالمقارنة بينهما يتضح الآتي :

## 1- الملاحظة الأولى :

أن المقصود بالمعنى الواحد في تعريف السكاكي ما تحدث عنه الإمام عبد القاهر من عدم تزايد المعاني ، وإنما الذي تعزبه الزيادة والنقصان هو الإثبات أو تأكيد المعنى ، وبذلك يتضح تماماً أن السكاكي أخذ هذه الجزئية من تعريفه لعلم البيان من الإمام عبد القاهر .

## 2- الملاحظة الثانية :

أن قول السكاكي في التعريف " بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان " وهذه العبارة أيضاً توضيح للعبارة السابقة " المعنى الواحد " ، حيث إن اختلاف هذه الطرق ليس في أصل المعنى ، وإنما في وضوح الدلالة كما أن فيها إشارة إلى تفاوت أساليب علم البيان في البلاغة ، والتأكيد الأمر الذي ذكره الإمام عبد القاهر عندما ذكر أن " الكناية أبلغ من الإفصاح ..... وأن للاستعارة مزيةً وفضلاً ، وأن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة " (3)

(3) دلائل الإعجاز ص 70

(2) نفسه

(1) نفسه

كما يلاحظ في عبارة الإمام السكاكي - بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالتقصان " - أهما مختلفة عن عبارة الخطيب وذلك ؛ لأن السكاكي صاغ التعريف بدقة ؛ لأنه استوعب كلام الإمام عبد القاهر فتحرى الدقة في صياغة هذا التعريف ، أما الخطيب فأظن أنه لم يدرك صنيع السكاكي ، وكان همه الأول هو التلخيص ، فكلمة بالزيادة والتقصان في وضوح الدلالة على المعنى الواحد تعنى تفاوت أساليب علم البيان في درجة التأكيد من طريقة إلى أخرى ، فالتشبيه أقل تأكيداً من الاستعارة والاستعارة أقل تأكيداً في الإثبات من الكناية كما يتفاوت كل نوع من هذه الأنواع في بلاغة أساليبه وتأكيدها ، فعلى سبيل المثال نجد أن التشبيه — الكاف " ليس كالتشبيه بـ " كأن " والتشبيه المرسل ليس كالتشبيه المؤكد وكما يقول استاذنا الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى " فإذا كانت العلاقة بين طرفي التشبيه في صورتها الأولى ذكرت الطرفين والأداة والوجه وقلت هو كالغيث في كذا وإذا قويت العلاقة قليلاً حذفت الوجه وقلت هو كالغيث فإذا ما قويت أكثر حذفت الأداة وقلت هو غيثٌ " (1)

### 3- الملاحظة الثالثة :

في قول الإمام السكاكي " ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لمقتضى الحال " (2) يعنى بذلك الاحتراز عن الخطأ في مستوى التأكيد اللازم للمقام والذي يناسبه لون من ألوان البيان دون غيره ، وذلك بحسب حال المخاطب ، كما أن " لكل صورة طبيعتها من الظهور أو الضمور ومن القوة والضعف " (3) ، ويكون ذلك بحسب العاطفة والمقام ، كما سنعرف في هذا البحث أن كثرة وشيوع لون معين من ألوان البيان في غرض معين أو في زمن ما يرجع إلى مناسبة هذا اللون البياني لهذا الغرض . ولعل ما يؤكد ما سبق أن أشرت إليه من أن السكاكي أخذ هذا التعريف من كلام الإمام عبد القاهر ما قاله الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى عن السكاكي وشرّح التلخيص " وهؤلاء الذين أقول فيهم : إن مادتهم البلاغية لا تعدو أن تكون

(1) دراسة في البلاغة والشعراء د/ محمد أبو موسى ص 94

(2) مفتاح العلوم ص 329 (3) البلاغة العربية بين القديم والحديث د عبد الحليم شادي ص 171 ط الأمانة

ط ثانية 2003/1424

صياغة ثانية لكتابي عبد القاهر إلا في مسائل محدودة ، ولو نَفَضت مفتاح العلوم -  
الذى هو رأس هذا الطريق - من تراث عبد القاهر لكان أكثره صحفاً بيضاء .....  
وبهذا يظهر ظهوراً قاطعاً أن كتاب المفتاح هو الشكل المصنف والمقنن لتراث عبد القاهر  
(1)»

نعم لقد نقلوا ما كتبه الإمام عبد القاهر بطريقة حوّلت البلاغة إلى " علم عبارة عن  
قوانين وقواعد تخلو من كل ما يمتع النفس إذ سُلط عليها المنطق بأصوله ومناهجه الحارة  
" (2) حقاً لقد جفّت البلاغة وأصبحت ثقيلة على نفوس وعقول طلاب العلم بكثرة  
التقسيمات والقواعد المنطقية التي ابتليت بها البلاغة العربية على يد هؤلاء الملخصين  
والشراح ، ولا أجد لهم شيئاً إلا بنحوى وقف يلقي خطبةً على جمع من الناس فدفعه  
شغفه وحبّه لقواعد النحو أن يعرب كل كلمة يتفوه بها فأخذ يقول " إن الحمد لله " إن  
حرف توكيد ونصب والحمد إسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة.... فمزّق خطبته  
شرّ ممزّق وشتّت أذهان النَّاس وصرفهم عن الاستمتاع والاستماع له ولأمثاله وصار  
بسامعيه إلى طريق غير التي قصدوها .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن ما منزلة التشبيه من ألوان البيان هذه ؟ هل هو مبحثٌ  
رئيسٌ من مباحث البيان ؟

لقد اضطرب البلاغيون في تحديد مكانة التشبيه من علم البيان أ هو مبحثٌ أصليٌّ أم  
أنه مقدمةٌ وتمهيدٌ لغيره ، ولعل تعرّض أصحاب مدرسة التعميد إلى مبحث الدلالة  
لتفسير عبارة السكاكي : " في وضوح الدلالة " - له دور كبير في هذا الاضطراب ، لأنهم  
قسّموا الدلالة ثلاثة أقسام " دلالة المطابقة ، دلالة التضمّن ، ودلالة الالتزام ، وجعلوا  
تأدية المعنى بطرقٍ مختلفةٍ - والتي هي وظيفة أساليب البيان تتأى بالدالتين التضمينية  
والالتزامية ، ولا تتأى بالدلالة المطابقية ، وبناءً عليه أخرجوا التشبيه من مباحث علم  
البيان الأصلية ؛ لأنّ دلالاته مطابقية أو وضعية فهو من وادى الحقيقة لا المجاز " . (3)

- 
- (1) دراسة في البلاغة والشعر د / محمد أبو موسى ص 118  
(2) انظر البلاغة تطور وتاريخ د / شوقي ضيف ص 288 ط دار المعارف ط الثالثة د - ت والبيان  
العربي د / بدوى طبانة ص 58 ، ص 347 ط الانجلو المصرية ط رابعة 1968م.  
(3) راجع فن التشبيه د على الجندی ص 20 وما بعدها - ط - الانجلو المصرية ط 2 1386هـ/ 1969م .



وبالرغم من هذه النظرة إلى التشبيه إلا أنهم يوردون أمثلة التشبيه في إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ؛ لذلك نجد أن بعض العلماء تنبهوا إلى هذا الاضطراب الذى وقع فيه البلاغيون فسعد الدين التفتازانى يقول : بعد أن شرح تعريف علم البيان على طريقة البلاغيين " هذا هو الكلام فى شرح مقدمة علم البيان على ما اخترعه السكاكى وأنت خيرٌ بما فيه من الاضطراب ، والأقرب أن يُقال علمٌ يُبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية " (1) .

وأرى أن التشبيه مبحث أصيل من مباحث علم البيان ، وأنه يفيد ما يفيد غيره من أساليب البيان من تأكيد المعنى بطريقةٍ غير مباشرةٍ ، وقد تحدث الإمام عبد القاهر عن التشبيه بما يبيّن أنه يؤكد المعنى بطريقٍ غير مباشر ( اللزوم ) ، وبذلك يدخل فى مباحث علم البيان الأصلية ، ففي حديثه عن اتفاق الشعاعين فى معانى بعض الأبيات يقول : " اعلم أنّ الشعاعين إذا اتفقا لم يخلُ ذلك من أن يكون فى الغرض على الجملة أو فى وجه الدلالة على ذلك الغرض ، والاشترار فى الغرض على العموم أن يقصد كل واحد منهما وصف ممدوحه بالشجاعة والسّخاء ..... وأما وجه الدلالة على الغرض فهو أن يذكر ما يستدل به على إثباته له الشجاعة والسخاء مثلاً وذلك ينقسم أقساماً : منها التشبيه بما يوجد هذا الوصف فيه على الوجه البليغ والغاية البعيدة كالتشبيه بالأسد ، وبالبحر فى البأس والجود " (2) .

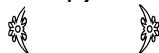
فقد جعل الإمام التشبيه وسيلة لإثبات المعنى بطريقةٍ غير مباشرةٍ مثلما أثبت ذلك للكناية والاستعارة والتّمثيل عندما تحدث عن المعنى ومعنى المعنى " تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذى تصل إليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يقضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر " (3) .

---

(1) المطول ص 310 سعد الدين مسعود التفتازانى الهروي ط مطبعة أحمد كامل 1330 هـ .

(2) أسرار البلاغة ص. 338.

(3) دلائل الإعجاز ص. 263.



ومعنى كون التشبيه وصفًا غير مباشر أو تأكيدًا غير مباشر أنّ المشبه يلحق بالمشبه به في صفةٍ غير مُصَرَّحٍ بها في الكلام في بعض طرق التشبيه بل في الكثير منها ، وذلك مثل قولنا " مُجَّد كالأسد " ألحقنا مُجَّد بالأسد ووصفناه بما يوصف به الأسد وهي الصفة الغالبة المشتهرة في الأسد وهي الشجاعة وهي وصف لم يُصَرَّح به في الكلام . وهكذا جاءت أغلب تشبيهات الشعراء في كل زمان بدون ذكر وجه الشبه على ما سنراه إن شاء الله في فصل الخصائص الفنية .

وأرى أن هذا الأمر يعدُّ من اللزوم بمكان إلا أنه لزومٌ لا يستفاد من كل طرف من طرفي التشبيه على حدة وإنما يستفاد من تعلقهما والرَّبط بينهما بآداة التشبيه سواء كانت ملفوظة أم مقدره .

وبذلك يكون اللزوم أو معنى المعنى موجوداً في التشبيه أيضاً إلا أنه أضعف من اللزوم في المجاز والكناية ، وذلك لسرعة الوصول إلى الصفة اللازمة لقلّة الوسائط بخلاف المجاز و الكناية ، على أنه توجد تشبيهات تحتاج إلى تأمل وإعمال فكر لاستخراج وجه الشبه وهذه يمكن أن نقول عنها إنها تقترب من اللزوم في المجاز .

والدليل أيضاً على وجود اللزوم في التشبيه أن الإمام عبد القاهر لاحظ وجود هذا اللزوم أو الانتقال من معنى إلى معنى آخر في التشبيه، الأمر الذي دعاه إلى التفرقة بين التمثيل والتشبيه باعتبار الحاجة عند استخراج وجه الشبه إلى تأوُّل من عدمه والتأوُّل هذا الذي عناه الإمام عبد القاهر هو اللزوم .



يقول الإمام عبد القاهر " اعلم أن الشئيين إذا شُبِّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما : أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأوّل والآخر أن يكون الشبه مُحصَّلاً بضرب من التأوّل " (1) " ثم إن ما طريقة التأوّل يتفاوت تفاوتاً شديداً ، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه ..... ومنه ما يُحتاج فيه إلى قدرٍ من التأمل ، ومنه ما يدقّ ويغمُض حتى يُحتاج في استخراجِه إلى فضل رويّة ولطف فكرة " (2) .

وفي بيان معنى " التأوّل " يقول " وليس ههنا عبارة أخصّ بهذا البيان من " التأوّل " ؛ لأنَّ حقيقة قولنا " تأوّلْتُ الشئ " أنك تطلّبت ما يؤوّل إليه من الحقيقة ، أو الموضوع الذى يؤوّل إليه من العقل " (3) .

والسيد الشريف الجرجاني يرى أنّ التشبيه مبحثٌ رئيسٌ من مباحث علم البيان وله مراتب مختلفة في الوضوح والخفاء مع أن دلالاته وضعيّة " (4) " كما أن دلالة طرفي التشبيه وإن كانت دلالة وضعيّة يفهم منها معناها الوضعي ، إلا أنّ المقصود الأصلي ليس المعاني الوضعيّة فقط ، فإنّ قولنا وجهٌ كالبدر ، لا تريد مفهومه وضعاً بل تريد الوجه المتناهي في الحسن ، لكنّ ذلك لا ينافي إرادة المعنى الوضعي للطرفين " (5) .

---

(1) أسرار البلاغة ص 90 (2) المرجع السابق ص 93 (3) نفسه ص 98  
(4) راجع حاشية السيد الشريف على المطول ص 310 نقلا عن فن التشبيه د/على الجندي ص 24  
(5) شرح الفوائد الغيائية بتصرف ص 195 نقلا عن فن التشبيه د/ على الجندي ص 24

وبعد :

فقد اتضح من خلال ما سبق كون التشبيه مبحثاً رئيساً من مباحث علم البيان ،  
واتضح أيضاً أن للتشبيه درجاتٍ متفاوتةً في الوضوح والخفاء ودرجات متفاوتة في اللزوم

والعجيب أنه بعد كل هذه الميزات التي يمتاز بها التشبيه ، عدّه بعض العلماء مقدمة  
لدراسة الاستعارة لابتناء الاستعارة عليه وليس من مباحث علم البيان الأصلية وليس  
هذا صحيحاً ؛ لأنّ ابتناء الاستعارة على التشبيه لا تلزمه دراسة تفصيلية للتشبيه  
ومباحثه ، والأشدّ عجباً أن أحد دعاة الحداثة الذين يرغبون في هدم هذه اللغة ونقض  
أسسها يزعم أنّ الشبيه لا قيمه له ، وأنّه ينبغي أن يخرج من حيز الصورة الشعرية لا من  
حيز المجاز فقط بحجة أنّ التشبيه " يبقى على الجسر الممدود فيما بين الأشياء ، فهو  
لذلك ابتعاد عن العالم ... فتشعر أنّ التشبيه ينظر إلى الأشياء باعتبارها أشكالاً لا معاني  
أو وظائف - هو إذن لا يمتلكها لا يتوحد معها ، لا يقبض عليها " (1)  
أين هذا المدعى من أمثلة التشبيه القرآنية والشواهد الشعرية التي تفيض بالايحاءات  
والجمال !! ولكنّها الرغبة في المخالفة .

---

(1) زمن الشعر د/ على أحمد سعيد ( أدونيس ) ص104 نقلاً عن الصورة البيانيّة د /محمود بن ص11

# التصوير البياني وبلاغته في شعر المدح

## المدح :

المدح فنٌ أصيل طرّقه الشعراء في العصر الجاهلي ، حيث كان الكثير منهم من أمثال حسّان والنابعة الذبياني يمدحون الملوك رغبة في التقرب منهم ونيل عطاياهم ؛ فقد مدح حسان والنابعة ملوك الغساسنة ونالا عطاياهم ، فلما جاء الإسلام وطهر هذه النفوس من النفاق والتعلق بأطماع الدنيا ، تحوّل الشعراء وعلى رأسهم حسّان من مدح الملوك والعظماء إلى مدح الإسلام ونبيّ الإسلام وأتباعه فقد عظمت مكانة النبي ﷺ وشعروا بأنّه ﷺ كما وصفه ومدحه القرآن الكريم بأنه نور قال تعالى :

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (1)

وقال تعالى :

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى

اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ (2)

فانطلق الشعراء يصوّرون النورين نور النبي ﷺ ونور الرسالة ، ولكنّ النبي ﷺ لم يكن ليفعل مثل ملوك الدنيا ، يفرح ويطرب للثناء والمدح ، فلم يطلق العنان للشعراء فقد " كان هذا الصدر من أهل الإسلام يكفُّون ألسنتهم عن ذكره صلوات الله وسلامه عليه بثناء إلا ما أمروا به " (3) وهذا دليل على أنّ النبي ﷺ لم يكن يجب المدح والثناء على طريقة أهل الجاهلية .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

الْخُدْرِيِّ قَالَ بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَرَجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنَشِدُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذُوا الشَّيْطَانَ أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ لِأَنَّ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَبِيحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ

شِعْرًا ﴿٤﴾ (4)

(1) سورة المائدة الآية (15) . (2) سورة الأحزاب الآيتان (45 ، 46) .

(3) قراءة في الأدب القديم د / محمد محمد أبو موسى ص 80 . \*العرج/ قرية بالقرب من المدينة .

(4) صحيح مسلم ج5/7 كتاب الشعر حديث رقم 90 ط دار الفكر بيروت د . ت .

كما أن النبي ﷺ قال :

(1) إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْشُوا فِي وُجُوهِهِمُ الشَّرَابَ

كما نهي النبي ﷺ أمته عن المبالغة في مدحه وتعظيمه حيث قال ﷺ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَسَ الْمُنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُطْرُقُونِي كَمَا أَطْرَقَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ (2)

والمتمثل في شعر هذه الفترة يجد أن مدح الشعراء للنبي ﷺ إنما كان يتعرض له الشاعر في أبياتٍ محدودةٍ ممتزجاً بغيره من المعاني الإسلامية، من هداية الرسالة ومدح الصحابة ، كما أنهم لم يمدحوا النبي ﷺ إلا بما مدحه به الله سبحانه وتعالى كما سيتضح في تحليل أبيات المدح .

وخير شاهد على ذلك أن القصيدة الطويلة التي يعتذر فيها كعب بن زهير للنبي ﷺ لم يوجه له فيها مدحاً مباشراً إلا في بيتٍ واحد . وهو قوله -

إِنَّ الرِّسُولَ لَنُورٍ يُسَيِّضَاءُ بِهِ ◆ مُهَنْدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ (1)  
وقصيدة حسان التي يجب فيها شاعر بنى تميم ، لم يتعرض فيها بالمدح للرسول ﷺ مباشرة ، وإنما نراه يكتفى بوصف النبي ﷺ بأنه نبيُّ الهدى، حيث يقول :-  
أَعْطُوا نَبِيَّ الْهُدَى وَالْبِرِّ طَاعَتَهُم ◆ فَمَا وَنَنْصُرُهُمْ عَنْهُ وَمَا نَزَعُوا (4)  
ثم يذكر النبي ﷺ في بيت آخر مفتخراً بقيادته، حيث يقول :-

أَكْرِمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ قَائِدُهُم ◆ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْبُغُ (5)  
وسنرى في هذا الباب مزيداً من التفصيل والتوضيح لهذا الأمر من خلال تحليل أبيات المدح ، وسنبداً بمدح النبي ﷺ.

(1) صحيح مسلم حديث رقم 5323

(2) صحيح البخارى ج 4/142 ط دار الفكر استنبول وفتح البارى لابن حجر ج 3/398 ط دار المعرفة بيروت ط 3 د. ب. ت. (3) شرح ديوان كعب بن زهير / لابی سعيد بن الحسن السكرى ص 23 ط ثالثة ط دار الكتب والوثائق القومية القاهرة 1423هـ/2002 م. (4) ديوان حسان ص 239 البيت رقم (16) (5) نفسه البيت رقم (21)

# أولاً : تصوير نُور النبي ﷺ

## (1) تصوير نور النبي ﷺ الظاهر

يقول حسان : يوم بدر " (1) [ من البسيط ]

فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نتبعه  
مباركُ كضياءِ البدرِ صورتهُ  
مُستعصمين بحبلٍ غيرِ منجذمٍ  
حتى المماتِ ونصرٌ غيرُ محدودٍ  
ما قالَ كان قضاءً غيرَ مردودٍ  
مستحكِم من حبالِ اللهِ ممدودٍ

يفتخر حسان في هذه الأبيات بوجود النبي ﷺ فيهم ويتمسكهم بالعقيدة وطاعتهم لكل أوامر النبي ﷺ ؛ لأنَّ ما جاء به من الهدى ، هو الحبل المتين الذي يصلهم بالله جلَّ في علاه ، ويشبهه حسان النبي ﷺ في البيت الثاني بالبدر في صورته بجامع الإشراق وحسن الطَّلعة ، وتشبيهه الوجه المشرق بالبدر شائعٌ عند كثيرٍ من الشعراء ، إلا أنَّ مناسبة الأبيات ونظمها يعطى للتشبيه جدَّة ودقَّة .

فحسان يصوِّر هيئة النبي وصورته ﷺ بصورة البدر في الإشراق والنور وحسن الطَّلعة ، في مقام لا يُتوقَّع فيع بشاشةٌ ولا إشراقٌ ، وإنما يُتوقَّع فيه اضطرابٌ وخوفٌ وعبوسٌ ، فهذه فئةٌ قليلةٌ في العدد والعدة تواجه فئةً كثيرةً العدد والعدة ولكنَّ النبي ﷺ لما كان واثقاً من نصر ربِّه كان منشرح الصدر مشرق الوجه ، ثم إنَّ هذه الصورة التشبيهية تزداد قيمتها البلاغية " بمراعاة المقام ودقة النظم وتضامن الأسلوب وصدق الشعور ومعانقة التشبيه للون بياني آخر هو الكناية " (3) ، حيث إن وصف الرجل في حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر " (4) كناية عن كمال الشجاعة كما أنَّ هذه الصورة كناية أيضاً عن إيمان النبي ﷺ وثقته بربه .

- 
- (1) ديوانه ص 242 قصيدة رقم (16) من قصيدة له يصف جيش المسلمين .  
(2) الجذم- القطع ص 54 أساس البلاغة مادة جذم ط - دار إحياء المعاجم العربية - القاهرة ط أولى 1372هـ/1953م.  
(3) في رحاب البيان العربي دراسة بلاغية تحليلية أ . د / صباح دارز .أ. د/ أحمد ناجي ص 16 ط 1424هـ/2003م. ( بتصرف )  
(4) أسرار البلاغة ص 338.

وهذا المعنى وهو المدح بإشراق الوجه والثبات في مواطن الخوف والفرح عبر عنه كثير من الشعراء مثل قول المتنبي (1)

تمرُّ بك الأبطالُ كلِّمى هزيمةٍ ♦ ووجهك وضَّاحٌ وثغرك باسمٌ

ويقول الأعمش (2)

أنت خيرٌ من ألفٍ من القو ♦ م إذا ما كَبَّت وجوهُ الرِّجالِ

ونرى سيدنا حسان يحذف المسند إليه في قوله "مبارك" لسبق ذكره ومبالغة في إثبات الصفة للنبي ﷺ ثم تلتحم الاستعارة التمثيلية في البيت الثالث بالصورة التشبيهية الكنائية في البيت الثاني، حيث تبين سبب الإشراق والتهلل في هذا المقام الذي لا يُعهد فيه إشراق ولا تهلل - وهو اعتصامهم بدين الله، حيث صوّر هيئتهم ، وقد استظهروا بدين الله وطاعة رسوله بهيئة من يتشبّث بحبلٍ متينٍ هو سبيل نجاته ، وقد عبّر بالحال في قوله "مستعصمين" للدلالة على دوام تمسكهم بدين الله.

وقد جاء نظم الأبيات مؤازراً لهذه الصور البيانية فقول حسان " ما قال كان قضاءً غير مردود " تعليل آخر لإشراق وجه النبي ﷺ في هذا المقام وهو أنه مُطاعٌ في أصحابه وأنهم مانعوه ولن يخذلوه أبداً ، كما أنّ إيثار الشاعر " ما الموصولة " وهي " اسم مبهم غاية في الإبهام ". (3) يدلُّ على أنّ النبي ﷺ مُطاعٌ في كلّ ما يقوله ، وأنّ كلّ قولٍ يصدر عنه كالقضاء النافذ الذي لا يُردُّ، حيث شبه أوامر النبي ﷺ بالقضاء . بجامع الإلزام ثم يؤكّد أمر الطاعة بقوله " كان قضاءً " باستخدام الماضي الذي يدل على تحقق الوقوع ، وألمح في تشبيهه ﷺ بالبدر مقصداً آخر لحسان يوحى به قوله " ونصر غير محدود " في البيت الأول وقوله " مبارك " فالتشبيه بالبدر يوحى بعلو منزلة النبي ﷺ على كل مرتقٍ فهو ينال من أعدائه ولا ينالون منه .

(1) ديوانه ص 428/3 ت عبد المجيد دياب ط ثانية - دار المعارف 1992 م .

(2) ديوانه ت/د/محمد محمد حسين ص 61/ت-د-محمد محمد حسين-ط مؤسسة الرسالة بيروت-1993م

(3) البرهان في علوم القرآن /398/4 بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ط ثانية طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت د ت .

كما أنه لا يستطيع أحد أن يمنع رسالة النبي ونوره عن الانتشار كما لا يستطيع أحد أن يحجب نور البدر، حتى وإن توارى خلف الغمام قليلاً فإنه لا يلبث أن يظهر مهما كانت الحجب فإنها لا بد أن تزول ويظهر نوره ، وهذا هو النصر غير المحدود .  
وهكذا تشعُّ الأبيات نوراً وثباتاً على العقيدة ، وعمق محبة للنبي ﷺ ، والذي يدل على عمق محبتهم للنبي ﷺ إيثار حسان حرف الجرِّ " في " دون الظرف " بين " ؛ لأنَّ " في " تدل على التمكن والاستقرار في قوله " فينا الرسول " ، وألمح في تقديم المسند في قوله ( فينا الرسول - فينا الحق ) ألمح نبرة الفخر بوجود الرسول ﷺ فيهم وما أنزل عليه من الكتاب والحكمة .



## (2) مدحه ﷺ بنوره الظاهر والباطن

يقول عبد الله بن رواحة (1) [ من البسيط ]

تحمله الناقة الأدماء \* معتجراً (2)  
وفى عطافيه أو أثناء بُردته  
بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم  
ما يعلم الله من دين ومن كرم

يشبه عبد الله النبي ﷺ ، وقد علا ناقته بالبدر في نوره ثم يثبت له بعد ذلك صفتين من أبرز صفاته ﷺ وهما صفتا الكرم والدين .

والصورة التشبيهية في البيت الأول صورة رائعة التقى فيها التشبيه مع ثلاث صور بديعية هي الاحتراس (3) في قوله " معتجراً" والايغال (4) في قوله " جلى ليله الظلم " والجناس بين البرد والبدر .

فقوله " معتجراً " يخلص المعنى مما لا يريده الشاعر فالشاعر أراد أن يثبت لوجه النبي ﷺ استدارة مع إشراق يشبه بها البدر، والاستدارة لا تتحقق إلا بهذه الهيئة " الاعتجار " ، وهي أن يتعمم الرجل دون أن يلقي شيئاً تحت لحيته . إذن فالصورة التي يقصدها الشاعر هي أن يشبه النبي ﷺ وقد علا ناقته معتجراً ببرده مستدير الوجه في تمام نوره - بالبدر المكتمل ، وقد علا وارتفع فجلى الظلمات ، وقد جاء بالإيغال وهو نوع من أنواع الإطناب (5) ليدل به على معنى زائد وذلك في قوله " جلى ليلة الظلم " فقوله كالبدر أفاد الإشراق والاستدارة والنور إلا أنه جاء بالإيغال ليؤكد تمام النور حيث إنّه يبدد الظلمات

\* الأدمة : في الإبل لون مشرب سواداً أو بياضاً.

- (1) ديوانه ص 164 تحقيق د / وليد قصاب ط دار الضياء الأردن .
- (2) الاعتجار / لف العمامة دون التلجى ، وهو أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه ( اللسان ) ج 9 ص 292 .
- (3) الاحتراس " أن يأتي في كلمة بما يخلصه من الدخيل (4) " والايغال " أن يأتي بالقافية بعد المعنى لتفيد معنى زائداً راجع تحرير التجبير لابن أبي الإصبع تحقيق د / حفني شرف-ص 245,233 ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط 1416هـ/1995 م.
- والبديع في البديع لأسامة بن منقذ ص 90 تحقيق على مهنا ط دار الكتب العلمية بيروت 1407هـ-1997م
- (5) قبسات من بلاغة المعاني د عبد الحليم محمد شادي-ص 10- ط أولى مطبعة الأمانة 1409هـ/1989

وليدل على دوام نور النبي ﷺ وعظيم نفعه وذلك ؛ لأنَّ البدر في ليلة تمامه يستغرق الليل كله من بعد الغروب وحتى طلوع الفجر وهذا يدل على تمام فضله وعظيم نفعه . وللجناس بين البرد والبدر موقعه وحسنه ، وذلك لما بين اللفظين من تقاربٍ ٍ يعطى جرساً موسيقياً وكما أثبت للنبي ﷺ نوراً لوجهه وهو نورٌ حقيقيٌّ ظاهرٌ عاد فأثبت له نورَ باطنٍ متمثل في صفتين جامعتين لكل صفات الخير ، وقد سلك لبيان ذلك طريق الكناية عن نسبة وهو أبلغ في إثبات هاتين الصفتين له ﷺ فكأنَّه أراد أن يقول أن هذا الجسد المتوارى في هذا البرد إنما هو دين وكرم ، وتمام هذه الصورة قوله " ما يعلم الله " أى أنَّ دينه وكرمه ﷺ وإن رأى الناس منهما جانباً إلا أنَّهما لكثرتهما وعظمتها لا يحيط بهما إلا الله وقد خصَّ عبد الله هاتين الصفتين لأنَّهما جامعتان لكل أصناف الخير .

وهكذا يحيط عبد الله بصورته هذه بنور النبي ﷺ ظاهراً وباطناً " فالصورة الشعرية لا تكتمل إلا حين يحيط الوصف بجميع صفات الموصوف " (1)

---

(1) الموازنة بين الشعراء د/ نكي مبارك ص 9 مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ط الثالثة 1973/1393 م





## (2) المدح بالهداية والشجاعة

يقول كعب بن مالك " (1) [ من البسيط ]

فينا الرسولُ شهابٌ ثم يتبعُهُ  
الحقُّ منطِقُهُ والعدلُ سيرتُهُ  
نجدُ المقدمَ ماضى الهَمِّ معتزِمِ  
يمضى ويذمرنا (3) عن غيرِ معصيةِ  
بداننا فاتبعناهُ نصدِّقُهُ  
نورٌ مضى له فضلٌ على الشَّهبِ  
فمنٌ يُجِبُّهُ إليه ينجُ من تببِ (2)  
حين القلوبِ على رجفٍ من الرعبِ  
كأنه البدرُ لم يُطْبَعِ على الكذبِ  
وكذبوه فكنا أسعدَ العربِ

في هذه الأبيات يبيِّن كعبُ فضلَ النبي ﷺ وأنه نور يهدى ويُخرِّجُ الناسَ من ظلماتِ الجهلِ والضلالِ ، وأنه لا ينطقُ إلا بالحقِّ ولا يقضى إلا بالعدلِ فمن أجابه إلى الحقِّ الذي جاء به والعدلِ الذي سار عليه ، فقد نجا من الهلاكِ ، وهو شجاعٌ مقدِّمٌ في المواقفِ التي ترتعدُ فيها الفرائسُ وتوجِّفُ فيها القلوبُ ، فهو لا يتخلفُ عن الظهورِ والحضورِ في الوقتِ الذي يُرجى حضوره فيه ، ثم يمدحُ قومه باتِّباعهم له ﷺ .

وقد استعان كعبٌ بالتصويرِ البارعِ في هذه الأبياتِ ، حيث يبدأ بتشبيهِ الرسولِ ﷺ بالشهابِ ، وقد اختار الشهابَ دون البدرِ أو النجمِ " ؛ لأنَّ السياقَ الحربيَ الذي وردت فيه الصورة اقتضى اضمحاء هذه الحركة السريعة والتي يقتضيها المشهد " (4) كما أنه أراد أن يثبت له ﷺ هداية وإرشاداً لأصحابه وإحراقاً وإهلاكاً لأعدائه . وقد حرص كعبٌ ابتداءً على المزجِ بين نور النبي ﷺ ونور الرسالة وذلك حين استعار النور للرسالة على سبيل الاستعارة التصريحية وجعلها تابعة له ﷺ " ثم يتبعه نور " فهو ليس مجرد مبلغٍ وموصلٍ للرسالة وإنما هو بشخصه وفعله جزءٌ من هذا النور ، وما أجمل التطابق بين الهيئتين هيئة الشهابِ ، وقد اتصل به نور تابع له وهيئة النبي ﷺ .

(1) ديوانه ص174 ، ص175 من قصيدة له يوم بدر مطلعها (2) التيب : الخسران والهلاك - الوسيط مادة " تب " ص 81 (3) يذمرنا : يحضنا ويدفعنا - الوسيط مادة " ذمر " (4) أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية ص 87 .

وقد جاء بالرسالة الهادية التابعة له والتي تظهر في سلوكه وأقواله وحركاته وسكناته فهي تابعة له ، ثم يبرهن على ذلك بالبيت الثاني وذلك في قوله " الحق منطقه والعدل سيرته " ففي الجملتين تقديم وتأخير ، وأصلهما " منطقه الحق " ، " سيرته العدل " ولكنه قدم المصدر للتوكيد وإظهارا لصفات النبي ﷺ فالتعبير بالمصدر يدل على تمام الصفة ، وقد أكد نور الرسالة بوصف في معناه، حيث إن من معاني النور الإضاءة ، وهو احتراسٌ جميلٌ ليدلَّ على تمام نور الرسالة وكما لها ؛ لأنَّ النور قد يكون خافتاً إذا كان مصدره ضعيفا .

وفي البيت الثالث نراه يصوِّر شجاعة النبي ﷺ عن طريق الكناية في قوله " حين القلوب على رجف من الرعب " وهي كناية عن شدة الحرب وضراوتها ، وقد أثبت قبلها للنبي ﷺ إقداما وهمّة فكونه ﷺ مقادما هماما في هذا الموقف العصيب دلالة على شجاعته ﷺ ، وفي البيت الرابع يؤكِّد صفة الشجاعة التي وصف بها النبي ﷺ في البيت الثالث بصورة تشبيهية بديعة ، حيث يشبّه النبي ﷺ في عدم تخلفه عن الغزوات وهداياته لأصحابه في هذه المواقف العصبية ، وتبديد جموع أعدائه ، بالبدر لا يتخلف عن مواعده أبداً ولا عن وظيفته ، فهو يسير بنظامٍ دقيقٍ قدره رب العالمين وهو دائماً يظهر فيكشف الظلمات ويهدى السائرين . وهذا التشبيه من إبداعات كعب فلم أجده عند غيره ، وقد استخدم الأداة " كأن " ؛ لتأكيد التشبيه .

واحتراس كعب بقوله " عن غير معصيةٍ " احتراسٌ رائعٌ حتى لا يُظنَّ أنَّ دفع النبي ﷺ وحثّه إياهم على القتال بسبب إباءٍ أو جبنٍ منهم .

وقوله في البيت الأخير " بدا لنا " مناسبٌ لتشبيهه النبي ﷺ بالبدر ، كما أنه يدلُّ على أن النبي ﷺ قد تحلَّى بصفات النبوة حتى قبل بعثته ثم ظهرت ببعثته وذلك ؛ لأنَّ الفعل بدا يعني " أن شيئاً كان مستتراً تحت شيءٍ ثم ظهر " (1)

(1) الشباب والشيب في شعر ابن الرومي ص113 رسالة ماجستير - كلية اللغة العربية - إيتاي البارود

وقد عبر كعب عن الاتِّباع بالفعل الماضي الذي يدلُّ على تحقُّق الوقوع وسرعة



الاستجابة, وعن التصديق بالفعل المضارع " نصدِّقه " الذى يدل دوام التصديق وتجذُّده ، والطباق بين نصدقه وكذبوه يوضِّح مدى المفارقة بين الحالين حال المؤمنين وحال المعاندين الجاحدين ، وفي قوله " أسعد العرب " مراعاة نظير، حيث إن السُّعود والنحس مناسبان للبدر والنجوم والشهب .



## ثالثاً : مدح المؤمنین

### (1) المدح بالقوة والكرم :

يقول كعب بن مالك في خبير : - (1) [ من الطويل ]

- (1) وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَرًا وَفُرُوضَهُ (2)  
(2) جَوَادٌ لَدَى الْغَايَاتِ لَا وَاهِنَ الْقَوَى  
(3) عَظِيمٌ رَمَادِ الْقَدْرِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ  
(4) يَرَى الْقَتْلَ مَدْحًا إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً  
(5) يَذُودُ وَيَحْمِي عَنْ ذِمَارٍ (3) مُحَمَّدٍ  
بِكَلِّ فَتَى عَارِي الْأَشَاجِعِ (3) مِذْوَدٍ  
جَرِيءٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ  
ضَرْوَبٌ بِنَصْلِ (4) الْمَشْرِقِيِّ الْمَهْنَدِ  
مَنْ اللَّهُ يَرْجُوها وَفَوْزاً بِأَحْمَدِ  
وَيَدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

الكرم خلقٌ عربيٌّ أصيلٌ ، كثيراً ما تَغَيَّى به الشعراء مفتخرين أو مادحين ، وكم من أناسٍ خَلَدَ الكرمُ ذكْرهم ، وصفة القوة هي الأخرى من الصفات التي تناولها الشعراء فخراً ومدحاً ، وكعب في هذه الأبيات يفتخر بقوة وكرم المحارب المسلم ، فيصور قوّته وكرمه ، وشجاعته في الحروب وحرصه على الشهادة في سبيل الله دفاعاً عن النبي الأمين ﷺ وعن دين الله ، ولأنّه يفتخر فقد عرّف المسند إليه بالضمير افتخاراً على هؤلاء اليهود ، وقد يكون التعريف بالضمير للقصر ، أي قصر الورود والغزو على المسلمين لا على اليهود كما كانوا يزعمون من أنّهم سوف يخرجون النبي والمؤمنين من المدينة فيكون من قصر القلب.

وقد سلك كعبٌ في هذه الأبيات طريق الكناية ، ففي البيت الأوّل كنايةً عن صفةٍ وهي صفة القوة في قوله " عارى الأشاجع " وهي كناية متداولة عند كثير من الشعراء يقول حسان " (6)

بِكَلِّ فَتَى عَارِي الْأَشَاجِعِ لَاحَهُ قِرَاعَ الْكَمَاةِ يَرِشُحُ الْمَسْكَ وَالذَّمَا

- (1) ديوانه ص 196 قصيدة رقم (15) .  
(2) فروضه : فرضة النهر مشرب الماء منه - اللسان مادة (فرض) ج 11 ص 161 .  
(3) الأشاجع : عروق ظاهر الكف وهو مغرز الأصابع ج 8 ص 27 اللسان مادة (شجع) .  
(4) نصل / النصل حديدة السيف ما لم يكن لها مقبض : اللسان مادة (نصل) ج 14 ص 274 .  
(5) ذمار / ذمار الرجل كل ما يلزمك حفظه وصيانتة وحمايته والدفع عنه اللسان ج 6 ص 72 مادة (ذمر)  
(6) ديوانه ص 130 .



وهي كناية عن القوّة ؛ لأنّ الأشجاع هي أعصاب ممدودة فوق السلامى عاريةً من اللحم وغرّيتها من اللحم دليلٌ على قوتها بسبب كثرة التدريب والممارسة للقتال ، ثمّ يكتّى عن صفة الكرم بقوله " عظيم رماد القدر في كل شتوة " ، وهي أيضاً من الكنايات الشائعة ، وجاء بكلمة " عظيم " دون كثير للمبالغة في إثبات الصفة ، وقيد رماد القدر بقوله " في كل شتوة " ؛ لأنّ زمن الشتاء تقل فيه الحركة ويكثر فيه الجوع ثمّ انظر كيف جمع لهذه اليد بين الكرم مع الأضياف والشدة على الأعداء، حيث عبّر عن شدته على أعدائه بقوله "ضروب بنصل المشرفى المهند " ، وقد عبّر عن هذه الشدة بصيغة المبالغة " ضروب " على وزن فعول .

وفي قوله يرى القتل مدحاً " كنايةً عن صفةٍ هي قوة الإيمان ، فالإنسان المؤمن يقبل على الموت ليقننه من عظيم ثواب الشهادة ، وقد أكد كعبٌ على أنّ حرصه على الموت هو ابتغاء الشهادة من الله بقوله " إن أصاب شهادة ، وذلك ؛ لأنّ هذا المعنى الذى عبّر عنه كعب موجود فى كل الأمم ، فقد يندفع الإنسان إلى الموت بدافع الحمية أو العصبية الجاهلية أو النجدة أو الدفاع عن الأهل والعرض والمال فهو يخلّص هذه الصفة من أى دافع آخر غير ابتغاء وجه الله ، ؛ ولذلك نجد هذا الكناية موجودة فى شعر الجاهليين والإسلاميين فى العصور المتأخرة يقول عمرو بن كلثوم <sup>(1)</sup>

بفتيانٍ يرون القتل مجداً وشيبٍ فى الحروب مجربينا

ويقول السموأل <sup>(2)</sup>

وإنّا أناسٌ لا نرى القتل سبباً إذا ما رأته عامراً وسلولاً  
ولاحظ وجود فعل اليقين "يرى" عند الشعراء الثلاثة مما يدل على أنّ هذا الأمر - وهو الحرص على الشهادة عند كعب والحرص على القتل دفاعاً عن الأهل عند عمرو - إنما هو أمرٌ لا شك فيه .

(1) شرح المعطقات السبع للزوزنى ص175.

(2) ديوانه ط بغداد 1955 ص79.

ولاحظ تعليق كعب رؤية القتل مدحاً على اسلوب الشرط " إن أصاب شهادة " ثم انظر إلى ما توحى به كلمة أصاب من القصد والحرص والوعى ، ثم انظر إلى بلاغة تقديم لفظ الجلالة مع حرف الجر كيف أفادكون الشهادة من الله " أى شهادة من الله له بالجنة " وفي الوقت نفسه أفاد التّقديم القصر أى أنه يرجو الثواب من الله لا من الناس ، وهذا من كمال الإخلاص ، وأحسب أن إيثاره اسم " أحمد " دون " مُحَمَّد " عند حديثه عن الفوز بالرسول ﷺ مع أن اسم مُحَمَّد ﷺ هو الشائع عندنا- نحن المسلمين - أرى في إيثاره لأحمد إشعالاً لنار الحقد وتأجيحاً للغیظ في نفوس اليهود ، لأنهم كانوا يستفتحون به على المشركين ويعرفونه باسم أحمد قال تعالى :

(1) وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (1)

فكأنه يحسّرهم على عدم اتّباعهم له وفوز العرب بشرف النبوة، حيث بُعثَ فيهم ومع أن الكناية السابقة-يرى القتل مدحاً- شائعة ومتداولة إلا أن النظم أعطاها دقة ولطفاً. ولكعب بيت آخر فيه كنايةٌ قريبةٌ من هذه الكناية إلا أنّها أقل دقةً منها، حيث يقول (2) :

وإنّا أناسٌ لا نرى القتل سبةً ولا ننثى عند الرماح المداعس (3)  
فهذه الكناية وإن كثرت فيها الوسائط فينتقل منها أولاً إلى أنهم يرونه مدحاً ثم إلى الشجاعة والإقدام ، إلا أن البيت ليس فيه من التفصيل ودقة النظم ما يرقى به إلى البيت الأول، حيث يُلاحظ أنّه فخرٌ محضٌ كفخر الجاهلية وشبيه به جداً بيت السموءل السابق ثم يأتي كعبٌ بالمجاز المرسل في البيت الأخير ليؤكد قوة المؤمنين، وحرصهم على الدفاع عن دين الله بكل جوارحهم وموطن الجاز هو قوله " ويدفع عنه باللسان " فإنّ اللسان لا يدفع وإنما الذى يدفع هو الكلام والشعر، فعبر باللسان عن الكلام والشعر ؛ لأنّ اللسان هو آتته فالعلاقة الآلية وهى "كون الشئ واسطة في إيصال المؤثر إلى المتأثر " (4)

(1) سورة الصف الآية (6) . (2) ديوانه ص 217 قصيدة رقم 31.

(3) المداعس : المدعس من الرماح ، الغليظ الشديد الذي لا ينثى ، الوجيز مادة (دعس) ص 228 .

(4) الرسالة البيانية للصبان- ص- 197 المطبعة الأميرية ط أولى 1315 هـ .

ثم انظر إلى تتابع الأفعال المضارعة ( يذود - يحمى - يدفع ) فهي تدل على التجدد والاستمرار بمعنى أنهم مستمرُّون في الدفاع عنه ﷺ، كما أن معاني الأفعال الثلاثة متقاربة وهذا التقارب يزيد المعنى تأكيداً ؛ فاللسان واسطة في إيصال شعر الهجاء إلى أعداء الله انظر كيف حول مجاز هذا اللسان تلك المضغة الصغيرة الضعيفة إلى سلاح يضارع اليد قوةً وبطشاً.

وبعد فيلاحظ في هذه الأبيات أن كعباً عدل عن التشبيه والاستعارة إلى الكناية والمجاز المرسل ، ولعل السبب في ذلك هو رغبته في التعريض باليهود ووصفهم القبيحة " فالرمزية هي أساس لموضوع الكناية وما يتصل بها من تلميح أو إشارة أو تلويح " (1) فاليهود جناء قال تعالى

لَا يُقْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ (2)

وهم محبوبون للحياة كارهون للموت قال تعالى :

﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوْا أَلْمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (1) وَلَا يَتَمَتُّونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (2) (3)

وهم من أبخل الناس ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ (4) وهكذا رأينا كيف كان اسحر دعيب في احتيال صورته مراعاة لحال المخاطبين فاختر الكناية لأنها هي اللون البياني المناسب للمقام والذي يفى بغرضه ويحقق مآربه فالكناية " كلما كانت أتم تحقيقاً للغرض الذي من أجله سيقَّت كانت أتم قوةً وأجل روعةً " (5) وهذا لايعنى أن التعريض لا يتأتى بالحقيقة.

(1)الأصول الفنية للأدب للأستاذ عباس حسن ص106 .

(2) سورة الحشر الآية (14) . (3) سورة الجمعة الآية (7) . (4)سورة النساء الآية (37) .

(4)البلاغة التطبيقية د/ أحمد موسى ص263، 264 ط مطبعة المعرفة دت.

## ( 2 ) مدح المؤمنين بالقوة والشجاعة

يقول حسان بن ثابت " (1) [ من المتقارب ]

فطارُوا شِلَالاً<sup>(2)</sup> وقد أَفْرِ عُوا  
على كلِّ سَلْهَبَةٍ<sup>(4)</sup> فى الصِّيا  
وكلُّ كميّت مُطَار الفؤادِ  
عليها فوارسٌ قد عاودوا  
لِيوتِّ إذا غَضِبُوا فى الحـرو  
وَرَحْنَا إِلَيْهِمْ كَأَسَدِ الأَجْمِ<sup>(3)</sup>  
نِ لا تَسْتَكِينُ لَطولِ السَّامِ  
أَمِينِ الفُصُوصِ كَمَثَلِ الرِّزْمِ  
(5) قِرَاعِ الكَمَاةِ<sup>(6)</sup> وضرب  
البُهَمِ

يصور حسان في هذه الأبيات قوة قومه وشجاعتهم في الحروب فيبدأ ببيان هزيمتهم لأعدائهم وفرارهمولاء الأعداء في فزع وخوف، في حين أن قومه يتصفون بالثبات والقوة كالأسود فهم فوق خيولهم كالأسود الغاضبة تقاتل في قوة، وقد بدأ حسان لوحته بالاستعارة في قوله " طاروا"، حيث استعار الطيران للسرعة الشديدة على سبيل الاستعارة التبعية.

وقد شبه قومه بالأسود في البيت الأول والأخير من المقطوعة بجامع الشجاعة والقوة " وفرق بين ما يدلُّ عليه لفظُ الشجاعة، وما تدلُّ عليه صورة الأسد ببطشة وإقدامه وبأسه وشدته فالمعاني التي تفيض بها: الأحداث والصور أغزر وأبين وأمكن " (8) وهذه هي ميزة الأيحاء التي يمتاز بها التصوير البياني بصفة عامة

(1) ديوانه ص 138 قصيدة 32 من قصيدة له يمدح فيها قومه مطلعها :

أولئك قومي فإن تسألني \* كرام إذا الضيف يوما ألم

(2) شلالاً / الشل والشلل : الطرد ... شل العير أثنه والسائق إبله / اللسان مادة ( شل ) ج 8 ص 124 .

(3) الأجم / الأجمة الشجر الكثيف الملتف والجمع أجمٌ ، أجمٌ ، وأجام / اللسان مادة ( أجم ) ط ج 1 ص 61 .

(4) سلهبة / فرس سلهب وسلهبة للذكر إذا عظم وطل ، وطلت عظامه مادة ( سلهب ) ج 7 ص 247 / اللسان .

(5) الزلم / الجمع أزالام وهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها ج 7 ص 52 / اللسان .

(6) الكماة / الكمي اللابس السلاح وقيل هو الشجاع المقدم الجرى كان عليه سلاح أو لم يكن اللسان مادة ( كمي ) ج 13 ص 115 .

(7) ينكلون / نكل الرجل عن الأمر ينكل نكولا إذا جبن عنه / اللسان 356/14 مادة ( نكل ) .

(8) التصوير البياني د محمد أبو موسى ص 7 .

\* اختلف العلماء في أمثال هذا التشبيه هل هو استعارة أم تشبيه والأصح أنه تشبيه راجع " التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز د / عبد العظيم المعنى ط مكتبة وهبه ط أولى 1423 هـ / 2002 م .





فالتشبيه في البيت لأول غرضه بيان قوة قومه وسرعة انقضاضهم على أعدائهم كما يسرع الأسد إلى فريسته في قوة وينقضُ عليها في سرعة خاطفةٍ ، والغرض من التشبيه في البيت الأخير بيان إقدام قومه وعدم نُكوصِهِم لأَنَّهُم شجعان مقاديم كالأسود المتعاركة وقد حذف المسند إليه الذي هو مُشَبَّهٌ ؛ لتقوية دعوى الاتحاد بين الطرفين ، وبذلك يتَّضح اختلاف وجه التشبه في الصورة الأولى عنه في الصورة الثانية ، وقد ساعد النظم على دقَّة التصوير في هذه الأبيات ، فمجيئه بالحال الثانية " ، وقد أفرغوا " جملة فعلية مؤكدة بقدم مقترنة بالواو دون " مفزوعين " - ؛ لأنَّ مجيئ الحال على هذه الهيئة يؤكد فزعهم ، وجاءت الواو بين الجملتين لأنَّه أراد أن يستأنف بها حالا ثانية فقد أراد أن يجمع لهم الهيئتين هيئة الطرد وهيئة الفزع .

وفي هذا البيت - الأول - هيئتان متناقضتان جمع بينهما حسان في دقة بالغية . الهيئة الأولى هيئة أعداء قومه الذين فرُّوا في سرعة وفزعٍ ، والهيئة الثانية هيئة قومه المطمئنين الثابتين كالأسود .

وقد ذكر د / سيد حنفي أن رواية " وطرنا إليهم " أجود <sup>(1)</sup> ، ولكني أرى أن " ورحنا إليهم " هي الملائمة للتصوير في البيت ، فقد عبَّر حسان بالفعل ( رحنا ) ( في جانب قومه ) مقابل ( طاروا ) ( في جانب الأعداء ) ؛ لأنَّ هناك تفاوتاً في القوة والسرعة في الجانبين ، فالفار المفزوع يعوقه الفزع عن الجرى ويتخبط في سيره " وذلك أنَّ الخوف كما ذكر الأطباء " يشلُّ الأعصاب ويجعل الفريسة في حال غياب كاملٍ عن الواقع " <sup>(2)</sup> فالفارُّ المفزوع يخيل إليه أنه لا يبرحُ مكانه أما القويُّ الآمن فإنَّه يمشى ثابتاً فأدنى سرعة منه تجعله يدرك هذا المفزوع المعوق ، كما يلاحظ أنه قال " إليهم " دون ورائهم ، التي يستدعيها ظاهر الكلام ، إلا أن استخدام حرف الجر " إلى " التي تدل على " انتهاء الغاية " <sup>(3)</sup> فهي تفيد أمرين الأول : أن هؤلاء المهزومين هدف وغاية لقوم حسان لن يتراجعوا دونها .

(1) ديوان حسان ص138 والرواية الثانية للبيت في سيرة بن هشام ج 4 ص 138

(2) في رحاب البيان العربي ص105

(3) معنى اللبيب عن كتب الأعراب ص104 ط دار الفكر بيروت ط أولى 1992/1412

والمقتصد في شرح الايضاح للإمام عبد القاهر الجرجاني ج2/824 تحقيق د / كاظم بحر المرجان ط وزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة 1982

الثاني : أنّ هؤلاء الفارّين يتخبطون في سيرهم كأنهم فريسة مجروحة لا تلبث أن تسقط فإراقبها الأسد من بعيد حتى إذا ما سقطت ذهب إليها دون أن يُتعب نفسه جرياً وراءها وهذا يؤيد ما ذكرته سابقاً من ان رواية رحنا إليهم أرجح.

أما التشبيه في البيت الرابع من المقطوعة . فهو تشبيهُ حذف منه المشبّه " هم " وآداة التشبيه ووجه الشبه للمبالغة إلا أنه ذكر ما يشعر بوجه الشبه وهو قوله " لا ينكلون ولكن قدم " فهو يشبه قومه بالليوث بجامع الاقدام مبالغة في قوتهم وشجاعتهم .

# التصوير البياني وبلاغته في شعر المهجاء



## الهجاء

لقد كان أكثر ما يؤرِّق العربي في الجاهلية هو أن يُهجي بقصيدة تتناقلها الألسن ، فتنتشر بين الناس حاملةً صفةً خلقيةً أو خُلُقِيَّةً يعيِّرُ بها ، فالشعر بحق كان يرفع أناساً ويخفض آخرين ، فلما جاء الإسلام لم يتغيَّر الوضع وظلَّ الشعر محتفظاً بسلطانه ، وظل للهجاء أثره كسلاح ماضٍ له أثره <sup>(1)</sup> وذلك ؛ لأنَّ " نهج الشعر الإسلامي ظلَّ كالشعر الجاهلي طريقةً ومعنىً وجزالةً عبارةً وفخامةً لفظاً " <sup>(2)</sup>

ولذلك فإن الشعر كان سلاحاً من أمضى الأسلحة في المعركة بين الوثنية والتوحيد وإنَّه ظل محتفظاً بكل سلطانه على وجدان العرب " <sup>(3)</sup> واتخذت المواجهة فن الهجاء ، في شكله المعدل ، دون إيغال في ذكر معائبهم على نحو ما كانوا يفعلون قبل ذلك " <sup>(4)</sup> ومع ذلك فقد وُجد بعضُ الهجاء الذي يتعرَّض للأعراض كبعض هجاء حسَّان - ولعله من الشعر الموضوع عليه لأنَّه سببٌ محضٌ - الأمر الذي دفع الأستاذ محمد محمد حسين إلى القول بأنَّ " هجاء الشعراء قد ظلَّ متمسكاً بالنهج القديم في نهش الأعراض وقذف الناس " <sup>(5)</sup> إلا أن الهجاء بالأنساب والأحساب كان ضرورياً مع الهجاء بالكفر والشرك . وقد أدَّى الهجاء دوره المنشود حق الأداء " وإذا أصاب النَّبَال بنبله الجسموم أصاب الشاعر بكلماته النفوس ، بتخذيل الأعداء وتحميس الأولياء " <sup>(6)</sup> ، وقد تنوع الهجاء فهناك الهجاء بالسَّفه والجهل - والهجاء بالكفر - والهجاء بالحقْد والغِيظ - والهجاء بضعة الأصل - والهجاء باللؤم ويلاحظ أن حسَّان كان له السبق في هذا الميدان ؛ لذلك كثرت المقطوعات التي حلَّتْها له في الهجاء .

والآن مع تحليل أبيات الهجاء

- 
- (1) راجع هذا الموضوع ص( 15 ) من هذا البحث" أثر الإسلام في معاني الشعر" .
  - (2) النقد الأدبي عند العرب د/ طه أحمد إبراهيم ص90 ط دار الكتب العلمية - بيروت ط أولى 1409 هـ
  - (3) قيم جديدة للأدب العربي د/ بنت الشاطئ جـ 59/1 ط دار المعرفة 1989م
  - (4) التحول الشعري في عصر البعثة المحمديه د / صفوت زيد ص --35 -ط التركي بطنطا
  - (5)الهجاء والهجاؤن في الإسلام الأستاذ / محمد محمد حسين ص 190 ط مكتبة الآداب 1948
  - (6) الموازنة بين الشعراء د/ ذكى مبارك ص 395

أولاً : الهجاء بالسفاهة والجهل



يقول كعب بن مالك في يوم أحد (1) [ من البسيط ]

- (1) سَقْتُمْ كِنَانَةَ جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ فَجَنَدُ اللَّهِ مُخْزِيَهَا  
(2) أوردتُموها حياضَ الموتِ ضاحيةً<sup>(2)</sup>  
(3) جَمَعْتُمُوهَا أَحَابِيْشًا<sup>(3)</sup> بِلا حَسَبِ  
(4) أَلَا اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلْتُمْ  
(5) كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَنَنْتُمْ بِلا ثَمَنِ  
يُصور كعبٌ في هذه الأبيات سفاهةً وجهلَ المخرضين والمخرضين على حرب الرسول

ﷺ ؛ لأنهم أوردوا أنفسهم وغيرهم موارد الهلاك، وبين أنهم لو كان لديهم أدنى عقلٍ لاعتبروا بما حدث يوم بدر، حيث قُتِلَ من قُتِلَ وأُسِرَ من أُسِرَ، والتصوير في هذه الأبيات تصويرٌ دقيقٌ اختيرت كلماته وصوره بدقة وعناية، وجاء بعبارات البيت معبرةً تمامًا عن غرضه في بيان جهلهم، وكلمة "أحايشاً" هنا كنايةٌ تأكيداً على عدم انتمائهم لقبيلة ولا لوطن؛ إمعاناً في إثبات حقارتهم، وقد عبّر بالحال و جاء بعدها بالمفعول لأجله " من سفاهتكم"، مقارباً لها في المعنى؛ ليؤكد معنى الحال به، كما أن اختياره حرف الجر " من" الذي من معانيه التبعية - يؤكد الغرض الذي من أجله جاء بالحال والمفعول لأجله، وهو الدلالة على كثرة جهلهم وسفاهتهم، وكأن هذه الفعلة جزءٌ بسيطٌ من سفاهاتٍ غير متناهية، وعبرة " إلى الرسول " بحرف الجر " إلى " دون " اللام " توحى بأنهم لم يسوقوا من ساقوهم لحرب الرسول ﷺ وإنما ساقوهم قرابين وذبائح قدموها له

- (1) ديوانه ص 292 قصيدة رقم (71) .  
(2) ضاحية / ضاحية كل شئ ناحيته البارزة / مختار الصحاح ص 212 .  
(3) أحابيش / جبل بأسفل مكة يقال منه سمي أحابيش قريش وذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده محالفوا قريش وتحالفوا بالله إننا ليد على غيرنا / اللسان مادة (حبش) ج 4 ص 16 .  
(4) القلب / البئر ... وقيل سميت قلب لأنه قلب ترابها ... وفي الحديث أنه وقف على قلب بدر اللسان مادة ( قلب ) ج 12 ص 170 .

فكعبٌ يصور أولاً من دُفِعوا إلى حرب ٦٥ ، وسيُقوا إليها بالأنعام التي تُساق ، فقد بدأ الأبيات باستعارة " السوق " للدفع على سبيل الاستعارة التبعية ، دلالةً وإشارةً

إلى الانقياد الأعمى عن غير بصيرة وتفكيرٍ ، ثم ثنى في البيت الثاني بالاستعارة المكنية ، ليكمل الصورة ويؤكد المعنى الذى بدأه ، وهو الاندفاع فى جهلٍ للهلاك ، حيث صور تدافعهم لملاقاة الموت على يد جند الله بالإبل تُساق وتندافع إلى حياض الماء ، ويا لها من استعارةٍ مكنيةٍ رائعةٍ موحيةٍ ، حيث شبه الموت بمورد ماءٍ ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهى الحياض فقد "جعل للموت حياضاً يردها الناس وكأنَّ الموت له حياضٌ يردها الناس " (1) ، وتخيّل الموت مشروباً خيلاً مثيرٌ يوحى بسهولة تحصيله على يد جند الله ، كما أنّ كونه فى حياضٍ يبين أنه مضمون لهم فقد قصدوا الموت من الجهة التى لا يفوتهم فيها ، كما أن فيه مبالغةً فى إثبات جهلهم ، حيث خلطوا بين ما ينفعهم وما يضرهم ولم يميّزوا بين هذا وذاك ، وهذه الاستعارة سبق إليها كعب فقد وردت فى معلقة طرفة " (2) ، حيث يقول:

وإن يقدّفوا بالقذعِ عرضك أسقيهم بكأس حياض الموت قبل التهدّدِ

ووردت فى اعتذارية كعب بن زهير يقول (3)

لا يقع الطعن إلا فى نحورهم وما لهم عن حياض الموت

ونظم الكلام عند كعب بن مالك مناسباً للاستعارة فالجئ بالحياض جمعاً يدلُّ على تنوع أسباب الموت وكثرتها ، كما أن قوله " ضاحيةً " فيه تصعيدٌ لمعنى السفاهة والجهل التى يصورها الشاعر فى هذه الأبيات ، فقد سيقوا إلى الموت طائعين مع وضوح العاقبة ، فليسوا بأحسن حالاً ممن هلكوا فى بدر ، فهم كمن يساق إلى الموت نهاراً جهاراً طائعاً وهو ينظر إلى عاقبته ويراه .

(1) قراءة فى الأدب القديم د/ محمد أبو موسى ص 89 (2) شرح المعلقات السبع ص 93.

(3) اعتذاريات الشعراء للرسول / أحمد الجعد- ص 123 - ط دار الضياء عمان الأردن 2000/1421

كما أنّ قوله أوردتموها ترشيحاً للاستعارة " أن الورود مناسب للماء ، ثم يفرّع كعب من هذه الاستعارة خيالاً رائعاً ، حيث إنّه ذكر فى بداية الشطر الثانى قوله



" فالنار موعدها " ، وكأنَّ هذا الشراب " الموت " - لا يطفى غلةً ولا يروى ظمأً بل هو على عكس جميع الأشربة - لا يروى ولا يريح - لأنه سيشعل فيهم النار بمجرد أن يتذوقوه قال تعالى :

مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا (1)

وموقع الفاء ... - ... - ... من " السببية والترتيب والتعقيب " (2) ؛ ولذلك حسنَ تقديم دخولهم النار - " فالنار موعدها " على قوله : " والقتل لاقبها " لأنهم يرون مقاعدهم من النار قبل أن ترهق أرواحهم كما يرى المؤمنون منزلتهم من الجنة قبل أن تخرج أرواحهم ، وكأن قوله " والقتل لاقبها " تأكيدٌ لوقوع القتل عليهم والذي أفادته الاستعارة من قبل .

ثم جاء بالبيت الثالث ليبرهن على سفاهة وجهل المساقين ومن ساقوهم فجهل المساقين لأنهم أحابيش لا يجمع بينهم سوى التعاهد على حرب الرسول ﷺ فهم أشتات في الفكر والعقيدة جُمعوا لأمر لا شأن لهم به ، وسفاهة من ساقوهم لأنهم " أئمة الكفر " بمعنى أنهم شديداً التعصب للكفر ، فهم يندفعون للدِّفاع عن كفرهم بدون عقلٍ أو وعيٍ رغبةً في الانتقام والثأر ، وإمعاناً في الوصف بالجهل والسفاهة يتصاعدُ بالمعنى عن طريق الاستفهام الإنكارى التوبيخى لعدم أخذهم العبرة والعظمة مما حدث لهم ببدرٍ فالعقلاء . يتعلمون مما حدث لهم في الماضي . وقوله " خيل الله " استعارةٌ لجند الله من المؤمنين - استعارة تصريحية أصلية - حيث شبه " الجنود " بالخيال في السرعة والانطلاق وخفة الحركة ، ولعله آثر أن يستعير " خيل الله " لجند الله ، حتى لا يكرر ؛ فقد قال في البيت الأول " فجند الله مخزيها " وأضاف " جند " إلى لفظ الجلالة ؛ تكريماً وتشريفاً ؛ وليبين أن معهم أعظم أسباب النصر وهو انتسابهم إلى الله

(1) سورة نوح الآية ( 25 ) .

(2) المقتصد فى شرح الايضاح للإمام عبد القاهرة الجرجانى ص- 941 - ط وزارة الثقافة " الإعلام العراقية 1982م .

ثم انظر إلى الصورة في البيت الأخير كيف <sup>٦٧</sup> ظللها على بقية الأبيات فتصدير البيت بـ " كم من أسيرٍ فككناه " يدل على كثرة الأسرى وهو كنايةٌ عن امتلاكهم زمام الأمور في هذه

الحرب مع قلة عددهم .

ولاحظ اختياره " فَكَّنَاهُ " دون " افتديناه " أو " أطلقناه " ؛ لأنَّ " فككناه " توحى بأنَّ هؤلاء الأسرى كالأنعام المقيدة ، فقبل أن يطلقوها قاموا بفكها ، ثم جاء بلفظة مناسبة لهذه الصورة الإيحائية وهي قوله " بلا ثمنٍ " ولم يقل " بلا فداءٍ " فالذى يُؤخذ مقابل الثمن هي الأنعام ، كما أن قوله " جز ناصية " يتم هذه الصورة التي ذكرتها وهي أن جعلهم أنعاماً ، والخيل ليست مجازاً مرسلأً بمعنى أنه ليس المقصود بها الفرسان ؛ لأنَّ المسلمين لم يكن معهم يوم بدر إلا فرسان " (1) وأرى أنَّ المقصود بجند الله في البيت الأول الملائكة ، والمقصود " بخيل الله " في البيت الرابع الجيش الإسلامي من الصحابة رضوان الله عليهم

والدليل على ذلك أنه قال في البيت " إذ قتلت أهل القليب " وفاعله خيل الله بدليل تأنيث الفعل ، ثم قال ومن ألقينه فيها ، أى ومن قتلته الملائكة وألقته خيل الله في القليب ، لأنه أيضاً أنث الفعل " ألقينه " والذين ألقوا القتلى في القليب هم المؤمنون ، وقد قتلت الملائكة أعداداً من المشركين " فكانوا يضربون أعناق المشركين ويضربون منهم كل بنان فكان " يندر رأس الرجل لا يدرى من ضربه ، وتندر يد الرجل لا يدرى من قطعها " (2)

قال تعالى :

إِذْ يُوحَىٰ رَبِّكَ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ آتِيَّ مَعَكُمْ فَتُنشِئُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾ (3)

(1) مختصر الرحيق المختوم ص 138 - صفى الدين المباركفوري ط رحمة للنشر والتوزيع الإسكندرية مصر ط أولى 2004 م  
(2) المرجع السابق ص142 (3) سورة الأنفال آية (13)

وهكذا تتلاقى الصور البيانية من ٦٨ لتلقى بظلالٍ وإيجاءاتٍ كثيرة تجعل النصَّ لوحةً فنيةً متناسقة الألوان ، ولفظة " القليب " لفظةً موحيةً ، فهي تُشعر بالانكفاء



والانكباب والتعثر ، وهو لفظٌ ملائمٌ للأشياء المهملة التي تُلقى بغير اهتمام فتككب على غير نظام قال تعالى :

(1)

وقد جاء بالفعل " ألقينه " دون " دفنَّه " المناسب للموتى ، تأكيداً على عدم الاهتمام بشأن هؤلاء الكفار وكأنهم لكفرهم صاروا جيفاً لأنعامٍ تلقى ولا تدفن .

---

(1) سورة الشعراء آية رقم 94

ثانياً : الهجاء بالكفر والغدر<sup>69</sup>



يقول حسان في يوم الخندق «(1) [من الكامل]

وكفى الإله المؤمنين قتالهم  
من بعد ما قنطوا ففرج عنهم  
وأقر عين محمد وصحابه  
مستشعر للكفر دون ثيابه  
علق الشقاء بقلبه فأرنيه(2)  
وأثا بهم في الأجر خير ثواب  
تنزيل نص مليكنا الوهاب  
وأذل كل مكذب مرتاب  
والكفر ليس بطاهر الأثواب  
في الكفر آخر هذه الأحقاب(3)

يوضح حسان أن الله سبحانه وتعالى كفى المؤمنين شر الأحزاب ، وأذل هؤلاء الأحزاب وردهم خائبين خاسرين وجاء الفرج والفرح للمؤمنين ، مبشراً بنصر الله بعدما عظم البلاء ، ولقد قرّت عين النبي ﷺ والمؤمنين بنصر الله وخزى كل مكذب كافر علق به الكفر ولازمه ملازمة ثيابه ، ويسلك حسان في هذه الأبيات مسلك الكناية ، فيبدأ بالكناية عن قناعة النبي ﷺ وصحابته ورضاهم واطمئنانهم لنصر الله ، وذلك في قوله " وأقر عين محمد وصحابه " " فالعين القريّة هي العين القانعة بأنعم الله ، الراضية والمطمئنة بما قسمه الله ، فيشع منها الأمن والرضا والسلام " (4) وتقابلها العين الهلعة " وهي العين التي تدور هلعاً من شدة الخوف والرعب (5) يقول تعالى :

تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ (6)

- 
- (1) ديوانه ص 120 قصيدة رقم (25) .
  - (2) أرانه / الرين " أن يسود القلب من الذنوب / اللسان جـ6 ص280 مادة (دين) .
  - (3) الأحقاب / الحقب / الدهر ، والأحقاب الدهور وليس هذا مما يدل على غاية / كما يظن بعض الناس ، وإنما يدل على الغاية التوقيت ، خمسة أحقاب أو عشرة / اللسان جـ4 ص174 مادة (حقب) .
  - (4) مقال في جريدة الأهرام بعنوان " أحوال العين في القرآن الكريم أ. د / صلاح أحمد حسن في عددها الصادر بتاريخ 2003/3/29 م
  - (5) نفسه.
  - (6) سورة الأحزاب الآية (19).

ثم يكتفي عن نسبة الكفر لهؤلاء ٧٠ كين بقوله " مستشعر للكفر دون ثيابه " بمعنى أن ثيابهم لا تنطوي على أجسادهم وإنما تنطوي على أجساد يحيط بها الكفر ،



والصورة معبرة أيما تعبير عن ملازمة الكفر لهم ، خاصةً أنه جعلهم يشعرون بالكفر قبل أن يشعروا بثيابهم ، ثم انظر إشارة كلمة " دون " بدلاً من كلمة " تحت " لما فيها من معنى الضعة والانحطاط الذي يلائم الكفر . والكناية عن نسبة أبلغ في إثبات الصفة يقول الإمام عبد القاهر " إنهم يرومون وصف الرجل ومدحه ، وإثبات معنى من المعاني ، فيدعون التصريح بذلك ويكثون عن جعلها فيه يجعلها في شيء يشتمل عليه ويتلبس به " (1) .

ثم يكمل الصورة ويشفع هذه الكناية بكناية عن صفة وهي قوله " والكفر ليس بطاهر الأثواب " كناية عن النجاسة ، والكناية أبلغ من التصريح ، ثم انظر كيف عبر عنهم بالمصدر " الكفر " مبالغة في إثبات الصفة لهم وكأنهم لما تمادوا في الكفر والضلال امتلأت نفوسهم كفرةً ، ولعلَّ اللفظة من قبيل المجاز المرسل والعلاقة الحالية .

فهم بمثابة المحل لهذا الأمر المعنوي وهو الكفر ، وبذلك يكون حسنًا قد صعد المعنى مبتدئًا بملازمة الكفر لهم عن طريق الكناية عن نسبة الكفر لهم ، ثم أثبت للكفر نجاسة عن طريقة الكناية عن صفة ، ثم جعل البيت كله كنايةً عن نجاستهم وبذلك تدرج حسنًا في إثبات نجاستهم على النحو السابق .

ولذلك عطف الشطر الثاني من البيت على الأول لارتباطه به وليتم له استقصاء المعنى واستكمالها ، ثم يسترسل حسان في تأكيد المعنى السابق وهو ملازمة الكفر لهم ، وذلك عندما يشبه الشقاء بطفيلٍ أو شيء له تعلقٌ وتشبُّهُ بغيره في قوله علق الشقاء ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو التعلق وهذه الصورة تدل على التمكن والملازمة على سبيل الاستعارة المكنية وإثبات هذا اللازم استعارة تخيلية ، وهي قرينة المكنية .

وتأمل معي إحياءات هذه الصورة وظلالها الرائعة ، فالشقاء انجذب إلى قلب هذا الشقي ، وهذا يعني أن به جاذبيةً واستعداداً للشقاء ثم إن هذا الشقاء هو الآخر نشيطٌ جذابٌ ، جذب إليه كفرةً فوق كفرةٍ ، حتى ران على قلبه والكلمة التي أوحى بهذه الصورة هي كلمة " أرانه " فالأشياء تنجذب إلى أشباهها .

(1) دلائل الإعجاز ص 306 .

والشاعر أرانا في هذه الأبيات 71 سلل الكفر إلى هذا القلب المظلم حتى طمس عليه فازداد ظلمةً وسواداً يكفيه أحقاباً ، ونكاد نبصر تلك الحركات الواعية







## وفي الهجاء بالكفر أيضا

يقول كعب بن مالك (1) [من الوافر] يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف :

- (1) فمن يتبعه يهد لكلٍ رشداً      ومن يكفر به يجز الكفور  
(2) فلما أشربوا غدراً وكفراً      وحاد بهم عن الحقِ النفور  
(3) أرى الله النبيّ برأيٍ صدقٍ      وكان الله يحكم لا يجور
- يبين كعبٌ في هذه الأبيات جزاء من يتبع النبي ﷺ وعاقبة من يكفر ، وبين عاقبة هؤلاء اليهود لما تآدوا في كفرهم وغدرهم ، وقد صور كعب امتلاء هؤلاء اليهود بالغدر والكفر بالاستعارة في قوله " أشربوا " فقد شبه قلوبهم - وقد امتلأت بالحقد والغدر الناتج عن توالى تكذيبهم بالنبي ﷺ والمكرله - بمن يُسقى شراباً ، على سبيل الاستعارة المكنية ، ومعلومٌ أنّ المقصود بأشربوا غدراً وكفراً أنّ قلوبهم ملئت غدراً وكفراً ؛ لأنّ القلوب هي ، موطن هذه الصفات المعنوية ؛ ولذلك كتى عنها كثير من الشعراء " بمجامع الأضغان " يقول عمرو بن معد يكرب (2)

## الضاربين بكلٍ أبيض مخذم      الطاعنين مجامع الأضغان

ونظم البيت عند كعب يحمل الكثير من الظلال والإيحاءات التي تكمل الصورة فبناء الفعل للمجهول " أشربوا " فيه إيحاء بالتكلف في مخالفة الحقّ ، كما أن فيه إيحاءً بسلب الإرادة كما أنّ عدم تحديد الفاعل يدلُّ على كثرة موارد الحقد والكفر وانظر إلى روعة المجاز العقلي في إسناد الفعل حاد إلى " النفور " مع أنّه ليس الفاعل الحقيقي وإنما هو سبب والفاعل الحقيقي هو الإنسان ، وفي إسناد الفعل إلى النفور دلالة على سلب إرادتهم ، حيث يدفعهم النفور دونما وعى إلى أن يجيدوا عن الجادة وتتمثل بلاغة المجاز العقلي في أنه " يشيد بقوة الملابس " (3) وهذا يدل على قوّة تأثير السبب فيهم وسيطرته عليهم وفي هذا المجاز وأشباهه تتحقّق " المبالغة في تدخّل المسند إليه المجازي في تحقّق المسند وتحيل أن الفعل واقع من غير فاعله وفي هذا متعة وتحقيق للغرض " (4)

(1) ديوانه ص 203 قصيدة رقم (20)

(2) ديوانه ص 174 تحقيق / مطاع الطرابيشي ط مكتبة دار البيان دمشق سوريا 1414هـ/1994 م

(3) بين المكنية والتبعية والمجاز العقلي د/ بسيوني فيود ص 124 ط أولى مطبعة الحسين الإسلامية -

القاهرة 1413هـ/1993 م (4) علم المعاني أ.د. / صباح دراز ص 107 ط التركي - طنطا 1997 م.

والمتكلم عندما يأتي بالمجاز العقلي في كلامه لا يرى للفعل فاعلاً غير الذى أثبتته على سبيل المبالغة " والذين قالوا بردّ كلّ مجازٍ إلى حقيقته تعسّفوا التأويل وتنگّبوا طريق التقدير ووقفت أمامهم في بعض الأمثلة عقابيل أفضت بهم إلى تكلف واعتساف " (3)

ثمّ انظر إلى البيت الثالث كيف يؤكّد لنا مضمون البيت الأول وهو اهتداء من يتبع النبي ﷺ فكأن هذا البيت تعليل للبيت الأول ، فالنبي ﷺ متّصل بربه ، يطلعه على ما غاب عن البشر لذلك فإنّه يهدى من يتبعه ، ومن يخالفه يهلك بسبب كفره ، ولاحظ قيمة الجناس التام المستوفى \* بين " أرى - رأى " كيف أشعرنا بأن رأى النبي ﷺ جزءٌ نابغٌ وصادرٌ عن ربّ العزة سبحانه ، ثمّ انظر إلى موقع " كان " ودلالاتها على أزليّة عدل الله سبحانه وتعالى ، كما أنّ المضارع المنفى " لا يجور " يدل على أبدية عدل الله سبحانه وتعالى ، فما أجمل هذا التداخل الزمني بين الأزلى والأبد والذى عبر كعب بطريقة رائعة ، يمكن أن نطلق عليها مقابلة على درجة عالية من الكفاءة في استخدام الأفعال والألفاظ.

---

\* الجناس التام المستوفى : وهو ما إذا كان اللفظان المتجانسان الجناس التام من نوعين من أنواع الكلمة بأن يكون طرفاه " اسما وفعلا " أو " اسما وحرفا " أو " فعلا وحرفا " - مباحث في وجوه تحسين الكلام أ. د / رفعت السوداني ص 194 ط الأمانة ط أولى 1411 هـ 1991 م  
(3) من أساليب القرآن المجاز العقلي أ. د / عبد الرزاق فضل ص 25 ط التركي - طنطا 1996

## ثالثاً : الهجاء بالحقد والغىظ

يقول حسان (1) [من الطويل]

وقوم من البغضاء زور<sup>(2)</sup> كأنما  
بأجوافهم مماتحن<sup>(3)</sup> لنا الجمر  
يجيش<sup>(4)</sup> بما فيها لنا الغى مثلما  
لدى محفل عنى كأنهم صعر<sup>(5)</sup>

يصور حسان الغلّ والحقد المتراكم في صدور أعدائه له ، بالماء الذي يتحرك ويضطرب في القدر عند غليانه ، وهذا الحقد الباطن لا يستطيعون إخفائه فهو يظهر في صدودهم وإعراضهم بوجوههم عنه ، وقد صور حسان هذه الهيئة تصويراً دقيقاً ، حيث شبه القوم وقدامتلات صدورهم بالأحقاد والأضغان بالطيور التي زورت من كثرة الطعام ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو قوله "زور" وهذه الاستعارة فيها خيال رائع لا يقف عند حد التعبير عن الامتلاء/ والمبالغة في تصويره فحسب ، بل أرى أنه اختار هذه الاستعارة خاصة لما بين هيئة الحقاد المتكبر وهيئة الطائر الذي أكل حتى الشبع من تقارب كبير ، فالطائر إذا أكل وشبع ، فإنه يقف على الأغصان منتفش الريش ، والمتكبر الحقاد هو الآخر يمشى منتفشاً متعالياً متعاطماً منتفخ الأوداج ، فيالها من إحياءات وظلال رائعة .

- 
- (1) ديوانه ص 267 قصيدة رقم (159) .
  - (2) زوره / زور الطائر تزويراً إذا ارتفعت حوصلته ، زور الطائر امتلأت حوصلته / اللسان جـ7 ص78 مادة (زور) .
  - (3) تحن / الإحنه الحقد وجمعها (إحن) مختار الصحاح ص15.
  - (4) يجيش / جاشت القدر إذا بدأت أن تغلى ولم تغل بعد / اللسان 251/2 مادة (جيش) .
  - (5) صعر / الصعر : الميل في الخد خاصة .. الصعر داء يأخذ البعير فيلوى عنقه ويميله / اللسان 240/8 مادة (صعر) .

ثم يستقصى المعاني ويستكمل الصورة بتشبيه الحقد المستكن في صدورهم بالجمر ، واختياره الجمر دون النار ؛ لأن الجمر غالباً ما يكون مستتراً تحت الرماد وهو مناسب للحقد المستتر في قلوبهم كما أن الجمر هو خلاصة النار ، ثم انظر إلى وجوه هؤلاء المبعوضين الحاقدين ، تبدو محمّرة من الغيظ وكأن ما في صدورهم جمر لا حقد ، وهكذا يقع حسان على أقرب مشبه به ، وأحسن التشبيه " هو ما وقع بين الشيين ، اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها " (1)

ثم يفرّع من هذا التشبيه تشبيهاً آخر استكمالاً للصورة ، حيث يشبه هذا الحقد والغيظ المستتر والذي يتردد في صدورهم لعدم قدرتهم على إظهاره بالماء الذي يضطرب بالقدر عندما يقترب من الغليان أو يغلى بالفعل وانظر إلى التناسب بين الجمر " الحقد " والذهب ، ثم يشبههم ، وقد صدّوا وجوههم عنه وأعرضوا بالصعر ، وهو متأثر في هذه الصورة بقوله تعالى:

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ  
مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ (2)

فحسبنا اقتبس من الآية الصورة والألفاظ ولكنّه نقلها من الاستعارة إلى التشبيه ، تشبيههم بالصعر فيه إهانة وازدراء وذلك ؛ لأنّ التّصعير داءٌ يصيب النوق فهو يشبههم - متأثراً بالصورة القرآنية - بحيوان أنثى معيب ، وقد أعان السياق على إبراز الصورة وانظر إلى بلاغة المجاز العقلي في إسناد الصّد إلى خدودهم ، واستعمال الحدود مجازاً عن الوجوه لعلاقة الجزئية ، انظر كيف يرينا المجاز هذه الحركة الآلية من الحدود وكأنها فاعلة الصّد والإعراض من تلقاء نفسها وكأنهم تشبعوا بكراهيتهم له وانتقلت إلى كل جزء من أجزائهم ثم انظر إلى هذا المشهد العجيب الرائع الذي يصوّره حسان والذي أوحى به صيغة الجمع " خدودهم - صعرٌ " ، كيف جعلهم متشابهين في هيئتهم لتشابه قلوبهم .

(1) نقد الشعر : قدامة بن جعفر ص 109 تحقيق كمال مصطفى ط الخانجي القاهرة د.ت.

(2) سورة لقمان آية (18).



ثم انظر إلى ما توحى به صيغة الجمع من هذه الحركة الجماعية العجيبة التي يقوم بها هؤلاء الحاقدون في وقت واحد وفي مكان واحد ! لكأنهم صُعُرَ حقيقة لتعذر الاتفاق على تنفيذ هذه الهيئة بهذه الطريقة ؛ ولذلك استخدم حسان أداة التشبيه كأن التي تؤكد الشبه بين الهيئتين ، وقد أسهم النظم في رسم مشاهد هذه الصور الرائعة ؛ ففي استخدام الباء في قوله " بأجوافهم " دلالة على التمكن والاستقرار والالتصاق ، ثم لاحظ تلاؤم الظلال الصوتية فكما أن للقدور التي شبّه صدورهم بها صوتاً وأزيراً ، فصدور هؤلاء الحاقدين تضطرب حقيقةً أحياناً ، يظهر اضطرابها في زفرات الحقد والغيط التي تخرج من حناجرهم وتتردد في صدورهم ، ولجمال أيضاً صوت مضطرب متقطع تصدره أحياناً ، ولاحظ التناسب بين " الجمر " والمقابل للحقد في نفوسهم وبين اللهب الذي تغلى به القدر . فكلاهما سبب في الغليان ، وبذلك يكون اختيار عناصر الصورة - التي تبرزها وتوضحها تمام الإيضاح - هو اختيار واع لا يأتي بمحض المصادفة ، وفيه رد على من يقول " بأن شعراء المسلمين ومنهم حسّان لم يستطيعوا أن يصوغوا المعاني الإسلامية في شعرهم إلا بطريقة فاسدة متكلفة قوامها نقل الآيات ونظمها نظماً فاسداً " (1)

وما أجمل تقديم المسند ( الجار والمجرور ) " بما فيها لنا " بما فيه من اللهب " ، حيث يوحى تقديم المسند في الأول " يجيش بما فيها لنا الغلى " يوحى التقديم بذاتية الاشتعال فالاشتعال وسبب الغليان ليس ناراً خارجية وليس م ، وقدماً مسلطاً على صدورهم ، وإنما هي نارٌ داخلية ، نار الحسد والحقد تموج وتضطرب في صدورهم فالباء في " بما فيها " أرى أنها للسببية ، ويوحى تقديم المسند في الجملة الثانية " يجيش بما فيه من اللهب القدر " بانتقال الحركة والاضراب من المظروف إلى الظرف فكأن هذا الإناء " المشبه به " والذي يغلى فيه الماء كأنه انتقلت إليه تلك الحركة المضطرب به ، فجعلت تمزّه هو الآخر وتجعله يتأرجح على الموقد ، وهي صورة نراها في الأواني التي تغلى إذا لم تكن على قاعدة مستوية ، والباء هنا مع " ما " الموصولة أفادتنا عموم الحركة وشمولها للظرف والمظروف .

(1) الهجاء والهجائون في الجاهلية الأستاذ / محمد محمد حسين ص 7 ط مكتبة الآداب

وهكذا يمكن أن ننقل هذه الظلال إلى المشبه ، فنقول : إنَّ غليان باطنهم ينتقل إلى  
ظاهرهم ، حيث يتخبطون في أقوالهم وأفعالهم ؛ لأنهم على أرضٍ غير ثابتةٍ فهم مزعزعو  
العقيدة قال تعالى :

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ  
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (1) ﴿٢٧﴾

---

(1) سورة إبراهيم آية 27

## رابعاً : الهجاء بضعة الأصل

قال حسان يهجو بني سهم وعمرو بن العاص " (1) [ من البسيط ]

لاطت (2) قريش حياض المجد فافترتت سهم فأصبح منه حوضها صفرا (3)  
وأوردوا وحياض المجد طامية (4) فدل حوضهم الوراد فانهدر (5)

يهجو حسان بنى سهم بضعة الأصل بسبب تفریطهم في رعاية مجدهم حتى ضاع تماماً ، وقد صور حسان في هذه الأبيات المجد بالماء على سبيل الاستعارة المكنية ، حيث شبه المجد بالماء بجامع سهولة ضياعه ، وتكديره واحتياجه إلى حيطه في حفظه ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهى الحياض ، وفي تصوير المجد بالماء خيال حسن ، وذلك لما بين المستعار والمستعار له من التقارب فحسن الاستعارة " يكون بمقدار ما بين المشبه والمشبه به من التقارب والتماثل وتصور الجمع بينهما في الذهن " (6) فالماء إذا لم يُرع ويحفظ في إناء مُحكم فإنه ينهدر ، وإذا سال وانهدر فإنه لا يمكن جمعه ثانية ، وإن جمع وأعيد إلى إنائه فإنه يكون قد تعكر ، وهكذا المجد إذا لم يُحفظ من أن يُدنس بأي فعل قبيح ، فإنه يضيع ولا يُتخلص مما علق به من نقصٍ وعارٍ ، لأن أى إساءة من أى فرد من أفراد القبيلة يتحملونها جميعاً وتنقص من أقدارهم ، وأيضاً من وجوه الشبه بين المستعاره والمستعار أن الماء والمجد لا يُستغنى عنهما ، فالماء هو الحياة ، وكذلك المجد ، إذ أن الحياة لا قيمة لها إذا عاش الإنسان حقيراً ذليلاً بين الناس .

(1) ديوانه ص 342 قصيدة رقم (235) .

(2) لاطت / لاط الحوض بالطين لوطاً : طينة / اللسان 253/13 مادة ( لوط ) .

(3) صفراً: الصُّفر، الصِّفر ، الصَّفَر : الشئ الخالى ... أصفر الرجل ... افتقر / اللسان 250/8 مادة (صفر) .

(4) طامية / طما الماء يطمو طموماً : ارتفع وعلا وملا النهر 148/9 اللسان مادة ( طما ) .

(5) انهدر / الهدر : ما يبطل من دم وغيره ، ذهب دم فلان هدرأ وهدراً بالتحريك أى باطلاً ليس فيه قود ولا عقل ولم يدرك بثأره / اللسان 36/15 مادة ( هدر ) .

(6) الخصومات البلاغية والنقدية فى صنعة أبى تمام ص 25 د عبد الفتاح لاشين ط دار المعارف دبت .



وهكذا نرى دقة اختيار الصورة وعناصرها عن حسن ، ونرى امتزاجاً واضحاً بين المستعار له والمستعار منه ، وهذا من علامات جودة الاستعارة " فالاستعارة الجيدة هي ما اشتدَّ الامتزاج والتناسب بين المستعار له والمستعار منه . " (1) ، وقد رُشحت هذه الاستعارة المكنية بالاستعارة التبعية في صدر البيت " لاطت " ، حيث شبه الحفاظ على المجد ، بتطيين حياض الماء وكلتا الاستعارتين مرشحة للأخرى ، ثم يصور حسن وبين جهل وحمق وسفاهة هؤلاء القوم في البيت الثاني ، ، حيث استعار " الورود " للتفاخر بالمجد والأحساب " بجامع أن كلاً منهما نيلٌ وتحصيلٌ لشيء مرغوبٍ فيه فهو يصوّر بهذه الاستعارة تفاخرهم واستعلاءهم على غيرهم مع وجود الهنات والعيوب فيهم ، فأصبحوا هدفاً سهلاً لمن يتفاخر عليهم ويهجوهم ، فلم يجدوا ما يفتخرون به لأنهم لم يحفظوا لهم مجداً ، وهكذا نجد الجمال والدقة في الاستعارة خاصة وأن الاستعارات في البيتين ترشح كل منها أختها .

ثم جاء في البيت الثاني باستعارة تمثيلية رائعة في قوله " فدلّ حوضهم الوراد فأنهدرا " والتي استعارها لظهور الهنات والعيوب فيهم ، فدلّت من يهجوهم على بغيته ، وقد أعان النظم على إظهار المعاني وتجلية الصورة فقوله " فافترطت " يدل على التساهل والتفريط كما أن اللفظة توحى بالانفراط والتبعثر ، والضياع ، ثم انظر إلى صيغة المبالغة " الوراد " كيف تدل على كثرة من يهجوهم وتداعي القاصي والداني عليهم .

كما أن قوله " فأصبح " يوحي بالمفاجأة وكأن هذا الأمر حدث ليلاً وهم في غفلة عنه ففوجئوا به صباحاً وهذا هو حال من يتوانى عن رعاية مجده حتى يضيع منه تدريجياً وهو لا يشعر

---

(1) الأوكسير في علم التفسير ص 113 للطوفي البغدادي-تحقيق د/عبدالقادر حسين -طالمطبعة النموذجية 1977(بتصرف يسير)

وجملة الحال الإسمية في قوله " وحياض المجد طاميةً " تدل على ثبوت معناها ودوامه ، كما ألمح فيها معنى المفارقة والتعجب فهي تحمل تعجب الشاعر من هذا التناقض من علمهم بضعتهم وتعرضهم للتفاخر على الناس وهجائهم فعجب لمن يعيب الناس وكله عيوب .

## خامسا : الهجاء باللؤم

يقول حسان (1) [من الكامل]

اللؤم خيرٌ من ثقيفٍ كلِّها      حسباً وما يفعلُ لنبيمٍ تفعلِ  
وبنى المليك من المخازي فوقهم      بيتاً أقامَ عليهم لم يُنقلِ  
إن هم أقاموا حلَّ فوق رقابهم      أبداً وإن يتحوَّلوا يتحوَّل

يهجو حسان هؤلاء القوم باللؤم ، بل إنَّ اللؤم خيرٌ منهم ، فاللؤم ملازم لهم أينما كانوا ، وقد عمد حسان إلى الكناية عن نسبة الخزي إليهم وذلك بتخيُّل الخزي بيتاً بناه الله عليهم يتحوَّل معهم أينما كانوا مبالغةً في إثبات اللؤم والعار لهم ، وهذه الطريقة يلجأ إليها حسان في شعره في أكثر من موضع : أقصد تخيُّل المجد أو اللؤم أو الغدر بيتاً بُنى على من يمدحهم أو يهجوهم ، فهو يقول في إحدى قصائده (2)

ألم ترَ أنَّ الغدر واللؤم والخنا      بنى بيتاً بين المعين إلى عرد

ويقول في الفخر (3)

بنى العزُّ بيتاً فاستقرَّت عماده      علينا وأعيان الناس أن يتحوَّلوا

وقد أثبت حسان دوام هذه الصفة وعدم مفارقتها لهم بالبيت الثالث فهذا البيت المتخيَّل ينتقل معهم في كل مكانٍ ، ولك أن تتخيَّل هذا البيت الذي بُنى عليهم لا بالطين أو الطوب ولكن بالمخازي ، وما فيه من المبالغة في إثبات الصفة ، وهذا هو الشعر " يُخرج الأشياء عن حقيقتها والطبائع عن أصولها ، ولا بد فيه من المبالغة وإلا ما حرَّك الحواس وهيَّج العواطف " . (4)

(1) ديوانه ص 348 قصيدة رقم (241) .

(2) ديوانه ص 304 قصيدة رقم 204 .

(3) ديوانه ص 274 .

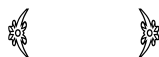
(4) الصور البيانية د / حنفي شرف ص 74.

" ومن هنا كانت الصورة دائماً غير واقعية ، وإن كانت منتزعة من الواقع ؛ لأنّ الصورة تركيبية عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها لعالم الواقع " (1) وفي قوله " فوق رقابهم " مجاز مرسل علاقته الجزئية ، حيث عبّر بالرقاب عن أصحابها والأصل " فوقهم " ، وما من شك أنّ هذه الصورة المجازية لها إichاءات تسهم في تحقيق غرض حسان من المبالغة في هجائهم " فالاستعمال المجازي يلقي على الصورة ظلالاً وألواناً شتى ، حتى يجعلها تكاد تنطق بما شحنتها به الأديب من إichاءات وعواطف " (2) فحلول اللؤم فوق رقابهم يوحى بالدّلة المضروبة عليهم ويوحى أيضاً بالخنوع والخضوع وكأنهم عبيد مطوّقون من رقابهم لا بأطواقٍ ماديةٍ وإنما بأطواقٍ من اللؤم والحزى ، وذلك ؛ لأنّ اللؤم يؤدي بصاحبه إلى الدّلة ، كما أنّه يوحى بالإلحناء الذي يشعر بالدونية وهي صفة من صفات اللئيم ، فإنّه غالباً ما ينحني لغيره خاضعاً بسببٍ وبغير سببٍ لأنّه فقد العزّة وألف الذل وانظر إلى قوله " حلّ " وما في الفعل من ثقلٍ بسبب التضعيف وما له من إichاء بالضغط على هذه الأعناق ليحنيها إلى أسفل ثم يؤكد ملازمة هذه الصفة لهم بقوله أبداً .

---

(1) التفسير النفسى للأدب د/ عز الدين إسماعيل ص 65، 66 ط دار العودة بيروت

(2) الصور البيانية د / حفنى شرف ص 220



التصوير البياني وبلاغته

في شعر الوصف

## الوصف

" الوصف من أهم ما يعنى به الشعراء " (1) ؛ لذلك فقد كثر شعر الوصف في كل زمانٍ ، حتى يمكن أن يقال أنه يدخل في كثير من الأغراض الأخرى ، وقد كثر شعر الوصف عند شعراء الرسول ﷺ ولكن موضوعه ومجالاته تغيرت واختلفت قليلاً عنه في العصر الجاهلي ، فمن وصف الطبيعة الأرضية والسماوية ووصف وبكاء الأطلال إلى وصف أرض وسماء المعركة ، وما تخلفه من أطلال بشرية ، ومن تشبيهه عيون العذارى بعيون المها إلى تشبيهه مسامير الدروع بعيون الجراد .

وكما كثرت فنون الوصف وتعددت في العصر الجاهلي ، نجده بنفس الكثرة في الشعر الإسلامي ولكن الإسلام غير من ملامحه ، حيث حذف بعض المشاهد أو قلل منها بدرجة كبيرة ، فيلاحظ أن مشاهد الغزل انحسرت حتى يمكن أن نقول أنها جاءت عرضاً في بيتين أو ثلاثة عند بعض الشعراء حفاظاً على التقاليد الشعرية الموروثة ونفس الشيء حدث مع مشاهد أخرى كان يغلب عليها طابع الوصف كبكاء الأطلال ووصف الناقة وبالرغم من قلة تعرض الشعراء إلى هذه الأغراض ، نجد شاعراً مثل كعب بن مالك يعيب من يبدأ شعره الإسلامي بالوقوف على الأطلال ، حيث يقول " (2)

يا للرجالٍ لأمرهاجٍ لى حزناً      لقد عجبْتُ لمن يبكى على

ولعله يعيب على من يبدأ رثاءه بالوقوف على الأطلال وذكر الأحبة الأمر الذي يجعله متناقض العاطفة وكما حذفت بعض المشاهد الوصفية من الشعر في صدر الإسلام ، نجد أن الإسلام قد زود الشعر ببعض المشاهد الجديدة ، كوصف هداية الرسالة .  
الإسلامية ووصف الجنة والنار ، والعذاب والنعيم وغيرها من المعاني الإسلامية التي تناولها الشعراء بالوصف

(1) الموازنة بين الشعراء د/ ذكى مبارك ص 123.

(2) ديوان كعب ص 282 قصيدة 65 فى رثاء عثمان رضى الله عنه .

## أولاً : وصف أدوات القتال

- 1- وصف الخيل .
- 2- وصف السيوف .
- 3- وصف الدروع .
- 4- وصف الرماح .

# (1) وصف الخيل

يقول كعب بن مالك يوم الخندق " (1) [ من الوافر ]

نصبِحكم بكلِّ أخى حروبٍ      وكلِّ مطهِّمٍ (2) سلسٍ القِيادِ  
وكلِّ طِمْرَةٍ (3) حَفَقِ حشاها      تَذْفُ (4) ذَفِيفَ صفراءِ الجرادِ  
وكلِّ مقلَّصِ الأرابِ (5) نَهْدِ      تَمِيمِ الخلقِ من أخِرِ وهادِي (6)  
خيولٌ لا تُضَاعُ إذا أُضِيعَتْ      خيولُ النَّاسِ في السَّنَةِ الجمادِ  
يَنَازِعُ الأَعْنََةَ مُصَغِيَاتِ (7)      إذا نادى إلى الفزعِ المُنادِي

في هذه الأبيات يصف كعبٌ خيول الحرب ، فيقول عنها : إنها منقادةٌ خفيفة الوزن عن غير ضعفٍ ، سريعةٌ ، تامّة البنيان ، تطعم أفضل الطعام حتى في سنى القحط والجذب ، لذلك تجدها قوية تنازع أعنتها إذا نادى المنادى للحرب لأنها ألقت خوض الحروب ، ويبدأ كعب الأبيات بوصف المحاربين ، حيث كنى عن نسبة الخبرة في الحروب لهم حيث خبروا مسالكها ودروبها وشعابها ، وخبروا فنونها وكيفية توجيه أحداثها والتحكّم فيها - كنى عن نسبة هذه الصفات إليهم ، بإثبات أخوتهم للحرب وهي كناية عن نسبة .

- 
- (1) ديوانه ص193 ، 194 قصيدة رقم (14) .  
(2) مطهِّم / الخيل المطهّمة : المقربة المكرمة : وقيل المطهّم : الناعم الحسن / اللسان 154/9 مادة (طهّم)  
(3) طمّرة / الطمّرة : الفرس الجواد وقيل المشمّر الخلق ، وقيل هو الطويل القوائم الخفيف ، وقيل المستعد للعدو ، والأنثى طمّرة / اللسان 144/9 مادة (طمر).  
(4) تَذْفُ / ذَفُ الطائر ذفاً وذفياً وذفافة : أسرع- الوجيز مادة (ذف) ص 245 .  
(5) الأراب / قطع اللحم ، والعضو الموقر الكامل الذي لم ينقص منه شئ 82/1 مادة أرب (اللسان) .  
(6) هادى / الهادى . العنق لتقدمه . اللسان 43/15 مادة ( هدى ) .  
(7) مصغيات / صغوا مال ويقال صغت الشمس والنجوم مالت للغروب - الوسيط 515 مادة(صغى).



وقد اعتاد كعب تصوير خبرة قومه في الحروب بمثل هذه الكناية بحيث يجعلهم  
أبناء للحرب أو إخوة لها يقول كعب (1)  
إنا بنو الحرب نمريةا وننتجها  
وعندنا لذوى الأضغان تنكيل  
وفي موضع آخر يقول (2)  
ولا نحن ممّا جرت الحرب نجزع  
بنو الحرب لا نعيّا بشيءٍ نقوله  
" وكعب إذا أعجب بطرافة معنى من المعاني كرّره أكثر من مرة" (3) واختيار كعب الفعل "   
نصبّحكم " يدلُّ على فقهه وفهمه وتدبُّره لآيات القرآن الكريم فألمح هنا اقتباساً من قوله  
تعالى : **وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ** ﴿٣٨﴾ (4)

وفي اختيار وقت الصباح في البيت أكثر من إحياء فعله أراد أنهم يحقّقون المفاجأة  
لأعدائهم حين يهجمون عليهم مبكرين ، ولا يزال أعداؤهم نياماً كسالى ، كما يوحي أيضا  
بتشبيه المؤمنين بالملائكة التي توزّع الأرزاق بأمر ربها في البكور ، وفي هذه الحالة يكون قوله "   
نصبّحكم بكل أخى حروب " استعارة تمثيلية تهكمية فكأن هؤلاء الأبطال الشجعان بما  
يحملون من موتٍ لأعدائهم رزق مُساق هؤلاء الكفرة .

وكذلك لو كان غرضه أن يشبّههم بما يحملون من كؤوس المنايا بمن يصبّحهم بكؤوس خمرٍ ثم  
ينتقل إلى تصوير قوة هذه الخيل فيبدأ بقوله " سلس القياد " وهي كناية عن صفة  
التّجابه والأصل , وتعودها الانطلاق بالفرسان إلى الحروب ، ثم يشبه الحركة الخفيفة لهذه  
الخيال النّجبية بحركة صفراء الجراد الخفيفة في قوله " تذفّ ذيف صفراء الجراد "   
والتشبيه صورته من صور التشبيه البليغ الاصطلاحية " (5) ، حيث حذف المشبه "   
المفعول المطلق - ( ذيفاً ) والآداة ( الكاف ) ووجه الشبه والتقدير " تذفّ ذيفاً   
كذيف صفراء الجراد في السرعة ، ومما لا شك فيه أنّ الحذف أبلغ ؛ لأنّ فيه إيجازاً ،   
ولأنّ ذكر الآداة والمشبه والوجه تطويل بغير داعٍ .

(1) ديوانه ص 256 قصيدة (50) .  
(2) ديوانه ص 228 قصيدة (33) .  
(3) ديوانه ص 140 .  
(4) سورة القمر آية (38).  
(5) علم البيان أ.د/ رفعت إسماعيل السوداني ص 27 .

وقد لاحظت أنّ هذا الضرب من صور التشبيه البليغ الاصطلاحية كثيراً ما يأتي في تصوير الحركات يقول تعالى :

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ (1)

ويقول تعالى " يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ (2)

ولعل السرّ فكثرة مجئ هذا النوع من التشبيه في تصوير الحركات أنّ توالى الأحرف المتشابهة في الفعل والمصدر وتوالى الحركات يوحى بانسيابية وخفّة في الحركة ، كما أن الأفعال المضارعة في هذه الصيغة الاصطلاحية من التشبيه توحى بتتابع الحركات واستمرارها واتصالها ( تذف - تمر - ينظرون ) ، وقد جعل ابن الأثير من محاسن التشبيهه وبلاغته " أن يجئ مصدرياً كقولك : أقدم إقدام الأسد " (3) ، وقد خص الشاعر " صفراء الجراد " لخفة حركتها، حيث إنّها تكون قد ألفت بيضها فصارت حركتها خفيفة " (4) ، وفي البيت الرابع يكتفي عن الاهتمام البالغ بهذه الخيول بأنها " لا تضاع إذا أضيعت خيول الناس في السنه الجماد " ، وأسلوب الشرط في قوله " لا تضاع إذا أضيعت " يدل على تحقّق ضياع غيرها من الخيول ، فالأسلوب هنا يدعم مدحه لهذه الخيول فهي تُصان عندما تضيع غيرها وتُهمَل بالفعل في أوقات الجذب والجوع ، والبيت الثالث كناية عن خفّة أجسام هذه الخيول واحترس عن أن تكون خفتها بسبب الجوع وذلك بقوله " تميم الخلق من آخر وهادي " ، ثم ينتقل كعب إلى تصوير قوّتها في الحروب ، وتعوّدها الحروب ، حيث صوّر قوة وسرعة هذه الخيل بالاستعارة في قوله " ينازعن الأعنة " ، حيث شبّه المقاومة بالمنازعة ثم استعار " ينازعن " ليقاومن على سبيل الاستعارة التبعية ، وقد " جرى ذلك على لسانهم ؛ لأنّ البطء والسرعة يظهران في العنان " (5) .

(1) سورة النمل الآية (88) (2) سورة محمد الآية (20) .

(3) ابن الأثير ومقاييسه البلاغية ص 194 مخطوط نقلًا عن الصور البيانية د حفني شرف ص 92 .

(4) ديوان كعب بن مالك ص 193 .

(1) التصوير البلاغي في قصيدة النابغة المشهورة/ د عبد الحليم محمد شادي ص 46- ط أولى مطبعة الأمانة القاهرة 1414 هـ /1993م.



وقد تأثر حسان بهذه الصورة في هذا البيت الأخير حيث يقول (1) :

## يبارين الأسنّة مُصغياتٍ على أكتافها الأسل الظماء

فتأثره بكعبٍ واضحٍ حتّى في الألفاظ إلا أنّ صورة حسان تفوق صورة كعب ، لما فيها من خيالٍ حسنٍ ، فمنازعة الخيول لأعنتها ومحاولة الفكك منها كي تسبقها واردة وليست ببعيدة عن الحقيقة ، أمّا صورة حسان ، فتخيّل فيها سباقاً لا بين الفرس وعنائه وإنما بين الخيل والأسنّة التي شرعها الفرسان على جوانب هذه الخيول استعداداً للطعن بها ، فكأنّها ظنت أنّ هذه الأسنّة تجرى بجوارها فزادت من سرعتها لتسبقها ، كما أنّه جعل الأسنّة هي الأخرى تسابق الخيل وتباريها ، وذلك بالاستعارة المكنية في قوله "الأسل الظماء" والتي جعلت من الأسنّة إنساناً متعطّشاً للشرب ، وكون الأسنّة متعطّشة لدماء الأعداء يوحي بأنّها هي الأخرى تبارى الخيول ، وفي بيت كعب مزية وهو أنه عبر عن الحرب بالفزع وذلك للدلالة على قوتها وشدة أحداثها .

---

(1) ديوانه ص 73 قصيدة (1) 0

## (2) وصف السيوف

يقول كعب بن مالك في وصف السيوف (1) [من الطويل]

وقد عرّيت بيض خفاف كأنها  
بهنّ أبذنا جمعهم فتبَدَدوا  
فكُتِبَ أبو جهلٍ صريعاً لوجهه  
وشيبةً والتيمى غادرنَ فى الوغى  
فأمسوا وقودَ النَّارِ فى مُستقرها  
تلظى عليهم وهى قد شَبَّ حميها  
مقاييسُ (2) يزهيها لعينيك شاهرُ  
وكان يلاقى الحينَ (3) من هو فاجرُ  
وعُتْبَةَ غادرنَه وهو عاثرُ  
وما منهم إلا بذى العرشِ كافرُ  
وكلُّ كفورٍ فى جهنّم صائرُ  
بزُبرِ الحديدِ (4) والحجارةِ ساجرُ (5)

يصف كعب في هذه الأبيات السيوف في أيدي المسلمين وما فعلته بالمشركين من قتل وتشريد ، فذاقوا وبال أمرهم ، وأمسى من قُتل منهم يتقلّب في جهنّم ، وصاروا وقوداً لها ، ويرسم لنا بهذه الأبيات لوحةً متعددة العناصر متناسقة الألوان ففي البيت الأوّل يجمع المشهد بين وصف السيوف ووصف هيئة حاملها ، فوصف السيوف في تشبيهه إياها بالمقاييس من النار ، التي يُظهرها ويستعرض بها حاملها ، ويرفعها ويقلبها يميناً ويساراً ، أمّا تصوير هيئة حاملي السيوف فقد صوّرها بالكلمات التي اختارها بعناية ودقة بالغة ، ليساند النظم الصورةً البيانية ويسهم في تلوينها ، فاستخدام الفعل " عرّيت " دون " سلّت أو نزعت " يدل على أنها أخرجت من أغمادها برفق وطمأنينة مما يدل على ثبات المجاهدين وثقتهم بالله ثم بأنفسهم ، كما أن قوله " خفاف " احتراس من أن يظن أن إخراجها من أغمادها ببطء بسبب ثقلها .

(1) ديوانه ص 200 ، 201 قصيدة (18)

(2) مقاييس / القيس الشعلة من النار ... والجذوة وهى النار التى تأخذها فى طرف عود / اللسان 8/12 /مادة (قبس )

(3) الحين / الحين بالفتح الهلاك / اللسان 292/4 / مادة ( حين )

(4) زبرالحديد / الزُّبيرة بالضم القطعة من الحديد مختار الصحاح ص 155

(5) ساجر / سجر التَّنُّور ملاءه وقودا ، المسجور المتَّقَد الوسيط ص 417

واستخدام أداة التشبيه " كأن " يدل على قوّة الشبه بين الهيئتين ، وتسرى الصورة وتمتد إلى البيت التالى وتمتج الألوان فى مشهدٍ مبدع فى البيت الثانى من المقطوعة فى قوله " بمن أبدنا جمعهم فتبدّدوا " ، فهذه العبارة مناسبة للمشبّه " للسيوف " وللمشبّه به " المقاييس " على حدٍ سواء ، فالسيوف تفرّق الأعداء إما بالقتل أو بفرارهم منها ، والمقاييس هى الأخرى تبدّد الظلمات أى تفرّقها وبذلك يتضح أنّ الشاعر لم يرد أن يشبّه السيوف بالمقاييس فى اللون والشكل فقط وإنما فى الوظيفة فالسيوف تبدّد ظلمات الكفر والمقاييس تبدّد ظلمات الليل ، وما أجمل الكناية عن السيوف بصفاتٍ من صفاتها " بيضٌ خفافٌ " ! وذلك لمناسبة هذه الصفة " البياض " لتبديد الظلمات .

ثم انظر إلى الدقّة البالغة فى اختيار كعب المقاييس دون غيرها مما هو أشدُّ بريقاً ولمعانا منها ، وذلك لأنّه لا يريد أن يشبّه السيوف بها فى البريق واللمعان وتبديد الظلمات فحسب ، ولكى نعرف مقصد كعب من تخصيص المقاييس دون غيرها لتكون مشبهاً به لننظر إلى الأبيات التى تلى هذين البيتين يقول فيهما كعب :

فأمسوا وقود النار فى مستقرها      وكلّ كفورٍ فى جهنم صائرُ  
تلظّع عليهم وهى قد شبّ حميها      بزبر الحديد والحجارة ساجر

لقد اختار مشبّهاً به- " المقاييس " - يصلح كوسيلة لإشعال النار فى الحطب أو أى شئ يُراد إحراقه ، وما أشبه السيوف بالمقاييس فى هذا الوجه ، إنّها الوسيلة التى يردُّ بها هؤلاء الكفرة جهنم فبمجرد أن يُطعنوا بهذه السيوف فإنهم سيردون جهنم فكأنّها ليست سيوفاً طعنوا بها!!! لكأنّها مقاييسٌ أشعلت فيهم النار ، انظر إلى هذه الصورة التشبيهية الرائعة لو أنّها قطعت عن السياق لما ظهر جمالها وإبداعها " فكثيراً ما تكون المفردات أو الصور الجزئية غير مثيرة أو مؤثرة بذاتها إذا قطعت عن السياق ونظم الكلام والصورة الكلية " .<sup>(1)</sup>

(1) التفسير النفسى للأدب د/ عز الدين إسماعيل ص 90

وفي هذا المعنى وهو كون السيوف وسيلة للإحراق يقول الشاعر (1)

فإن تعافوا العدل والإيمان فإن في أيماننا نيرانا

" أي سيوفنا تلمع كأثما نيران " (2) وعلى ذلك فهي استعارة وأرى أن الأليق والمناسب للمعنى اعتبار " نيراناً " مجازاً مرسلأً علاقته " المسيبية " ، حيث أطلق المسبب " النيران " وأراد السبب وهي السيوف ، للتفجير من عاقبتهم إذا ما قُتلوا بسيوفهم فإنهم يُحرقون في النيران لأنهم أعرضوا عن العدل والإيمان كما ذكر الشاعر ، والقول بالمجاز لا يمنع الاستعارة فإنه يمكن اعتبار اللفظ استعارة إذا اعتبرت العلاقة المشابهة ويعد مجازاً إذا اعتبرت علاقة أخرى غير المشابهة يقول سعد الدين التفتازاني " فاللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد يجوز أن يكون استعارة ، وأن يكون مجازاً مرسلأً " (3) وانظر إلى حسن اختيار الألفاظ والأساليب فبناء الفعل للمجهول في قوله " فكُبَّ أبو جهلٍ صريعاً " يدلُّ على المطاوعة وسلب الإرادة استجابة لتبديد السيوف لهم ، كما أن تقديم الجار والمجرور " بمنَّ " على الفعل " أبدنا " تعظيماً لشأن هذه السيوف وافتخاراً بها ، كما أنه عرَّف المسند في قوله " من هو فاجرٌ " " وهو عاثرٌ " فالتعريف في الجملة الأولى لتقرير وتأكيد تمكن صفة الفجور من هؤلاء الكفرة ، واختيار الفعل " كان " في قوله " وكان يلقى الحين " لتحسير السامعين على قتلاهم وتذكيرهم بأنهم قد طويت عليهم صفحات الماضي والتعريف بالضمير في الجملة الثانية " وهو عاثرٌ " تأكيداً وتقريراً لهلاك هذا الكافر وهو من رؤوس الكفر في مكة ، وقد كانوا يستبعدون هلاك ضعفائهم فضلاً عن أكابر المجرمين منهم ، ف جاء بالضمير للتوكيد والتقرير ، احظ تلذُّذه بذكر أسمائهم وذلك تحسيراً وتخزيناً وإيلاماً للسامعين ، وأسلوب القصر في قوله " وما منهم إلا بذى العرش كافر " أرى أن هذا الأسلوب تمهيدٌ لحكمه عليهم في البيت الذي يلي هذا البيت في قوله " وكل كفور في جهنم صائر " فهو في الجملة الأولى يقصرهم على صفة الكفر ويثبتها لهم فرداً فرداً بقوله " وما منهم إلا بذى العرش كافر " .

(1) دلائل الإعجاز ص 299، 300

(2) بغية الإيضاح ص 119 ، 120 الشيخ عبد المتعال الصعيدي - المطبعة النموذجية ط 5 1973 م

(3) المطول ص 357

ثم أجرى عليهم الحكم بالصيرورة إلى جهنم أيضا فردا فردا ولكن هذه المرة عن

طريق الإجمال بقوله " وكل كفور في جهنم صائر " ، ويُلاحظ أنَّه في أسلوب القصر لم يقل " وما منهم إلا بالله كافر " وذلك لبيِّن شدة جهلهم وحمقهم واستحقاقهم العذاب الأليم، حيث كفروا بالله وهو في عليائه مستوٍ على عرشه في أعلى عليين وهم على الأرض في أسفل سافلين ، وقد ربط بين البيتين بفاء السببية ؛ لأنَّ دخولهم النار مسبب عن كفرهم بالله

وهكذا رأينا الدقَّة والعناية باختيار عناصر الصورة ودقَّة اختيار الكلمات ونظمها بطريقةٍ تساعد على تجلية الصورة وتلوينها في اتِّساقٍ مبدع " وكأن في يده ريشة فنان بارع يغمس ريشته في وجدانه فيستخرج أغمض الألوان وأدق المشاعر " (1) ولاحظ الدقة في اختيار الفعل " أمسوا " وما يوحي به من الظلمات والكآبة والحزن ، واختيار حرف الجر " في " وذلك في قوله " في مستقرها " ، " في جهنم " يدل على انتهائهم إلى قعرها واستقرارهم ، وتمكنهم فيه .

---

(1) القوس العذراء وقراءة التراث ص 46 د/ محمد أبو موسى ط دار غريب للطباعة القاهرة هـ 1403 / 1983 م .

### (3) وصف الدروع

يقول كعب بن مالك «(1) [من الكامل]

في كلِّ سَابِغَةٍ (2) تَخْطُّ فُضُولَهَا (3)  
بِيضَاءَ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَهَا (5)  
جَدْلَاءَ يَحْفَرُهَا (6) نَجَادًا مُهَنَّدًا  
تَلْكُمُ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسُنَا  
نَصِلُ السِّيَوفَ إِذَا قَصْرَنَ بَخْطُونَا  
كَالنَّهْيِ (4) هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَتْرَقِرِ  
حَدَقُ الْجِنَادِ بِذَاتِ شَكِّ  
مَمُوتًا قَرَّ قَرَّ  
صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارَمٌ ذِي رُونِقِ  
يَوْمَ الْهِيَاجِ وَكُلِّ سَاعَةٍ مُصَدَّقِ

يصف كعبُ عدَّةَ الجيش الإسلامي التي جهَّزها للحرب ، فهم يسيرون في دروعٍ سابِغَةٍ لامعةٍ تتموج عليها أشعةُ الشمس ، وهي دروعٌ محكمةُ النَّسجِ كأن مساميرها عيون الجناد ، وهي لُحْفَتِهَا يحملها نجاد السيف ، هذه الدروع مع تقوى الله سبحانه وتعالى هي الواقي للمسلمين من أعدائهم ، ومع حملهم لهذه الدروع فهم مقاديم في الحرب غير جناء ، وقد صور كعبُ دروع هذا الجيش وأثرها على الرمال بأثر الريح اللينة الرقيقة على سطح الغدير ، والقيد (المترقق) في جانب المشبه به له أثره في الصورة ، حيث إنَّ الريح اللينة الرقيقة إذا هبَّت على الغدير فإنَّها تنقش سطحه وتجعله خيوطا ما بين دقيقٍ وعريضٍ ، وهذه الهيئة تفعلها الدروع الفضفاضة السابِغَة عندما تجر فضولها على الرمال فإنَّها تخطُّ عليها خيوطاً متفاوتةً .

واستخدام الشاعر لحرف الجر " في " الذي يدل على الظرفية يتناسب مع إخباره عن هذه الدروع بأنَّها سابِغَة ومع قوله " فضولها " وهذا يعني اتساعها فالحرف " في " يوحي بأنَّها محيطية بهم إحاطة الظرف بالمظروف ، وقد عدلَ عن التعبير بالجمع " سابغات " إلى " كل سابِغَة " ليجري الصفة على كل درع من هذه الدروع ، ليُعلم

(1) ديوانه ص 245 قصيدة (43)

(2) السابِغَة / الدرع الواسعة ، والدرع السابِغَة التي تجرها في الأرض أو على كعبك طولاً وسعه اللسان )

(3) فضولها / فضل الشيء فضلاً زاد عن الحاجة- الوسيط 693

(4) النهي / تنأى الماء إذا وقف في الغدير وسكن 365 مختار الصحاح

(5) قتيرها/ رعوس المسامير في حلق الدروع -الوسيط714(6) يحفرها : يرفعها ويحملها .



أثماً جميعاً متشابهةً متساويةً ؛ لأنَّ الوصف إذا كان عاماً فإنه يمتثل أن يكون من باب التغليب ، ثم ينتقل إلى تصوير مشهدٍ آخر خاصٍّ بهذه الدروع ألا وهو هيئة مساميرها فتقع عينه على أقرب مشبّه به لرؤوس هذه المسامير ، حيث شبّه رؤوس هذه المسامير ، وقد أحكم سردها وشكّها فالتصقت رؤوسها بجسم الدرع بحيث لا يوجد أدنى فراغ بين سطح الدرع ورأس المسامير ، مع ارتفاع أواسط هذه المسامير عن حوافها ، شبّه هذه الهيئة بحديق الجنادب ، ومع أن طرفي التشبيه مفردان إلا أن الجهة الجامعة بينهما "وجه الشبه" مركب ، وخصّ كعب حديق الجنادب خاصّة لارتفاع حوافها عن غور عينها ، بجانب صلابتها واتحاد لونها ، وتناسبها مع رؤوس المسامير في الحجم ، ونظراً لهذا التقارب الشديد بين الطرفين استخدم كأنّ ، وقد ذكر في البيت وصفا يشعر بوجه الشبه وهو قوله " ذات شك موثق " ، ثم يكتفي عن خفة هذه الدرع بقوله " يحفزها نجاد مهند " أي يحملها عن لابسها نجاد السيف وهذا دليلٌ على خفتها .

ثم يتطرق إلى وصف السيوف فيكتفي عن متانتها وأصالتها بقوله " صافي الحديد صارم ذي رونق " وهو متأثر بالقرآن الكريم في قوله " تلکم مع التقوی تكون لباسنا " متأثر بقوله تعالى :  
 وَلِبَاسٍ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ (1)

والإشارة في البيت للتعظيم في قوله : " تلکم مع التقوی " ، ثم يأتي كعب بالبيت الأخير ليحترس لقومه من أن يتوهم أنهم يلبسون هذه الدروع جنباً منهم ، فالبيت " كناية عن شدة المقاربة في الحرب " (2) والمقاربة دليل على الشجاعة والإقدام وقريب منه قول الأحنس بن شهاب التغلبي (3) :

وإن قصرت أسيافنا كان وصلها  
 خطانا إلى القوم الذين نضارب

وبيت الأحنس سابق في الزمان لبيت كعب متأخر عنه في الجودة ، فالأحنس جعل إقدام قومه محدوداً غير عام بقوله " إلى القوم الذين نضارب " .

(1) سورة الأعراف الآية (26).

(2) دراسة في البلاغة والشعر د محمد أبو موسى ص 173. (3) المفضليات - المفضل بن محمد الضبي تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون- 7/2 - ط دار المعارف - مصر.

أما كعب فقد جعل إقدام قومه عاماً دون تخصيصه بوقت أو بقوم ، كما أن كعباً أسند الوصل إلى ضمير قومه ، واحترس بقوله " قدما " حتى لا يتوهم أن مقاربتهم لأعدائهم مراوغةً لا إقداماً ، كما أن قوله " ونلحقها إذا لم تلحق " بدون ذكر الوسيلة التي يلحقونها بها دليلٌ على الإصرار على إلحاق هذه السيوف بأهدافها بأي وسيلة كانت .

## (4) وصف الرماح

يقول كعب بن مالك (1) [من الكامل]

- 12- يصلُ اليمينَ بمارنٍ (2) متقاربٍ  
13- وأغرَّ (3) أزرق في القناة كائنه  
14- وكتيبة ينفي القران (5) قتيورها  
15- جاوى (8) ملممة كأن رماحها  
16- ياوى إلى ظلّ اللواء كائنه  
17- أعييت أبا كرب وأعييت  
وَكَلَّتْ وَقِيَعْتُهُ إِلَى خَبَابٍ \*  
فِي طُخْيَةِ (4) الظلماءِ ضوءُ شهابٍ  
وَتَرَدُّ حَدَّ قِوَا حِزِّ (6) النُّشَّابِ (7)  
فِي كَلِّ مَجْمَعَةٍ ضَرِيمَةٍ (9) غَابِ  
فِي صَعْدَةٍ (10) الخَطِيّ (11) فِي (12) عُقَابِ  
وَأَبَتْ بِسَالَتِهَا عَلَى الْأَعْرَابِ

يصوّر كعبٌ في هذه الأبيات أجزاء الرُّمَحِ ، فهو رَمَحٌ لِيَنَّ قَصِيرٌ كما أَنَّ سَنَانَهُ حَادٌّ لَامِعٌ ، وهذه السِّنَانُ تشبه ظلَّ العُقَابِ ، والكتيبة الإسلامية ذات دروع تردُّ النبل ، وتحوّل دون اصابتها أهدافها ، ورماح هذه الكتيبة تبدو وهي مجتمعة تعكس أشعة الشمس كحريقٍ في الأشجار الكثيفة الملتفة

- (1) ديوانه ص 180 ، 181 قصيدة (7) .  
\* خباب : اسم " قين " اشتهر بصنع السيوف ص 180 ديوان كعب بن مالك .  
(2) مارن / رمح مارن : صلب لين / اللسان 61/14 مادة ( مرن ) .  
(3) أغر / الأغر الأبيض والأغر أيضا الشريف - مختار الصحاح 258 .  
(4) طخية / الطخية : الظلمة والغيم ، والطخية أى شئ من سحاب ( والأخير مناسب لمعنى البيت ) اللسان 98/9 مادة ( طخي ) .  
(5) القران / النبل المستوية من عمل رجل واحد ، القرن : السيف والنبل / اللسان 90/12 مادة ( قرن ) .  
(6) قواحز / القاحز السهم الطامح عن كبد القوس ذاهبا في السماء / اللسان 29/12 مادة ( قحز ) .  
(7) النشاب / النبل / اللسان 204/14 .  
(8) جاوى / كتيبه جاواء أى بيته الجأى وهى التى يعلوها لون السواد الكثرة الدروع / اللسان 63/3 مادة ( جاى ) .  
(9) ضريمة / ضرمت النار وتضرمت واضطرت : اشتعلت والتهبت / اللسان 40/9 مادة ( ضرم ) .  
(10) صعدة / القناة ، وقبل القناة المستوية تنبت كذلك لاتحتاج إلى تثقيب / اللسان 239/8 مادة ( صعد ) .  
(11) الخطي / الرمح المنسوب إلى الخط ( موضع باليمامة ) اللسان 102/5 مادة ( خط ) .  
(12) فيء عقاب / الفىء ما كان شمسا فنسخه الظلّ / اللسان 246/11 مادة ( فيء ) والعقاب / طائر من العتاق ، عناق الطير ، وسباع الطير التى تصيد / اللسان 219/9 مادة ( عقب ) .

وفي البداية أريد أن أنبه أن هذه الأبيات فيها تقديم وتأخير، حيث إن موضع البيت رقم (16) بعد البيت رقم (13) وذلك لسببين : الأول أنه مُكَمَّل ومتمم لوصف أجزاء الرمح, فالشاعر بدأ بوصف لين قناته, ثم وصف السنان في البيت (13) ، وهذه البيت رقم (16) متمم لوصف هيئة السنان كما سيتضح من خلال التحليل .

السبب الثاني :- أن البيت رقم (15) يتحدث عن الكتيبة ، والبيت رقم (17) يتحدث عنها هو الآخر بدليل تأنيث الفعل أعيت .

وقد استعان كعبٌ في هذه الأبيات بالصورة التشبيهية لتصوير ووصف هذه الرماح وأجزائها, ففي البيت الثالث عشر يصور كعبٌ هيئة السنان المصقول المذرب ، وقد اتصل بجسم لامع وهو متصل بالقناة, وهى أيضا جسم لامع اسطوانى ممتد، بهيئة الشهاب ، وقد اندفع في الظلام محدثاً خلفه ذنباً نارياً ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من وجود رأس لامع متصل بجسم اسطوانى لامع ممتد, وهذا التشبيه من المركب الحسى الذى يصور الحركة وقصد مع الحركة اللون ، ويلاحظ المناسبة التامة بين المشبه والمشبه به ، فالسنان يشبه رأس الشهاب , والقناة تشبه ذنبه , والظلام يظهر ضوء الشهاب , وغبار المعركة يظهر لمعان الرمح أثناء انطلاقه نحو هدفه ، ولقوة الشبه بين الهيئتين استخدم الشاعر أداة التشبيه " كأن " .

ثم يأتى بصورة تشبيهية غاية في الإبداع في البيت السادس عشر، حيث يشبه هيئة السنان في القناة ، وقد انطلق من يد حاملة, بهيئة ظل العقاب ، وقد قبض جناحيه للانقضاض على فريسته . انظر إلى هذه الدقة وإصابة عين التشبيه ، فالتأمل في الرمح يجد أن له زائدين حديديتين منحرفتين إلى الخلف تشبه تماما ظل جناحي العقاب على الأرض إذا ضمهما إلى الخلف في الهواء, ليكون جسمه انسيابياً أثناء انقضاضه على فريسته .

ومن تمام الصورة أن جعل الشَّبه متعلقاً بهيئة ظلِّ العقاب ، لا هيئة العقاب نفسه لتتم له الصورة التي أرادها ، لأنَّه لو علَّق الشَّبه بهيئة العقاب أثناء انقضاضه ، لجاء تصويره هيئة السنان فقط غير متصل بالقناة ، لكنَّه لما أراد أن يصوِّر هيئة السنان متصلاً بالقناة علَّق الشَّبه بهيئة ظلِّ العقاب ، وذلك ؛ لأنَّ ظلَّ الشئ يكون طويلاً ممتداً عن طوله الحقيقي في أكثر أوقات النهار عندما تكون الشمس مائلةً عن كبد السماء وبذلك يتحقق الشَّبه تماماً بين الهيئتين .

وهكذا يصنع الخيال الخِصب في إثراء الصورة فالصُّورة " نتاج لفاعلية الخيال ، وفاعلية الخيال لا تعنى نقل العالم أو نسخه ، وإنما تعنى إعادة التشكيل ، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر ، والجمع بين العناصر المتضادَّة أو المتباعدة في وحدة " (1) وما أرى هذه الكلمات للدكتور جابر عصفور إلا ترديداً وصياغة جديدة لفكر الإمام عبد القاهر الجرجاني فقد أشار رحمه الله إلى هذه الوظيفة التي يقوم بها الخيال في إثراء الصورة وذلك عندما تحدَّث عن تصوير الشبه بين المختلفين في الجنس " وذلك أن موضع الاستحسان ... والمؤلف لأطراف البهجة = أنك ترى بها الشئيين مثلين متباينين ومؤتلفين مختلفين ، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض ، وفي خلقة الإنسان وخلالِ الروض " (2)

وأرى أنَّ ظلَّ اللواء يقصد به كعب حامل اللواء وهي كناية عن موصوف وهي أبلغ من التصريح ؛ لأنَّها أكد في إثبات ملازمة حامل اللواء له لأنَّه لو سقط أو انهزم لانهزم الجيش ، ثم انظر إلى تصوير الحركة في هذا التشبيه البديع فحركة هذا الرمح - في خيال كعب حركة واعية وكأنه يعرف هدفه ؛ ولذلك عبر عنها بقوله " يأوى " والتي توحى بالحركة الواعية المقصودة كما أنَّ حرف الجر إلى يعطى نفس الإيحاء لأنه يدل على " انتهاء الغاية " (1)

---

(1) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ص 373 د/ جابر عصفور.  
(2) أسرار البلاغة - الإمام عبد القاهر الجرجاني - تحقيق الشيخ محمود شاكر - ص 130 - دار المدني القاهرة / 1412 هـ / 1991م.  
(3) الاقتضاب للبطلبيوسي / تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد - 287/2 ط-الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وهكذا رأينا " للتشبيه قدرة خارقة في تلوين الشكل بظلالٍ مبتكرةٍ وأزياءٍ متنوعة لم تقع بحسبٍ قبل التشبيه ، ولم تجر بها العادة ولا تُعرف بدهاءٍ إلا بملاحظة مجموعة العلاقات الفنيّة في التشبيه , وعند ضمِّ بعضها للبعض الآخر تبدو محسوسةً متعارفة ذات قوة وضعية متميزة " (1) ، وها هو كعب في أكثر من موضع - يبارى حسان في دقة التصوير وعمق المعاني وجمال التخيل ، ولعل التقوى والسنان يؤازران اللسان ، ثم يصوّر في البيت الأخير هيئة اجتماع هذه الرماح اللامعة , ويشبّوها بهيئة الحريق الذي يشبُّ في الأشجار الكثيفة الملتفة بجامع الحركة المتموجة اللامعة (2)

---

(1) أصول البيان العربي د / محمد الصغير ص 64 ط دار الثقافة بغداد بتصرف يسير .  
(2) راجع تحليل هذا البيت في باب الموازنات من هذا البحث ص ( 224.223 )

## ثانياً : وصف المعركة

وقعت بين المسلمين والمشركين معارك كثيرة خاضها المسلمون من أجل إعلاء كلمة الله، ومقاومة الكفر والطغيان وفي كل معركة " ما إن تضع الحرب أوزارها حتى يقوم الشعراء واصفين ما كان فيها من بسالةٍ وشجاعةٍ وإقدامٍ " (1) وبقدر ما في الحرب من هياجٍ وأحداثٍ بقدر ما تنوعت لوحات الشعراء فوصف أحداث القتال، فجاءت الأغراض الوصفية التالية :

1- وصف المعركة وفرار الأعداء .

2- وصف شدة القتال وتصوير الموت .

3- وصف الحرب وتشبيهها بالناقة .

ومن الملاحظ أنَّ السَّبق في تصوير المعركة وأحداثها لكعب بن مالك، وأنَّ حسَّان لم يخضْ في تفاصيل المعارك إلا قليلاً، وجاءت صوره إشارات عابرة وصور بسيطة - على ما أرى إذا ما قورنت بشعر كعب في هذا الغرض ، ولعل السَّبب في ذلك هو الصَّدق الفنى الذى امتاز به شعراء هذه الفترة ، فحسَّان لم يكن محارباً " ويظهر أنه كان ينتظر مع النساء نظراً لكبر سنِّه وعجزه عن القتال بسبب إصابته في أكحله " (2).

ومع ذلك نجد له شعراً في كل الغزوات، إلا أنَّه غالباً ما كان هجاءً وتعبيراً بالهزيمة وبالصفات القبيحة وهو " يؤدِّي دوره في كلِّ ذلك خير أداءٍ فهو مراسلٌ حربى يسجِّل الأخبار، وهو صحيفةٌ يوميةٌ تنشر هذه الأخبار ويلوِّنها بما يتفق وهدف المسلمين " (3)

وعبد الله بن رواحة هو الآخر له شعر في وصف المعركة ولكنَّه قليلٌ، ولعل السبب في ذلك " أن يكون الكثير من شعر ابن رواحة قد ضاع " (4).

(1) الأدب فى صدر الإسلام ص 101 د / محمد عبد الرحمن عبد الظاهر

(2) حسان بن ثابت شاعر الرسول ص 160

(4) ديوانه ص 82

(3) المرجع السابق ص 161

ولعل السبب في إجادة كعب في تصوير الحرب دون حسّان " أنّ الشعر قد يصدر في وصف الحرب عن الشُّجاع ، فيُعلم وجه صدوره ويدلُّ على كُنْهه وحقيقتة وقد يصدر عن المتشبه ، ويخرج عن المتّضع ، فيُعرف من حاله ما ظنَّ أنّه يخفيه ، ويظهر من أمره خلاف ما يبديه " (1)

---

(1) إعجاز القرآن ص 277 عن دراسة في البلاغة والشعر د / أبو موسى ص 166



## (1) وصف المعركة وفرار الأعداء

يقول كعب بن مالك يوم أحد " (1) [ من الطويل ]

فَلَمَّا تَلَقَيْنَا وَدَارَت بِنَا الرَّحَى      وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّهِ (2) اللَّهُ مَدْفَعُ  
ضَرَبْنَاَهُمْ حَتَّى تَرَكْنَا سُرَاتَهُمْ      كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مِصْرَعٌ (3)  
لَدُنْ غَدْوَةٍ حَتَّى اسْتَفْتَنَا عَشِيَّةً      كَأَنَّ ذُكَاْنَا (4) حَرُّ نَارٍ تَلْفَعٌ (5)  
وَرَاخُوا سِرَاعًا مَوْجِفِينَ (6) كَأَنَّهُمْ      جَهَامٌ (7) هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مَقْلَعُ

يصف كعب في هذه الأبيات لقاء المسلمين بالمشركين في أحد ، ورضاهم بقدر الله وقد تساقطت رؤوس المشركين وأشرفهم، حتى كأنهم أخشابٌ مصرعةٌ ملقاةٌ على الأرض ، ثم أفاق المسلمون على هذه المفاجأة ، فريق من المشركين صريع ملقى على الأرض وفريق يفرُّ وكأنه يهرب من نارٍ تلاحقه ، ففروا خفافا مسرعين وكأنهم في سرعتهم سحابة خفيفة ألفت ماءها ، وقد ارتبط الصُّور في الأبيات لِتُصَوِّرَ الشطر الأول من المعركة في سرعةٍ وتتابع للأحداث ، ففي البيت الأوَّل يستعير الرَّحَى للحرب الشديدة وذلك ؛ لأنَّ الحرب لا تخلو من شدَّةٍ وغلظةٍ على المهزوم ، كما أنَّ القتلى يتساقطون في أرض المعركة كما يتساقط الطَّحِينَ من الرَّحَى ، ويُلاحَظ أَنَّهُ قال "دارت بنا الرحى" ولم يقل دارت علينا ، وهذا يعنى أَنَّهُم هم المؤثرون وأن لهم السطوة ، وأنَّ الحرب إِنَّمَا تطحن أعداءهم بفعلٍ منهم ، والباء في قوله " بنا " للملاصقة.

(1) ديوانه ص 226، 227 (2) حمَّه / قضى ما هو كائن / اللسان 232/4 مادة (حمّ)

(3) مُصْرَعٌ / صرعه طرحه على الأرض ، مصراع الباب أحد جزأيه وهما مصراعان الوسيط 513.

(4) ذُكَاْنَا/ الذُّكْرَةُ والذُّكَا : الجمرة الملتهبة ، وأذُكَيْت الحرب أ ، وقَدَّتْهَا / اللسان 38/6 مادة (ذكا).

(5) تَلْفَعُ / لفع الشيب رأسه يلفعه لفعاً : شمله ، لفعتك النار أى شملتك من نواصيك وأصابعك لهيبها / اللسان 217/83 مادة ( لفع ) (6) موجفين / الوجف : سرعة السير / اللسان 159/15 مادة (وجف) .

(7) جهام / السحاب الذى لا ماء فيه وقيل الذى قد هراق مائه مع الريح / اللسان 229/3 مادة (جهم).

وقد عبّر بالفعل " تلاقينا " والذى " والذى " ، وزن " تفاعلنا " ليدل على شوق الفريقين



لهذا اللقاء، فالمسلمون يشناقون للقاء أعدائهم لأنهم ذاقوا حلاوة النصر ببدر، والمشركون يشناقون لأنهم تجرّعوا مرارة الهزيمة ويعانون نارها ويوّدون لو ثأروا لكرامتهم، وهذه الحالة مناسبة تماما لتشبيهه الحرب بالرحى في هذا البيت، ثم انظر إلى بيانه لتوكّلهم على رب العزة سبحانه وتعالى وتسليمهم بقضائه في قوله " وليس لأمر حمّه الله مدفع " فتكبير كلمة " أمر " دلالة على إرادة الله فإشياء الله كان، وتنكيره لكلمة " مدفع " إشارة إلى طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى وأنه لا يُدفع قضاؤه بشيء وإيثاره كلمة مدفع على اسم الفاعل " دافع " لنفى أى محاولة لدفع إرادة الله وقضائه وإذا انتفت المحاولة انتفى المحاول، ثم يؤكّد سطوتهم وسيطرتهم على مقاليد الأمور في المعركة عندما يشبّه كثرة عدد القتلى من المشركين وهم مطروحون على الأرض بالخشب المصرّع، ولعه أراد بقوله مصرّع أنهم لتساجهم في ملابسهم وهيئة سقوطهم على الأرض كأن كل واحد منهم " مصراعُ باب " وفي تشبيههم بالخشب المصرّع امتهان لهم، وقد استخدم كعب أداة التشبيه كأن دلالة على قوة الشبه وتقارب الصورتين، وقد جاء كل من المشبّه والمشبّه به جمعاً، وقد أوضح الفراء (1) وجوب مراعاة العدد في تشبيه الأعيان والذوات، حيث ذكّر أنّ " تشبيه الأعيان والذوات لا بد فيه من مراعاة الأعداد بين المشبّه والمشبّه به لتصحّ المقابلة بين طرفيه كما جاء في قوله تعالى في وصف المنافقين " :

(2) كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُّسْتَدَّةٌ

أما تشبيه الأحوال والصفات فلا ضرورة فيه؛ ذلك؛ لأنّ الذوات غير مقصودة بل ما يحيط بها من أحوال وصفات؛ ولذلك تراع الأعداد في قوله تعالى في وصف المنافقين :

(2) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا

(1) معاني القرآن للفراء 15/1 تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين ط الهيئة المصرية العامة للكتاب دت

(2) سورة المنافقون الآية (4)

(3) سورة البقرة الآية (17)

ولمّا صوّر كعب الحرب في البيت 105 لرحى وأثبت لها دورانا فقال " ودارت بنا الرّحى " قال في البيت الثالث من المقطوعة " استفقنا " وكأهم لشدة القتال



صاروا كالسكارى ، فلمَّا بدأ النَّصر يتحقَّق وخفَّت حدة القتال بفرار الأعداء ، أفاقوا على ما فعلوه أثناء شدَّة القتال ، ولم يشعروا به بسبب هذه السُّكرة الخفيفه ولربما دخل الإنسان في مشاجرة في غير وعى ، ثم يفيق على أمر عظيم فعله وهو في حالة بين الوعي وعدم الوعي ، والأمر هنا أشدُّ لأنَّها حربٌ مصيريَّة بين فئةٍ قليلةٍ وأخرى كثيرة العدد والعدة ، فإذا بهم يحدون قوَّتهم وبأسهم في الحرب ، كأنَّها نارٌ متأججة يفرُّ منها من يليها ، وقد تمَّت الصورة في هذا البيت الصورة في البيت السابق ، فقد صوِّر في البيت السابق هيئة الصَّرعى ، وفي هذا البيت يصوِّر فرار من بقى منهم وسبب هذا الفرار ، والصُّورة قوية لتداخل التشبيه مع الاستعارة ، فهو أولاً يستعير " ذكانا " لقوتهم وبطشهم على سبيل الاستعارة المكنية ، حيث شبَّه قوتهم في الحرب بالنَّار ثم حذف المشبَّه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الذُّكوة أى جمرة النار . ثم شبه هذه القوة التي تشبه جمر النار ، بالنار الشديدة المحرقة " حرُّ نار ترفع " .

، وقد استخدم أداة التشبيه كأنَّ للدلالة على قوة الشبه فمن يقترب منهم وقبل أن يصل إليهم يرتدُّ هارباً . وكأنَّهم نارٌ لها حرٌّ شديدٌ يفرُّ من يقترب منها . ثم انتقل إلى تصوير هيئة فرار المشركين، حيث يقول :

### وراحوا سراعاً موجفين كأنهم ◆ جهام هراقت ماءه الريح مقلع

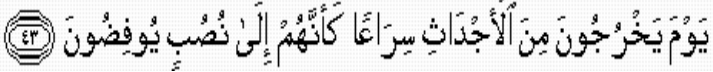
فالمشركون بعد أن سقط منهم من سقط قتيلاً وأحسُّوا بقوة المسلمين - والتي عبَّر عنها كعب بقوله ( ذكانا حر نار ترفع ) - فرُّوا هارين في سرعة ، وقد شبَّههم كعب بالسحاب الذى خفَّ وزنه بما أسقطته الرياح من مائه ، وهو شبهٌ دقيق ، ومعنى عميق غاص إليه كعب ، فقد لاحظ كعب شبها لحالة فرارهم - بسرعةٍ في خوفٍ وتخبُّطٍ متفرقين في أنحاء شتى - في السحاب الذى تفكَّكت أوصاله وخفَّ وزنه بسبب إسقاط الريح للكثير من مائه فيكون في الجو متفرقاً سريعاً تتقاذفه الريح وتهوى به ، وكذلك حال المشبه ( المشركين )

فكأنَّهم لما حصد المسلمون منهم بعض رجالهم ، تفكَّكت أواصرهم وفرُّوا ناجين بأنفسهم شعارهم ( انج سعد فقد هلك سعيده )<sup>106</sup> ساءاً خائفين بعد أن خفَّت أحمالهم بما تركوا من

أمتعة في ميدان المعركة .

"وأمثال هذا التشبيه " ينضوى تحت لوائها كثيرٌ من بليغ الكلام الذى يستولى على النَّفس ويملاً القلب سحراً وفتنةً وإمتاعاً ، وذلك أنه لا ينتقل من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكرٍ وتلُّث " (1)

وقد فصل كعب بين الموصوف ( جهام ) والصفة ( مقلع ) بالجملة الفعلية (هراقت ماءه الريح ) ؛ لأنَّ الصفة ( مقلع ) مسبَّبةٌ وناتجةٌ عن مضمون الجملة الفعلية , فأخَّر المسبَّب عن السبب ، كما أنَّه استخدم الهاء دون الهمزة في الفعل ( هراقت ) ؛ لأنَّ صوت الهاء مناسبٌ لمعنى السرعة والخفة في البيت  
كما أنَّ إسمية الحالين " سراعاً موجفين " تدلُّ على دوامهما وثبوتهما ، وهما متممتان لصورة الفرع خاصَّةً أن الأولى جاءت بلفظها في مشهدٍ مهيبٍ من مشاهد يوم القيامة وهو مشهد خروج الناس من قبورهم قال تعالى :

(2) 

والثانية جاءت مفردة أيضاً في مشهد من مشاهد يوم القيامة قال تعالى "

(3) 

ويلاحظ أن الشاعر في البيت نسب الحال " موجفين " إليهم كليةً لا إلى قلوبهم فقط ، إشارةً إلى شدة الفرع والخوف ، بينما نجد الآية تنسب الحال إلى القلب فقط " قلوب يومئذ واجفة " والآية بالطبع أبلغ لسببين الأول أنَّها نسبت عن طريق التبعية الحال للأبدان كلية وذلك ؛ لأنَّ القلب ملك الأعضاء ترتجف وتضطرب تبعاً له وتثبت إذا ثبت .

السبب الثانى أنَّها جعلتنا نبصر هذا القلب المستقر فى الصدر وهو يرتجف خوفاً وفرحاً

(1) فى رحاب البيان العربى د صباح دراز . أ د / أحمد ناجى ص38

(2) سورة المعارج آية 43 (3) سورة النازعات الآيات رقم 6 - 7 - 8

## وتصوير الموت (2) وصف شدة القتال 107

يقول كعب بن مالك في يوم أحد (1) [من المتقارب ]

فإن كنت عن شائنا جاهلاً  
بنا كيف نفعل إن قلّصت (2)  
أسنا نشدّ عليها العصاب  
ويوم له وهجّ دائم  
طويل شديد أوار (7) القتال  
تخال الكمأة بأعراضها  
تعاور أيمنهم بيمنهم

فسل عنه ذا العلم ممن يلينا  
عوانا (3) ضروساً (4) عضواً حجونا (5)  
حتى تدرّ وحتى تلينا  
شديد التهاول حامى الأرينا (6)  
تنفى قواجزه (8) المقر\* فينا  
ثمّالا (9) على لذة منزفينا (10)  
كووس المنايا بحد الظبينا (11)

يصف كعب شدة القتال وصعوبته وخبرة قومه في التغلب على هذه الصعوبات ،  
فهم يخوضونها في اليوم شديد الحرارة حتى إنك لترى الفرسان تظهر عليهم أعراض  
السكر وما هم بسكارى ، يتبادلون الضربات في ترنحٍ وتمايلٍ وكأنهم مخمورون .

- 
- (1) ديوانه ص 275، 276 قصيدة (61) .  
\* المقر فينا : من " قر " بالمكان أي سكن واطمان - الوسيط مادة " قر " ص 724 .  
(2) قلّصت / الناقة إذا غارت وارتفع لبنها / اللسان 176/12 مادة ( قلص ) .  
(3) عواناً / من البقر والخيل التي نتجت بعد بطنها البكر / اللسان 343/9 مادة ( عون ) .  
(4) ضروساً / الناقة الضروس : التي تعض حالبها / اللسان 36/9 .  
(5) حجونا / الغزوة الحجون : التي تظهر غيرها ثم تخالف إلى غير ذلك الموضع ويقصد إليها (بمعنى أنها يورى عنها غيرها ) اللسان 48/4 مادة ( حجن ) .  
(6) الأرينا / جمع الإره : موضع النار / اللسان 95/1 مادة ( إره ) .  
(7) أوار / شدة حر الشمس ولفح النار ووجهها والعطش / اللسان 191/1 مادة (أور) .  
(8) قواجزه/ هكذا أثبتتها محقق الديوان والصواب ( قواجزه ) ، / القحز: الوثب والقلق ، قحز يفحز قحزا : قلق ووثب واضطراب ، ويقصد بالكلمة شدائد الأمور / اللسان 28/12 مادة ( قحز) .  
(9) ثمّالا/ الثمل : الذي قد أخذ منه الشراب والسكر / اللسان 40/3 مادة ( ثمل) .  
(10) منزفينا / أنزف : إذا ذهب عقله من السكر اللسان/235/14 مادة (نزف) .  
(11)الظبينا / الظبة : حد السيف والسنان والخنجر وما أشبهها الوسيط 575 .

وقد استعان كعب على بيان شدة القتال وقوة الحرب بالاستعارات المكنية في  
البيت الثاني، والتي جعلت من الحرب ساعة سرسة<sup>108</sup> تأتي الانقياد لحالبها " فتكون شبيّهت  
بالحيونات التي تعضُّ بالأسنان والأنياب وحذف المشبّه به ورُمز إليه بالعض وفي هذا



تصوير لها بأنها مؤذية غشومٌ تؤلم الناس وتوجعهم " (1)

ثم فرَّع من هذه الصورة صورة رائعة - يوضِّح بها خبرة قومه وتمرسهم بفنون الحرب ودروبها - وهى الاستعارة التمثيلية فى البيت الثالث ، حيث يشبّه هيئة قومه فى إتقانهم لفنون القتال والمراوغة والخدع الحربية التى تجعل المعركة تنقاد لهم بعد شدّة وتلين بعد إباء بهيئة الحالب الماهر الذى يعصب ضرع الناقة سيئة الخلق حتى تزدهم ضرعها باللبن فتتقاد لحالبها بعد عصيانٍ وتدرُّ اللبن بعد منعها إياه .

والأبيات تحمل نبرة فخر عالية مختلطة بالوصف ، ويساعد الأسلوب على تعالى نبرة الفخر ، فهو يحذف الفعل ( سل ) من صدر البيت الثانى ليسارع إلى ضمير الفاعلين فى قوله " بنا " ويعدل عن حرف الجر " عن " إلى " الباء " فى قوله " بنا " وذلك ؛ لأنّ الباء تدل على " الاستغراق " (2) ، فهذا الأمر وهو الخبرة فى القتال شأنهم جميعاً ، وقد جاء بأداة الشرط إنّ والتى تدلُّ على الشكِّ فى الفعل ( قلّصت ) ، وهذا يعنى أنّ الحرب قليلاً ما تستعصى عليهم ، ثمّ هو يقدم ما يشعر بجواب الشرط وهو قوله " بنا كيف نفعل " ، فيجعل الجواب مفتوحاً أمام الخيال ليذهب فيه كل مذهب ، فهو وإن لم يوضِّح بجوابٍ معينٍ ، فقد أعطى ما هو أبلغ من كل بيان ، ثم إذا به يفصّل جواب الشرط فى أسلوب تقريرى عادلاً عن الأسلوب الخبرى إلى الاستفهام التقريرى حيث يقول " ألسنا نشدُّ عليها العصاب " ، ثم يأتى بحتى الغائيّة والتى تدل على طول المدة ، ومعنى ذلك أنّهم قومٌ عقلاء ذوو صبر لا يتعجلون الأمور - وهكذا يساند النظم الصور البيانية ويسهم فى تلوينها بظلال وإيحاءات وهكذا ترى أن " الإصابة فى مواقع حروف المعانى يكون من النظر فى تخليص المعانى وتحديدتها وتعليق بعضها على بعض " (3)

(1) الاستعارة فى لسان العرب ص101 ط مكتبة وهبة ط أولى 1421هـ/2000 م.

(2) من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم د/ محمد الأمين الخضرى ص190/191 - ط مكتبة وهبة ط أولى 1414هـ /1993م.

(3) القوس العذراء ص45 .

ثمّ يكفى عن شدّة حرارة هذا الـ 109 تله بالبيتين الخامس والسادس ، ثم صوّر أثر هذه الشدة على المتحاربين الأبطال بصورة تشبيهية رائعة ، حيث يلوح له مشهد من مشاهد المعركة وهو مشهد الأبطال الذين غشيتهم المعركة وأخذتهم الحماسة فى حالة



من الحماسة بين الوعى وعدم الوعى فيجد أقرب هيئة تُشبهها هذه الهيئة هي هيئة السكارى في حركاتهم المترنحة ونظراتهم الداهلة وانكبابهم وتهافتهم على الخمر اللذيذة بالنسبة لهم ، واستخدامه الفعل " تحال " كأداة تشبيه لقرب الهيئة من الهيئة (1)

وقوله " بأعراضه" - كناية عن الشجاعة والقوة - وذلك ؛ لأن الكماة قبل أن ينتهى بهم المطاف إلى أعراض ميدان القتال قطعوا مسافة كبيرةً بين جموع المقاتلين حتى وصلوا إلى جوانب الميدان ، وهذا دليلٌ على تحركهم وسط هذا الجمع الحاشد من المتحاربين في سهولةٍ ويسر دون أن يُصابوا بأذى ، كما أنّ فيها مناسبةً لهيئة المشبه به ؛ لأنّ السكارى يتميلون ويترنحون حتى ينتهى بهم المطاف إلى أركان المكان الموجودين فيه ، وحرف الجر " على " يوحى بالانكباب والحرص والتهاؤت وهو مناسبٌ للمشبهه والمشبّه به ، مسهمٌ في بيان الهيئة فالأبطال منكّبون على القتال لحرصهم على النَّصر والثَّمال منكّبون على الخمر لتلذّذهم بها ، وحذف الموصوف في قوله " على لذة " يسهم في عمق الصورة والتقدير " ثمالا على خمر لذة " ، وقد حذف الموصوف للتركيز على الصِّفة " لذة " لأنها محور الصورة ، بل محور الأبيات ، فيالها من لذة عندما يستدرّون الحرب فتلين بعد امتناع ، عندما يثبّتون في هذا اليوم شديد حرارة الجو ، شديد حرارة القتال ، وياها من لذةٍ حين يتهافتون على الأعداء يقطفون رؤوسهم .

(1) انظر ص(173،174) من هذا البحث

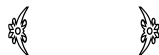
ثم يكمل الصورة في البيت التالى فيضع 110 الأخيرة على هذه الصورة ليتم له تناسق ألوانها ، وذلك بالاستعارة المكنية في قوله " كؤوس المنايا " ، حيث شبّه الموت بشراب وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهى الكؤوس ، وتشبيه الموت بالماء



وإثبات حياضٍ له أو كؤوس يدل على وفرة أسبابه وسهولتها كما سبق أن أشرت في  
تحليل أبيات سابقة (1).

---

(1) راجع ص 100 من هذا البحث







فقد شبّه مشيّه قومه إلى الحرب الشديدة العسيرة ، في عزة وشموخ بالجمال بجامع العلو والشموخ فهم " يمشون للحرب في قامات مديدة ، ووجوه بيضاء مشرقة ، ليست خائفة ، ولا مرعوبة ولا عابسة " (1) وهذا التشبيه صورة من صور التشبيه البليغ الاصطلاحية وهي الصورة المصدرية ، وقد ذكر عبد الله في صدر البيت ما يناسب تشبيهه قومه بالجمال وهو قوله " معترك " فالعراك من معانيه ازدحام الإبل على الماء " (2) وانظر إلى المفارقة بين سيرهم في نظام إلى هذا المكان الذي من أهم صفاته اللجب والتخبُّط والاضطراب " فالمعترك فيه حركة عشوائية " (3) ، وبعد أن صوّر قوتهم وشجاعتهم شرع في وصف أسلحتهم ، وقد بدأ بوصف الشجاعة وقوة البأس قبل وصف الأسلحة " ؛ لأنّ القلب الذي يحمل السلاح إذا لم يكن قلباً أيّافليس للسلاح في يده قيمة " (4) ، بعد أن صوّر قوتهم وشجاعتهم شرع في وصف أسلحتهم ، فشبه البيض بالكواكب في نقاء لونها ، وأرى أنّ هـ خصّ البيض بهذه الصورة التشبيهية مع إجماله الحديث عن الأسلحة في الشطر الأول " الماضي " لأنّه ممّا شبههم في البيت الأول بالجمال - في ارتفاع قاماتهم وإشراق وجوههم - ولما كانت رؤوس الجمال هي أعلى وأبرز ما فيها ركز هنا في الصورة على أعلى جزء فيهم وهو الرأس ، فوصف ما يتوجه ويجعله بارزا واضحا أزهر اللون ، والتشبيه مرسل مفصّل لأنّه ذكر الآداة وصفةً تنبئ عن وجه الشبه وهي "نقاء" ، وقد استخدم أداة التشبيه "مثل" لقوة الشبه بين الطرفين ، وسبق أن ذكرت أنّ هذه الأداة تستخدم حين يقوى الشبه ، وكأنّ التشبيه وصل إلى درجة التشابه .

(1) قراءة في الأدب القديم ص 88.

(2) الاستعارة في لسان العرب أحمد هنداوى هلال - ص 23 - ط وهبة ط أولى 1421 هـ / 2000م.

(3) دراسة في البلاغة والشعر ص 178 .

(4) قراءة في الأدب القديم ص 88 .

ثم يعرُّ له مشهد المحاربين وهم مستظلُّون بدروعهم من وهج الشمس المحرقة  
فيتبادر إلى ذهنه هيئة قريبة من هذه الهيئة المتحفِّزة ، فهم يجلسون في تأهَّبٍ انتظاراً لبدء  
المعركة وما من شكٍّ أن المتأهب يجلس على قدميه ، فشبهه هذه الهيئة بهيئة الأسود  
إذا كانت متأهبة للعراك فإنها تجلس على أرجلها الخلفية دون أن تضطجع وتبدأ  
المناوشات الصوتية أولاً فإذا ما بدأ العراك نهض كلٌّ منهم يتبادل الضربات مع غيره .

## (4) وصف الحرب وتشبيهها بالناقة

يقول كعب بن مالك «(1) [ من البسيط ]

فلا تمنّوا لقاح الحرب واقتعدوا  
إن لكم عندنا ضرباً تراح<sup>(4)</sup> له  
إن أخال الحرب أصدالون<sup>(2)</sup> مشعول<sup>(3)</sup>  
عرج الضباع له خذم<sup>(5)</sup> رعاويل<sup>(6)</sup>  
وعدنا لذوى الأضغان تنكيل<sup>(8)</sup> ُ

يهدّد كعب كفار مكة ، ويجدّهم عاقبةً َ سعيهم لإشعال الحروب ؛ فمن يلزم الحروب ويؤاخيها يظهر أثرها وشقاؤها عليه ، ثم يتوعّدهم بإسقاطهم قتلى ليكونوا طعاماً سائغاً لمن لا يجد له طعاماً من الضباع ، ثم يفخر بخبرة قومه في الحروب ، ومعرفتهم بخباياها وأسرارها ، وتعلو لهجة الاستعلاء في هذه الأبيات ، وتظهر جليةً من أوّل كلمة في المقطوعة، حيث بدأ بلا الناهية ، وحذف التاء من الفعل " تتمنوا " وذلك من باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني ، فالكلمة بعد حذف التاء خفيفة ، تنتقل فيها من حرف إلى حرف في يسرو سهولة ، كما أن المتمنى للشئ يتخيّله ويرسم أحداثه في عالم من نسج خياله ويراه واقعا ماثلا أمامه محققا فإذا اصطدم بالواقع رآه من المستحيلات ، ومما يزيّن للإنسان تحصيله بسهولة الانتصار في الحرب " ؛ لأنّ الرايات في الحروب لا تنصب إلا مع قوة الطمع في الغلبة " (9)

(1) ديوانه ص 255، 256 قصيدة (50) يجيب فيها عمرو بن العاص وضرار بن الخطاب في يوم

أحد .

(2) أصدى اللون / لونه بين السواد والحمرة .

(3) مشعول / نار مشعلة : ملتهبة متقدّة / اللسان 95/8 مادة ( شعل) .

(4) تراح / أراح اللحم أي أنتن والامتراح التشمّم / اللسان 254/6 مادة ( ترح) يقصد أن الضياع

تأتى على رائحة نتن لحومهم بعد مقتلهم .

(5) خذم/ خذمه : قطّعه بسرعة / أساس البلاغة ص 106 مادة ( خذم).

(6) رعاويل / رعبل اللحم رعبلة : قطّعه لتصل النار إليه فتنضجه / اللسان 172/6 مادة ( رعبل) .

(7) نمريها / مريث الناقة : إذا مسحت ضرعها لتدر / اللسان 63/14 مادة ( مري) .

(8) تنكيل / يقال نكلت بفلان إذا عاقبته في جرم أجرمه عقوبةً تنكّل غيره عن ارتكاب مثله / اللسان

256/14 مادة ( نكل) .

(9) لسان العرب ج 10- ص 122- .

ثمّ يأتي بالاستعارة التي يصوّر فيها الحرب بالناقة التي لقيحت على سبيل الاستعارة المكنية ، وما أشبه الحرب بالناقة من الجهة التي قصدها الشاعر فإنّها بمجرد أن تبدأ فلا يستطيع أحد أن يوقفها كالنّاقة إذا لقيحت فإنّها لا تلبث أن تمر بمراحلها حتى تنتج ، وألمح التهديد أيضا في هذه الاستعارة فهو يقصد أنّهم قوم لا يُستباح جانبهم فأى شيءٍ يمسه ولو كان يسيراً فإنّه يؤدى حتماً إلى حربٍ طاحنة ، ثمّ يتبع الشاعر الاستعارة بالفعل الأمر " اقتعدوا" بصيغة الافتعال ، فالأمر يدل على الاستعلاء الذي يسيطر على الأبيات ، وصيغة الافتعال تدل على المغالبة والمدافعة وكأنّه يريد أن يقول لهم غالبوا أنفسكم ولا تتبعوا هواها ، وذلك ؛ لأنّ القعود عن الأخذ بالثأر ثقيلٌ على نفوسهم ، ثمّ يفصل بين شطرى البيت لشبه كما الاتصال ، ثمّ يكتي عن ملازمة الحروب وأهوالها بالأخوة كنايةً عن نسبة ، ثمّ يكتي عن إيذائها وتأثيرها بالضّرر فيمن يلازمها ويسعى إليها بقوله " أصدى اللون مشعول" . وهى أيضا تدلّ على التهديد.

وفي البيت الثانى تتصاعد لهجة التهديد والاستعلاء وتصبح أكثر تصریحاً عن البيت السابق ، فيبدأ بالتوكيد بأنّ على ما سيلقيه من كلامٍ وذلك ؛ لأنّ ما سيخبرهم به أمرٌ مستبعدٌ بسبب كبرهم ، وعنادهم إذ كيف يُهزمون مرةً ثانيةً من المسلمين ، ثمّ يؤكّد المعنى ويقرّره بتقديم الجار والمجرور ( لكم ) على اسمٍ إنّ تأكيداً لمضمون الجملة فكأنّ أداة التوكيد وخبرها المقدم سوط عذاب يفيئون به إلى الحقيقة .

ثمّ يفاجئهم بمشهدٍ بشع تجزع وتنخلع له القلوب ، فذكر الموت في حد ذاته أمرٌ مخيفٌ تحيد عنه النفس وتكرهه لما فيه من انقطاع عن الحياة وفساد للجسد ، فما بالناس بمن يتخيل نفسه ، وقد أصبح مرعى للضباع يقطعون أوصاله ويأكلون عظامه فضلاً عن لحمه ، وهذه المعانى التي تتعالى بلهجة التّهديد حملتها الكناية في قوله " تراح لها عرج الضباع له خدم رعايل " فهى كناية عن كثرة القتلى وتناثر حومهم فتفرح السباع العرجاء لأنّها وجدت طعاماً سهلاً لا يحتاج إلى قوةٍ ومهارةٍ في الحصول عليه ، ثمّ تصاعد بلهجة الفخر المشوب بالتهديد عندما صدر البيت الثالث بالضمير " نا " مسبوقةً بأداة التوكيد "إنّا" ، ثمّ أتبعه بكناية عن الشجاعة والخبرة والتمرّس بالحرب ، والعلم بها لطول الممارسة والملازمة في قوله "إنّا بنو الحرب " وهى كناية عن نسبة الخبرة والتمرّس لهم .

ثم استولد من هذه الكناية استعارة مكنية غاية في الجمال والدقة، حيث شبه الحرب بالناقة يستدرّون ألبانها ويستولدونها فيستفيدون منها غاية الإفادة ، وقد استعار هذا المعنى للحرب ؛ لأنهم لما خبروها ونشأوا في كنفها فقد صارت مذلة لهم يوجهونها الوجهة التي يريدونها ، ويتحكّمون في سيرها لصالحهم فيبدأونها في الوقت المناسب وفي المكان المناسب وهذا فخر مشوب بالتهديد ، ثم انتقل إلى التهديد الصريح المشوب بشيء من الفخر في قوله " وعندنا لذوى الأضغان تنكيل " ، ويلاحظ الفارق بين حديثه عن قومه في الجاهلية والإسلام ، فقد كانوا في الجاهلية يعتدون على الناس دونما تمييز، حيث يقول (1)

وكنّا شهاباً يتقى الناس حرّه ويفرّج عنه من يليه ويُسْفَع

أمّا الأبيات التي معنا فقد خصّ " ذوى الأضغان " بالتنكيل ، و قدّم ذوى الأضغان لتخصيصهم بالتنكيل ، وليعلم أنّ الحرب لم تعد شهوة مجنونة تطغى على كل من يقابلها وإنما أصبحت سلاحاً موجّهاً لأعداء الله فقط ، وفي إضافة ذوى للأضغان دلالة على ملازمة الأضغان لهم .

---

(1) ديوانه ص 228 قصيدة (33)

## ثالثاً : وصف الموت وبيان حقيقة الحياة

يقول عبد الله بن رواحة مخاطباً نفسه يوم مؤتة بعد استشهاد زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب فدخلة شئ من الروع فقال يستنزل نفسه ويشجعها (1) [من مشطور الرجز]

- 1- أقسمتُ يـانفس لتتزلنَّه
- 2- طائِعَةً أو لا لتكرهَنَّه
- 3- إن أجلب النَّاسَ وشدُّوا الرنَّه (٥)
- 4- مالي اراك تـكرهين الجنَّه
- 5- قد طالما كنتِ مطمئنَّه
- 6- هل أنتِ إلا نطفةً في (3) في سنَّه

(4)

يشجّع عبد الله نفسه ويدفعها إلى الشهادة ويسوقها إليها بالإقناع والرفق ، فيذكّرُها بالجنة ، وبأنه وإن كانت الحياة محبة غالية عندها ، إلا أنّها هالكة لا محالة عاجلاً أو آجلاً ، والصورة في هذا البيت " هل أنتِ إلا نطفة في شنة " ، صورة تشبيهية رائعة ، حيث شبّه روحه الغالية العزيزة عليه في جسده الفاني لا محالة ، بماء قليل صافٍ في قربة بالية سرعان ما تُثقب فينسكب هذا الماء ويسيل ، والتشبيه مؤكّد مجمل ، وهذه الصورة معبّرة أيّما تعبير عن زوال الدنيا وحقارتها ، وبيان حتمية الفناء ليردّ نفسه إلى الثّبات ، والنظم أسهم إسهاماً كبيراً في تجلية الصورة ، فقد عمد عبد الله إلى أسلوب القصر ، لتأكيد الحقيقة التي يصورها .

(1) ديوانه ص153 قصيدة (26) .

(2) الرنّه / الرنه : الصيحة الحزينة / اللسان 238/6 مادة ( رنن ) .

(3) نطفة / الماء الصافي قلّ أو كثر مختار الصحاح ص357.

(4) شنة / القربة الخلق الصغيرة- الوجيز- 352 .

وذلك لما للنفس من إباء وإحجام إذا كانت مقبلة على الموت لا محالة ، وقد حذف أداة التشبيه للغرض نفسه وهو التأكيد على هذه الحقيقة التي يصورها لما في حذف الأداة من دعوى اتحاد الطرفين فكأن النفس حقيقة ماءً في قرية بالية . إنه يؤكد بهذه المؤكدات لأنه مقبلٌ على الموت ويرغب في أن تتلقاه نفسه راضيةً مطمئنةً حتى تنال ثواب الشهادة كاملاً ، كما أنه يسوسها ويروضها بأسلوب الاستفهام الذي يفيد النفي " ، وقد يأخذ الاستفهام بهل معنى النفي " بما " في كثير من المواضع ولا تخلو حينئذ من التقرير " (1) ، كما أنه يثبتها بتذكيره إياها بثباتها في قوله " قد طالما كنت مطمئة " مستخدماً " قد " التي تفيد " التحقيق " والفعل " طال " الذي يدل على طول مدة ثباتها .

ومقامات الاستفهام التقريرى كما يقول الاستاذ الدكتور صباح دراز " مقامات خاصة فيها قوة الإقرار وفورة الحق " (2) فهو لا يريد أن يصطدم بها لأنها نفس إنسانية تكره الموت فهو يريد أن يقنعها دون أن يقسو عليها ويكفيها عناء انتظار الموت عياناً في أى لحظة . وأسلوب النفي المباشر باستخدام ( ما ) أسلوب عنيف يُقارَع به المنكرون وهي ليست بمنكرة وإنما هي متوجسةٌ خائفةٌ بفطرتها فالمقام مقام وعظٍ وإقناعٍ وترويضٍ ثم انظر إلى حذفه أداة النداء في قوله " جعفر ما أطيب ريح الجنة " وذلك لضيق المقام وشدة الموقف ، ولقرب جعفر من نفسه وإحساسه بأنه عمًا قريبٌ سيكون معه ، كما أنه يناديه لأنه يعلم أن الشهداء أحياءٌ عند الله حياةً حقيقيةً ، قال تعالى "

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ (3)

ولصوت النون المشددة وغنتها والوقوف عليها قليلاً إيحاءً بالثبات والتسليم والاطمئنان لأمر الله وقضائه وهي أمور تدور حولها الأبواب ، كما أن لصوت الهاء الساكنة إيحاءً بقصر النفس وضيق المقام .

(1) الجنى الدانى فى تذوق المعانى د/ عبد الحليم محمد شادى ص101 ط الأمانة أولى 1407هـ 1987م .

(2) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية أ.د صباح دراز ص208 مطبعة الأمانة 1986م

(3) سورة آل عمران آية 169 .



# رابعاً : وصف الأرق

## (1) وصف الحزن وطول الليل

يقول كعب بن مالك (1) [من الكامل]

نام العيون (2) ودمعُ عينك يهْمُلُ (3) سَخًّا (4) كما وكَفَّ (5) الطَّبَابُ (6) المَخْضَلُ (7)  
ففي ليلَةٍ وردت علىَّ همومها طوراً أحنُّ (8) وتارةً أتململُ (9)  
واعتادني حزنٌ فبتُّ كأنَّني ببناتِ نعشٍ (10) والسُّمَّاءُ موكَّلُ  
وكأنَّما بين الجوانح (11) والحشا مَمَّا تَأوَّبني شهابٌ مُدْخَلُ  
ينقل إلينا كعبُ أحزانه وآلامه في صورة محسوسة في هذه الأبيات ، حيث يصوِّر دموعه  
بقطراتٍ لا تنقطع تتساقط من قرية ماء ، بسبب تداعى الأحزان إليه ، فبات حزينا  
مؤرِّقاً ، ينظر إلى السماء لا يتحول عنها ، كأنَّه موكَّل برعاية نجومها ، وتحولت الأحزان  
والآلام إلى نارٍ في قلبه تمنعه النوم فانخرت دموعه بسبب هذه الأحزان على شهداء مؤته  
، ويصوِّر كعب كثرة دموعه وانهمارها من عينيه بقطرات الماء التي تقطر من الخرز تحت  
الطباب المبتل .

-----ال-----

- (1) ديوانه-ص 0260 قصيدة (52)
- (2) العيون / قيل العين أهل الدار / اللسان 359/1 مادة (عين )
- (3) يهمل/هملت عنيه تهمل ، وتهمل هملا ، وهمولا وهملاناً وانهملت :فاضت وسالت / اللسان 93/15
- (4) سَخًّا / سيل ساحية :يقشر كلى شئ ويجرفه:اللسان 143/7 مادة (سحج ) ويقصد ( دمعا كثيرا )
- (5) وكَفَّ / قطر- مختار الصحاح 391
- (6) الطبابية جلدة مستطيلة توضع مثنية على طرفي الجلد إذا خيطا لتغطي الخرز وتمنتها - الوسيط مادة " طب " ص 549 .
- (7) المخضل / الخضل والخالض:كل شئ ندٍ يترشش من نداءه فهو خَضِلٌ / اللسان 5/ (خضل )
- (8) أحنُّ / حنُّ قلبى إليه فهذا إيزاع واشتياق من غير صوت / اللسان 252/4 مادة (حنن)
- (9) أتململ / تلملم : إذا نبا بالرجل مضجعه من غمٍ أو وصبٍ وهو : تقلبه على فراشة / اللسان 129/14
- (10) بنات نعش / سبعة كواكب أربعة منها نعش لأنها مربعة وثلاثة بنات نعش / اللسان 298/14 مادة (نعش ) الجوانح / أوائل الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر اللسان 213/3 مادة (جنح)

وقد أجاد كعب في هذه الصورة ، حيث إنّ الدموع تشبه في تكوينها وحجمها وهيئة نزولها من أعلى إلى أسفل على الخد تشبه هذه القطرات التي تتسرب من خرز المزايدة وتتجمّع على الطّباب ثم تنزل إلى أسفل ، واختيار الشاعر للمزايدة اختيار موفق لأنّه بجانب مناسبة هيئة تقاطر الماء منها ، لهيئة تقاطر الدموع من العين ، ففيها أيضاً مراعاةً لمدة نزول الدمع من العين ، وذلك ؛ لأنّ المزايدة تكون مملوءة بالماء مما يجعل القطرات متوالية لا تنقطع لمدة طويلة ، كما أن الدموع هي الأخرى تظلّ منهمرةً لفترةٍ طويلةٍ بسبب توارده وتكاثر الهموم والأحزان ، فكأنّ الماء الكثير في المزايدة مقابل الهموم والأحزان فهذه تزوّد صاحبها بالدموع وتلك تمدّ الخرز بقطرات الماء . ومن جمال هذا التشبيه التوافق التام بين المشبه والمشبه به ، ففيه مراعاة دقيقة لهيئة تساقط قطرات الدموع وقطرات الماء ، فالدموع تسير في خط على الخد ، ثم تتجمع أسفل الوجه - غالباً - وكلما تكونت قطرة في حجم معين سقطت وتكون غيرها ، وكذلك تسير قطرات الماء على الطّباب بعد خروجها من خرز السقاء ثم تنحدر إلى أسفل وتتجمع ، وكلّما تكوّنت قطرة في حجم معين سقطت وتكون غيرها . إذن ففي هذا التشبيه مراعاةً للهيئة والمقدار ، بل واللون أيضاً ؛ لأنّ الدموع في لون الماء ، ويُلاحظ أنّ في البيت حشواً في قوله " ودمع عينك ، " فقلوه "عينك "حشو" ؛ لأنّ الدموع لا تكون إلا من العين ، وقد صنّف العلماء هذا النوع على أنه حشو غير مفيد كقول الشاعر :

**نأت سلمى فعاودنى صداع الرأس والوصب**  
 " فالرأس حشو ، لا فائدة فيه ، ؛ لأنّ الصداع لا يكون إلا في الرأس " (1) وأرى أنّ الحشو في بيت كعب له فائدة؛ هي إشارته إلى وحدته وإضافته العين إلى ضمير المخاطب الذي يعنى به نفسه دلالة على تخصيصه إياها بالدموع وأنّه لا يشاركه في دموعه أحد ، بدليل قوله في صدر البيت نام العيون ، كما أنّ في هذا الحشو إشارة إلى مشاركة أعضائه له في حزنه على هؤلاء الشهداء وفي البيت تجريد بمخاطبة المرء ، فكأنّه لما فقد الأنيس جرّد من نفسه مخاطباً لعلّه يشعر بالأنس في هذه الوحدة.

(1) البديع في البديع لأسامة بن منقذ ص 209 ت عبدا على مهنا ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولى 1407 هـ / 1987 م .

ثمّ انتقل في البيت الثاني لبيان هـ 121 هذه الدموع الغزيرة والسبب ليلة عصبية



تجمّعت فيها عليه الهموم والأحزان ، وقد بدأ البيت بفي الظرفية " في ليلة " وكأَنَّهُ غارقٌ في هذه الليلة ، ثم يبيّن ثقل هذه الليلة باستخدام حرف الجر "على" ، وهذا الحرف مع دلالته على الفوقية والثقل فإنّ له إيحاءً بمزيدٍ من الثقل والذي يوحي به إدغام ياء المتكلم في ياء الحرف " على " ، كما أن تقديمه " الجار والمجرور على المسند إليه يدل على وحدته في استقبال الهموم ، ويلاحظ أنّه بدأ الأبيات بصيغة الخطاب ثم التفت إلى التكلم ، ولعلّ مقصده بالابتداء بالخطاب أن يلمّح أنّ من شأن هذه التجربة التي يعيشها أن تكون شأنًا عامًا لجميع المؤمنين الذين أُصيبوا بهذه المصيبة ثم عاد إلى التكلم لينقل إلينا تجربته الفردية التي عاناها .

ثمّ يصوّر أرقه وألمه في البيتين الثالث والرابع ، ففي البيت الثالث يشبّه حالة الأرق التي انتابته بسبب حزنه - فصار ينظر إلى السماء - بمن هو موكّلٌ برعاية النجوم حتى تغيب ، ولما كان المؤرّق غالباً ما يترك فراشه وينهض إلى الخلاء ولما كانت الطبيعة السماوية بما فيها من مصابيح زاهرة ، هي أول ما يلفت الأنظار ، ويأسر الألباب ، وتسحب الفكر إلى التأمل فيها والانشغال ببعض الشيء عن همومه وأحزانه ، فقد شبّه أرقه ونظره إلى نجوم السماء بصفةٍ دائمةٍ طوال الليل بمن هو موكّلٌ برعاية شيءٍ بجامع دوام المتابعة والمراقبة ، وقد دلّ على استغراق الأرق الليل كلّهُ بقوله " فبتُّ " بمعنى أنه استغرق الليل كلّهُ يرعى النجوم ، كما دل على هذا المعنى أيضاً التعبير بالفعلين المضارعين " أحن ، وأتململ " فهما يدلان على التجدد والحدوث ، وتقديم الجار والمجرور وما عُطف عليه " بنات نعش والسماك موكل " للتخصيص ، بمعنى أنّ نظره لا يتعدّى هذه النجوم إلى غيرها وهذا يناسب المحزون المكروب " (1) ثمّ يأتي التشبيه في البيت الرابع ليؤكد معنى الأرق ويتصاعد به فلم يعد الأمر مجرد أرقٍ بسبب الآمه النفسية ، وإنما اشتدت عليه هذه الآلام حتى صارت آلاماً حسيةً يشعر بها في صدره وقلبه .

(1) انظر ص(188،189) من هذا البحث



فهو يشبّه الآلام النفسية التي تمنعه النَّوم بآلام من أُدخل في جسده شهابٌ محرقٌ ،  
وخصَّ المنطقة التي بين الجوانح والحشا لأُمَّها منطقة الصّدر ويوجد فيها القلب وهو موطن  
الأحاسيس والمشاعر ، وعبرَ عن دوام الألم واستمراره بقوله " مُدخل " أي داخل جسده  
فألمه وحرارته لا تفارقه ، وهكذا عبّرت الأبيات عن حالة كعب النفسية خير تعبير ،  
وهذه هي قيمة العمل الأدبي بصفةٍ عامة والتصوير البياني بصفةٍ خاصةٍ والتي تكمن في "  
قدرته على تصوير سمات صاحبه وخصائصه الشعوريّة والتعبير به وكشفِ العوامل  
النفسية التي اشتركت في تكوينه " (1)

---

(1) النقد الأدبي أصوله ومناهجه الأستاذ / سيد قطب ص 6 بتصريف يسير ط رابعة ط دار الشروق  
1400 هـ .

## (2) وصف الأرق بسبب الخوف

وكما وجدنا في الأبيات السابقة تصوير كعب لأرقه بسبب حزنه وآلامه ، يصور حسان في هذه الأبيات أرقه بسبب خوفه من فراق محبوبته وشتان ما بين العاطفتين (1) يقول حسان (2) [ من الطويل ]

تطاول بالخمّان (3) ليلى فلم تكد  
أبيت أراعيها كأتى موكلٌ ب  
إذا غار منها كوكبٌ بعد كوكبِ  
غوايزُ تترى من نجومٍ تخالها  
أخافُ فجاءتِ الفراقِ ببعثةٍ  
تهمُّ هوادى (4) نجمه أن تصوّبا (5)  
هاما أريد النّوم حتى تغيبا  
تراقبُ عيني آخرَ الليلِ كوكبا  
مع الصبح تتلوها زواحفٌ لُعبا (6)  
وصرفِ النوى من أن تُشيتَّ وتشعبا

يصف حسان في هذه الأبيات أرقه وسهره بسبب قلقه وخوفه من رحيل محبوبته ، فيصوّر حالته هذه من نظره إلى النجوم وعدم رغبته في النوم بمن هو موكلٌ برعاية شيء ، لا ينام حتى يبيت في مكانه ، وقد جاءت الصور البيانية مصوّرةً لهذه المعاني خير تصويرٍ ، فهو يصور هيئته وهو مؤرّق ينظر إلى نجوم السماء يراقب أفول نجومها نجما بعد آخر بهيئة من يرعى إبلا لا يفارقها إلا بعد مبيتها ، ثمّ شبه هذه النجوم في بطء حركتها بالإبل المتعبة من السير ، وقد جاء النظم مجليّا للصورة تماما ، فالفعل أبيت يدل على استغراق الليل كله وهذا المعنى الذى يوحى به الفعل متناسب مع الصورة في البيت .

(1) انظر ص(187،188) من هذا البحث ( موازنات ) .  
(2) ديوانه ص 148 قصيدة (38)  
(3) الخمّان اسم موضع من أرض الثنية من دمشق (4) هوادى / الهادية من كل شئ أوله وما تقدم منه / اللسان 43/15 مادة (هدى) (5) تصوبا: تغربا .  
(6) لغبا / اللغوب : التعب والإعياء / اللسان 210/13 مادة ( لغب ) .

وتوالى الفعلين ( أبيت ، أراعصا ) - مع دلالتهما على التجدد والحدوث -



يوحيان بتتابع الأفعال الصادرة منه وهذا يناسب المورق بسبب عاطفة الحب ، ويناسب من يرعى شيئاً موكلاً به فإنه يشقُّ على نفسه ويروح ويغدو عليه دون غفلة أو إهمال ، كما أنَّ استخدام الفعل " أراعيها " دون " أرهاها " يدلُّ على مزيد من الاهتمام والملاحظة ، وألمح في هذه الأبيات ظلالاً نفسية أسقطها حسَّان على صورته في هذه الأبيات، حيث إنَّ المراقبة في البيت الثاني والثالث كما أنَّها من صفات الإنسان الذي يرعى إبلاً أو ماشية ، فهي أيضاً من أهم ما يوصف به المحب العاشق الخائف من رحيل محبوبته ، فهو يتربَّع أخبارها ، ويتحسَّس حركاتها وتنقلاتها خشية الرحيل ، وأيضاً استخدامه الإبل كعنصر من عناصر الصورة في الأبيات لتعلقه بالابل ، وحضور هيئتها في خياله وهي تحمل أحبته لتأخذهم بعيداً عنه وتفرِّق بينهم وبينه ؛ لذلك فإنَّ " البليغ والناقد في حاجة إلى الأمام بطرف من علم النفس لأنَّه يساعد على استبانة المؤثرات النفسية في النصِّ الأدبي " (1)

---

(1) ملامح النقد الأدبي بين القديم والحديث د/ عبد الرحمن عبد الحميد على ص22 بمطبعة الجامعات 1400 هـ 1980م.



## خامسا : وَصْفُ الْجُرُوحِ

إنَّ مشهد الجراح والطعنات وتدقُّ الدماء من هذه الجراح مشهدٌ رئيسٌ مكرَّرٌ في كلِّ المعارك ، وقد تناولته ألسنة الشعراء بالوصف ، ولكن هناك نوعان من الجراح ، جراحٌ توصِّل إلى النَّار وهي جراح مهينةٌ في سبيل الشيطان ، وجراحٌ هي الطريق إلى الجنَّة وهي ما كانت في سبيل الله لهذا " التَّدُّ العربي وهو يرى نوافذ الجراح توصله إلى طريق الشهادة، حيث الجنان والأرائك وحوار العين التي رسمتها آي الذكر الحكيم " (1) ؛ لذلك نرى شاعرا مثل عبد الله بن رواحة يتمنى طعنة نافذة ينال بها الشهادة ويجدِّد صفاتاً معينةً لهذه الطعنة وذلك في قوله (2) [ من البسيط ]

لكنَّني أسألُ الرحمن مغفرةً      وضربة ذات فرغٍ (3) تقذف الزَّبداً (4)  
أو طعنةً بيدي حرَّانٍ (5) مجهزةً      بحربةٍ تنفذ الأحشاء والكبد  
حتَّى يُقال إذا مرُّوا على جدثي      أرشده الله من غازٍ وقد رشدا

هذه الأبيات تنمُّ عن نفسٍ مطمئنةٍ لما عند الله تطلب الشهادة راجيةً ثواب الله فهو يسأل الله مغفرته ، وأن ينال الشهادة بضربة قوية نافذةٍ أو طعنةٍ بحربةٍ ، حتى يدعو له كل من يمرُّ على قبره ، وقد بدأ الأبيات " بلكن " التي تدل على مخالفة ما بعدها لما قبلها ، فبالرَّغم من دعاء الناس له بالسلامة لكنَّه يريد ما عند الله ويطلب الشهادة ، والتي صوَّرها بقوله " وضربة ذات فرغٍ تقذف الزبدا " ، حيث استعار الفرغ للجرح الناتج عن تلك الضربة التي يتمناها وذلك حتى لا يرجى برؤه منها ولا يطول ألمه .

(1) أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية ص 91 .

(2) ديوانه ص 147 قصيدة (20) .

(3) ذات فرغ / الطعنة الفرغاء : ذات الفرغ وهو السعة / اللسان 167/11 مادة (فرغ) .

(4) الزبدا / أزيد البحر إزبادا فهو مزبد ، وبحر مزبد أى مانج يقذف بالزبد والزبد الرغوة اللسان 8/7 .

(5) حرَّان / رجل حرَّان أى عطشان اللسان 8/4 مادة (حرر) .

ثم يردف هذه الصورة صورة أخرى بديلة للصورة الأولى في البيت الثاني، حيث شبّه الحريص على الفتك بالأعداء " بالحرّان " بمعنى العطشان للحريص على الفتك بالأعداء والنيل منهم، وذلك على سبيل الاستعارة التبعية حتى يكون ذلك أدعى إلى قوة الضربة، وحدّد هيئة الضربة التي يريد بها بقوله " تنفذ الأحشاء والكبد " وإنما تكون الضربة على هذه الهيئة إذا كانت من أحد جانبيه حتى تسلك الكبد والأحشاء، ولعله أرادها كذلك حتى لا يحدث له فزع أو خوف عندما يواجه من يطعنه، ويلاحظ أنه يريد في استشهاده " السرعة " والقوة والمفاجأة .



## سادسا : وصف الكتيبة الإسلامية

يقول كعب بن مالك في أحد (1) [ من المتقارب ] :

ودفّاع<sup>(2)</sup> رجلٍ كموجِ الفراتِ      يقدّمُ جأواءَ جُولاً<sup>(3)</sup> طحوناً<sup>(4)</sup>  
تري لونها مثل لونِ النجو      م رجراجةً<sup>(5)</sup> تُبرِقُ الناظرينَا

يصف كعبُ القوات المتلاحمة المندفعة من الراجلين بالسيل الجارف الذي يشبه موج نهر الفرات ، هؤلاء يقدمون كتيبةً عظيمةً قوية من الجيش الإسلامي هذه الكتيبة لكثرة الدروع المصقولة والقوانس اللامعة بها تبرق أعين من ينظر إليها ، وقد استعان كعب في تصويره لكثرة أعداد الراجلين الذين يتقدّمون هذه الكتيبة بتشبيهين الأول في قوله " دَفّاع رجل " وهو تشبيه أضيف فيه المشبه به إلى المشبه " كقولهم "ذهب الأصيل" ، "لجين الماء" يقصدون "أصيل" كالذهب " ، "ماء كاللجين" .

وفي هذه الصورة التشبيهية يصور كعب جموع الراجلين ، وقد اندفعوا متجاورين متلاحمين في قوّة - بالدَّفّاع وهو السيل الجارف المندفع بجامع السرعة وإزالة ما في طريقه ، وقد عمد كعب إلى إضافة المشبه به للمشبه ليسلك بكلمة رجل مسلك التمييز ، وهو أبلغ من جعلها مفعولاً به " ترى راجلين كالدفّاع " أو فاعل " ترى جأواء يقدمها راجلون كالدفّاع " وجعلها تمييزاً أبلغ ، لأنّه يجعل هذه الصورة التشبيهية صورة خيالية رائعة، حيث يتبادر إلى الأذهان صورة هذا الدفاع الذي تكوّن لا من الماء وإنما من الراجلين .

(1) ديوانه ص275 قصيدة (61) .

(2) دفاع / الدَّفّاع بالضمه والتشديد : السيل العظيم والموج / اللسان 274/5 مادة ( دفع ) .

(3) جولا/ تجاولوا فى الحرب أى : جال بعضهم على بعض وكانت بينهم مجاولات / اللسان 243/3 مادة (جول).

(4) الطحون / الكتيبة تطحن ما لقيت / اللسان 96/9 مادة ( طحن ) .

(5) رجراجة/ كتيبة رجراجة تموج من كثرتها / اللسان 111/6 مادة ( ررج ) .

ثم انظر إلى هذه التداخل الرائع بين الصورتين التشبيهيتين، حيث إنّه لم يرد أن يشبّه الرجل بموج الفرات وإنما أراد أن يشبّه هيئة الرجل المندفعين في كثرة كالسيل الجارف المتموّج بموج الفرات ، فهو أراد أن يشبّه الهيئة الحاصلة والمستفادة من التشبيه الأول بموج الفرات ، وهي هيئة الراجلين المندفعين في سرعة وتموج بسبب عدم استواء الأرض ووجود مرتفعاتٍ ومنخفضاتٍ ، بموج الفرات في ارتفاع تارة وانخفاضه أخرى ، إذن فالصورتان متداخلتان متكاملتان ، فقد أفاد من التشبيه الأول السرعة والاندفاع في قوة تجرف ما في طريقها ومن التشبيه الثاني التموّج ، وهذا التشبيه أحسبه من بديع التشبيهات المركّبة نظرا لتداخل التشبيهين ، فقد وجد أنّ الأوّل لا يفى بتصوير الهيئة كاملة لأنّه ليس فيه تموج ، وموج الفرات لا توجد فيه السرعة الجارفة لما في طريقها فجمع بين التشبيهين في دقة وبراعة ، ثم يشبّه بريق الكتبية ولمعائها بسبب كثرة الدروع والبيض والسيوف و الحراب اللامعة المصقولة - بلون النجوم الزاهرة التي لكثرتها وتموّج لوّنها تبرق عين من ينظر إليها وقد عدا الفعل " تبرق " بدون حرف الجر "في" وذلك ليبالغ في شدة لمعائها وبريقها ؛ فهي لا تبرق في العين وإنما تبرق العين ؛ فكأنّها لشدة لمعائها تمنع العين من الإبصار بريقها .

## سابعا : وصف جموع المشركين وتشبيههم بموج البحر

يقول كعب بن مالك يوم أحد يجيب هبيرة بن وهب : (1) [من الطويل]

فجئنا إلى موجٍ من البحر وسَطَه      أحابيشُ (2) منهم حاسرٌ (3) ومقتعُ  
ثلاثَةٌ آلاف ونحن نصيَّةٌ (4)      ثلاثُ مئِينٍ إن كثرنا وأربعُ  
نعاورُهُم (5) تجرى المنيةُ بيننا      نشارِعُهُم (6) حوضَ المنايا ونشرعُ

في هذه الأبيات يصوّر كعب عدد المشركين وكثرتهم ، إذا ما قورنوا بأعداد المسلمين ، فيصوّر جمعهم بموج البحر ، ومع كثرة عددهم إلا أنّ الحرب كانت سجلاً بينهم ، فنال منهم المسلمون قبل أن ينالوا من المسلمين ، وقد استعار كعب " موج البحر " لجموع المشركين ليصوّر كثرة عددهم ، حيث إنّ كلمة موج " تصور للخيال هذا الجمع الحاشد من الناس ترى فيه العين ما تراه في البحر الزّاخر من حركة وتموج " (7) ، وألمح في استعارة موج البحر خاصّة ليصوّر به جموع المشركين أنّه اراد أن يصوّر هذه الجموع كثيرة العدد والعدة وهى مفكّكة الأوصال ، مهزومة الأنفس لما حدث لهم ببدر ، أمام قوة العقيدة - بموج البحر يكون كثيراً هائجاً مضطرباً ، وسرعان ما ينكسر ويتلاشى على الشيطان فكأنّه يريد أن يبيّن أنّ هذا العدد الكثير الهائج المائج لا وزن له لأنّه لا يستند إلى قوة حقيقية ، سرعان ما سيرتد خائباً خائر القوى عندما يصطدم بصخرة العقيدة الثابتة التى تأوى إلى ركنٍ شديدٍ .

(1) ديوانه ص 225 قصيدة (33)

(2) أحابيش (جمع حُبشى وهو جبل بأسفل مكة) سبق الحديث عنه .

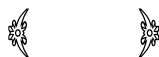
(3) حاسر ، مقتع ، الحاسر الذى لا درع عليه ولا بيضة على رأسه / اللسان 116/4 والمقتع ما كانت عليه درعه وبيضته

(4) نصيَّة الخيار والأشراف .

(5) نعاورهم: تعاوروا الشىء تداولوه بينهم -الوجيز-440

(6) نشارِعهم / الشَّرِعه والشريعة : مشرعه الماء وهى مورد الشاربه التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون / اللسان 59/8

(7) من بلاغة القرآن / د - أحمد بدوى ص 217 ط القاهرة 1950 (بتصرف )



ولموقع الفاء في صدر البيت الأول من المقطوعة بلاغته ، حيث إنّها توحى بالسرعة في المجئ وهذا يدل على توق نفوسهم للقاء عدوهم وهذا من كمال القوة والإيمان ، وحرف الجر إلى يدل على أن هذه الجموع من المشركين غاية للمسلمين وأن مجئ المسلمين إليهم مقصود ومخطط له ، وللطباق بين " حاسر ومقنّع " موقعه من هذه الصورة لأنهم لما كانوا أحابيش لا أصل يجمعهم ، ولا رابط بينهم كانوا مختلفي القلوب ، فكأنه بالطباق جعلهم مختلفي الهيئات مثلما هم مختلفو القلوب ، وتقسيمه إياهم أيضا إلى حاسرٍ ومقنّعٍ يوحي بالانقسام والتنافر بينهم لأنهم جمّعوا على غير رغبة منهم إلى أمرٍ لا ناقة لهم فيه ولا جمل ، فما أجمل المحسنات البديعية عندما تأخذ مكانها من النظم ، وتسهم في ظلاله وإيحاءاته يقول الإمام عبد القاهر عن المحسنات البديعية " وههنا أقسامٌ قد يُتوهم في بدء الفكرة ، وقبل إتمام العبرة ، أنّ الحسن والقبح فيها لا يتعدى اللفظ والجرس ، إلى ما يناجى فيه العقل النفس ، ولها إذا حُقّق النظر مرجع إلى ذلك ، ومنصرف فيما هنالك " (1) وفي البيت الثاني " لا ينسى كعب تحديد الأعداد التي دخلت المعركة فقد بلغ عدد المشركين ثلاثة آلاف ، أما عدد المسلمين فلم يتجاوز السبعمائة على أكثر تقدير . . . . . وهذه الدقة في التحديد تعطينا تصوّرا لتسجيل كعب أحداث الغزوات وأنّ شعره يمثل الواقعية لتلك الأحداث " (2)

وفي البيت الثالث يصوّر كعب اللقاء بين الفريقين ، وأنّه لقاءً دام ، حيث جاء باستعارتين مكنيتين غاية في الدقة والإبداع الأولى في قوله " تجرى المنية بيننا " ، حيث شبّه المنية بساقٍ يطوف على مجموعة من الناس بلغ بهم العطش مبلغه فهو ينتقل بينهم في سرعة ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " الجرى " ، وإثبات الجري " للمنية " استعارة تخيلية ، وهي قرينة المكنية .

والاستعارة الثانية في قوله " نشارعهم حوض المنايا ونشرع " ، حيث شبّه المنية بشراب له أحواض ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الحوض ،

(1) أسرار البلاغة ص 7.

(2) كعب بن مالك الأنصاري حياته وشعره د / عبد المنعم أحمد يونس-ص114 - ط الأمانة ط أولى 1406 هـ 1983 م .



والفارق بين الاستعارتين أن الأولى جاء بها لبرهن على حرص كلا الفريقين بشدة على الموت ، وتهافتهم عليه كما يتهافت العطاش أو المخمورون على السَّاقى ، فالمؤمنون حريصون على الشهادة ، والتمكين لدينهم ، وتعزيد انتصارهم بيد ، والمشركون حريصون على الموت حمقاً وجهالةً ورغبةً في الثأر . وهذه الاستعارة تدل على شدة القتال ، أما الاستعارة الثانية فإنها تدل على كثرة موارد الموت وسهولته ، وقد سبق بيان بلاغة مثل هذه الاستعارة (1) ، وقد رشَّح الاستعارة بقوله " نشارعهم " نشرع " فهي مناسبة للمستعار منه " الماء " ويلاحظ أنه قدّم ما يدل على إيقاع القتل على المشركين قبل أن يوقعوه على المسلمين فقدم ( نشارعهم ) وأخر " ونشرع " .

---

(1) انظر ص (66) من هذا البحث .

## ثامنا : وصف جموع المشركين وتشبيههم بحراء

قال حسان يوم الخندق " (1) [من الوافر]

وخبّر بالذى لا عيب فيه      بصدقٍ غير إخبار الكذوبِ  
بما صنع المليكُ غداة بدرٍ (2)      لنا فى المشركين من النصيبِ  
غداة كأن جمعهم حراءُ      بدت أركائمه جناح الغروبِ

يعيّر حسان المشركين بما أنزله الله بهم من هزيمة يوم بدر ، ثم يشبه جمعهم يوم بدرٍ بجبل حراء ، وقد ظهر سواد أركانه وقت الغروب ، وقد بدأ حسان بفعل الأمر " خبر " مضعّف العين ليوحى برغبته فى التشقى من المشركين بما حدث لهم يوم بدر، لكى يعرف القاصى والدانى خبرهم وفضيحتهم فى هذا اليوم، وساعد على هذا الإيحاء صوت الباء المشددة وما فيها من صفة الانفجار ، حيث يوحى بهذه الرغبة فى انتشار خبرهم ، كما أنّ هذا الصوت المشدّد بما فيه من الثبات والقوة يوحى بالثقة والتأكد من هذا الحديث الذى يثير الدهشة والعجب عند من يسمعه فهذه فئة قليلة العدد والعدة تغلب فئة كثيرة العدد والعدة ، ولذلك قال فى الشطر الثانى بصدق غير إخبار الكذوب ، وتقديم ظرف الزمان " غداة " ومكان الحدث " ببدر " على متعلق الفعل " لنا " ألمح فى هذا التقديم قصد إيلاّم المشركين بتقديم ذكر الزمان والمكان اللذين حدثت لهم فيهما الفجيرة ، وكم من شخص يتألم عندما يُذكر أمامه اسم مكان حدث له فيه حادثٌ مؤلمٌ بل ويعيش الحالة النفسية التى عاناها فى هذا الحادث .

(1) ديوانه ص 134 قصيدة (31)

(2) حراء اسم جبل بمكة كان متعبد النبي ﷺ ومهبط الوحي عليه

إنَّ صورة حَسَّان على بساطتها إلا أنَّها موحيةٌ أيَّما إحياء ، فهو يشبِّه هذا الجمع الكافر بجبل حراء ، ما أبدع هذه الصورة عندما نرى أنَّها تلتقط مشهداً في الغداة ومشهداً في وقت الغروب وتجمع بينهما في براعة ودقة ، إنَّه الظلام الذي اتَّشح به القوم وكأنَّ قلوبهم نضحت على ثيابهم ، كما أن تشبيهم بهذا الجبل وقت الغروب يوحي بقرب زوالهم كما يختفى هذا الجبل خلف أستار الليل مع كبر حجمه وتطاوله ثم انظر إلى تشبيهم وهم جمعٌ كثيرٌ بتلك الكتلة الصخرية المتداخلة الأجزاء ، وما يوحي به ذلك من التداخل والتزاحم بين هؤلاء القوم ، وقد قذف الله الرُّعب في قلوبهم فكأنَّ كلَّ واحدٍ منهم حريصٌ على أن يتوارى ويحتسى بغيره وكأنَّه يريد أن يحتبى بداخله خوفاً ، فكأنَّهم سرب من الطيور على الأرض ، تتزاحم حتى تحتسى وتستدفئ بغيرها ، ثم انظر إلى كلمة " أركانه " هذا الثبات والجمود في وقت الغداة والذي يخيّل للناظر أنَّهم جماد محدد الأركان وهكذا يكون دائماً الجبان الخائف .

كما توحى الكلمة ببروز وتقدم أركان الكفر ورؤوسه على هذا الجمع ، فهم الذين لاقوا حتفهم أولاً يوم بدر وما أشبه قلوبهم بحجارة حراء بل إنَّها أشد قسوة فما أروع وما أبدع هذه الصورة في إحيائها ونظمها ! واختيار المشبه به ، فإنَّ اختيار المشبه به المناسب لإظهار المعاني التي تتعلق بالمشبه من أهم وظائف التشبيه " فإذا كانت حول المشبه معانٍ وأحوالٌ ومشاعرٌ وقصد من التشبيه أن يبين عنها وأبان فذلك حسبه " (1)

---

(1) دراسة في البلاغة والشعر د\* / محمد أبو موسى ص 102 .



## تاسعا : وصف هداية الرسالة الإسلامية

انطلقت ألسنة الشعراء بوصف هداية الرسالة الإسلامية وما جاءت به من التور والهدى الذى يخرج الناس من ظلمات الضلالات والخرافات والظلم إلى نور العدل والحق والمساواة . يقول حسان بن ثابت " (1) [من المتقارب]

فَلَمَّا أَتَانَا رَسُولُ الْإِلَهِ	بنورود ين بعَدَ الظُّلْمِ
رَكْنَا إِلَيْهِ وَلَمْ نَعْصِهِ	غَدَاةً أَتَانَا مِنْ أَرْضِ الْحَرَمِ
وَقَانَا صَدَقْتَ بِمَا جِئْتَنَا	هَلُمَّ إِلَيْنَا وَفِينَا أَقِمْ
فَنَادِ بِمَا كُنْتَ أَخْفَيْتَهُ	نَدَاءً جَهَاراً وَلَا تَكْتُمِ
فَنَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ الْمَلِكِ	وَأرسلت نورا بدين قِيمِ
فَاتَّانَا وَأَوْلَادِنَا جَنَّةَ (2)	نَقِيكَ وَفِي مَا لَنَا فَاحْتَكِمِ

يوازن حسان بين نور الرسالة الإسلامية وضلال الوثنية الجاهلية ؛ لذلك فقد تمسكوا بالنبي ﷺ وصدقوا ما جاء به من الهدى وقالوا له اجهر بدعوتك فإننا ناصرك ، فقد أرسلك ربك نورا بدين الحق ، وقد صور حسان ما جاء به النبي ﷺ من الهدى ( القرآن ) بالنور على سبيل الاستعارة الأصلية ، وذلك ؛ لأن النور يهدى السائرين ويقيهم الانحراف ، ويحفظهم من مواطن العثرات ، كذلك الهدى الذى جاء به النبي ﷺ من عند الله ، يمنع من اتبعه الزيغ والضلال والانحراف عن الطريق المستقيم الذى أراده الله لعباده ، ثم استعار الظلم " للضلالات " التى كانوا يعيشون فيها فى الجاهلية بجامع التخبط والحيرة ، وهذه الصورة تدل على أنهم قد ضاقوا بها ذرعا والذى يوحى بذلك أنه أتى بلفظ " الظلم " جمعا إشارة إلى كثرتها وتشعبها ، بينما أفرد التور ؛ لأن الحق كله يعود إلى مصدر واحد وهو الدين ، وقد جمع للرسالة الإسلامية بين كونها هداية لنفوسهم ومنهجاً للحياة وذلك بقوله " بالنور والدين " فهى نور لنفوسهم ، ودين يدينون به ويسيروا على منهجه ولفظ الركون يوحى بالاعتماد عليه فى أمور دينهم والثقة فيما جاءهم به من عند الله كما يدل على التسليم والاستسلام له .

(1) ديوانه ص 139 قصيدة (32).

(2) جنة / الجنة السترة مختار الصحاح 74.



ثم جاء بالصورة التشبيهيّة في البيت الخامس استكمالاً للاستعارة في البيت الأول، حيث يشبه النبي ﷺ بالنور والتشبيه في هذا البيت من صور التشبيه البليغ الاصطلاحية، حيث إن المشبه به وقع " حالاً من المشبه " (1) ولما أثبت للرّبيّ رسالة التي جاء بها ﷺ نوراً لم ينس أن يثبت للنبي ﷺ نوراً، فهو ﷺ كالنور في خلقه وفي رحمته وإرشاده وتوجيهه لصحابته، وانظر إلى المناسبة المعنوية بين البيت الرابع والصورة التشبيهيّة في البيت الخامس التي صوّر فيها الرسول ﷺ بالنور فالنور أهلٌ ُُُُّّّ لأن يظهر ولا يُجَب ؛ لذلك مهّد للتشبيه بقوله

**فناد بماكنت أخفيتَه نداء جهارا ولا تكتتم**

ثم انظر إلى اختيار المعاني والتراكيب التي تناسب الصورة وتبرز جمالها ففي قوله " فإنا وأولادنا جنٌّ هـ : نقيك وفي مالنا فاحتكم "، انظر إلى دقة المعنى ولطفه فإنه لما شَبّه النبي ﷺ بالنور جعل من نفسه وقومه وأولادهم حمايةً لهذا النور ممّن يريدون إطفاءه ، فكأنه ﷺ مصباحٌ منيرٌ وهم الرجاجة التي تحميه وتوصّل نوره إلى الناس . كما أن ذكره للمسند إليه هنا " إنّا " مؤكّداً على حضورهم في كل موقف فداءً للنبي ﷺ، خاصةً أن صوت الثنّ المشدّدة يوحى بالثبات والقوّة وهي معانٍ يدور حولها البيت كما أنّ قوله : " وفي مالنا فاحتكم " قدم الجار والمجرور إشارة إلى تضحيتهم وتقديمهم ما هو محبوبٌ وعزيرٌ وغالٍ على النفوس فكلُّ شيءٍ وأى شيءٍ من أجله ﷺ - رخيصٌ لا قيمة له . وهكذا نرى التّشبيه أو الصورة البيانية بصفةٍ عامّةٍ [ " إذا استشهد به وحده وفصل عن بقية القطعة كان كالكعب تُفرد عن الأتراب فيظهر فيها ذلُّ الاغتراب ، والجوهرة الثمينة مع أخواتها في العقد أبهى في العين وأملاً بالزّين منها إذا أفردت عن النظائر وبدت فدّةً للنّاظر " ] (2)

(1) المنهاج الواضح د / حامد عوني ص 11 ط مكتبة الجامعة الأزهرية ط 1972 م .

(2) أسرار البلاغة ص 206 ت محمود شاكر ط دار المدنى .

فالتصوير لا يمكن قطعة . 136 ناصر التراكيب أو دراسة موطن التّشبيه



أو المجاز أو الكناية مقطوعاً عن الكلام " وذلك ؛ لأنَّ التصوير من عناصر التراكيب , لا يتم إلا بمساندتها ولا تكتمل إلا به , ؛ لأنَّ نشاط عناصر التراكيب هو نشاط تصويري أصلاً " (1) " فالتصوير سواء أقام على التشبيه أم الاستعارة أم الوصف يتلاحم مع عناصر التراكيب " (2)

---

(1) مداخل إلى علم الجمال الأدبي د/ عبد المنعم تليمة ص118 ط دار الثقافة - مصر 1982م .  
(2) التصوير البياني بين القدماء والمحدثين د/ حسنى عبد الجليل يوسف ص25 ط دار الآفاق العربية - القاهرة 1997 م .



## عاشرا : وصف قوة الهجاء وأثره

عرفت فيما سبق أن حسان بن ثابت كان العلم في الهجاء في عصر صدر الإسلام فقد كان هجاؤه قويا لادعا ؛ لذلك فقد وصف هجاءه في أكثر من موضع . يقول حسان بن ثابت " (1) [ من البسيط ]

قد تَكَلَّمْتُ أُمَّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ      أو كَانَ مُنْتَشِباً<sup>(2)</sup> فِي بَرَثِنِ الْأَسَدِ  
ما الْبَحْرُ حِينَ تَهْبُّ الرِّيحُ شَامِلَةً      فَيَغْطِي<sup>(3)</sup> لُ<sup>(3)</sup> وَيُرْمِي الْعَبْرَ بِالزَّبَدِ  
يوماً بِأَغْلَبِ مَنِي يَوْمَ تَبْصُرُنِي      أَفْرَى<sup>(4)</sup> مِنَ الْغَيْظِ فَرْنَا لِعَارِضِ الْبَرَدِ

يصف حسان قوة هجائه وبيّن عاقبة من يتعرّض له بالأذى ، وأنّه كمن يدخل عرين الأسد طائعا ، ثمّ يبيّن هيئته عندما يغضب ، وأنّه في هذه الحالة يكون كالبحر عندما تهيجه الريح ، وأسلوب حسان الإبداعى في هذه الأبيات يتناسب تماما مع غرضها ، فالغرض من الأبيات هو وصف تفوّقه واقتداره في الهجاء بحيث لا يدانيه فيه أحد ، وأسلوبه في هذه الأبيات أيضاً أسلوبٌ غير تقليدى ، فقد عدل في هذه الأبيات عن التشبيه الصريح إلى التشبيه الضمى في البيت الأول ، وإلى أسلوب الاستدارة في البيتين الثاني والثالث .

---

(1) ديوانه ص 160 قصيدة (52) مناسبتها " أن ابن المعطل السلمى وبلال بن الحارث المزنى وغيرهم تهددوا حسان بن ثابت بالكلام الذى تكلم به فى عا نشة وضربة ابن المعطل ضربة بالسيف " فقال حسان هذه القصيدة فيهم ومطلعها :

أمسى الخلايس قد عزوا ، وقد كثروا  
وابن الفريعة أمسى بيضة البلد .

(2) منتشبا / يقال نشب فى الشئ إذا وقع فيما لا مخلص منه / اللسان 227/14 مادة ( نشب )

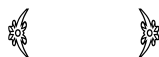
(3) فيغظنل / غيظنل : الغيظة الصوت والجلبة اللسان 63/11

(4) أفرى / فلان يفرى الفرى إذا كان يأتى بالعجب فى عمله اللسان مادة ( فرى )

ففى البيت الأوّل يشبّه حسّان من يعرّض نفسه لأذاه بمن يدخل عرين الأسد تشبيهاً ضمناً ، وقد أسهم النّظم فى توضيح هذه الصورة ، فهو يصدر البيت بقدر الذى تؤكّد الفعل ، ثمّ جاء بالاسم الموصول " مَنْ " للدلالة على العموم وفيه إشارة إلى غلبته للجميع وأنّه لم يُؤلّد من يقارعه فى الهجاء والقوّة ، ثمّ اختار كلمة " صاحبه " دون عدوه للدلالة على ملازمة العداوة ودوامها ، وأنه لن يترك من يؤذيه ما دام حياً ، أما البيتان الثانى والثالث ، فيشبّه هيئته حين تتابع منه الأقوال والأفعال العجيبة بسبب غيظه والذى لا تحدث منه فى الأحوال العادية ، بهيئة البحر عندما تهيجه الرياح فتتلاطم أمواجه وتتدافع تباعاً فى قوّة وسرعة وترمى بالزبد على الشاطئ ، والصورة جميلة مرتبة العناصر متقنة الألوان ، فهو أولاً يسوّى بين هيئته وهيئة البحر مبتدئاً بهيئة البحر ( المشبّه به ) مسبوقة بأداه نفى ( ينفى أن يكون البحر فى هيئته هذه التى أثبتتها له أغلب منه ) وهذه الصيغة أطلق عليها بعض البلاغيين أسلوب ( الاستدارة ) وهى أن يبدأ التركيب بما النافية ، ويليه المشبّه به ، تتبعه صفات أو أفعال تصوّر هيئته ، ثمّ بعد انتهاء صورة المشبّه به يأتى بصيغة أفعال مسبوقة بالباء وبعدها من ، وتمثل بلاغة هذا الأسلوب فى "إثباته للمشبهه الخصائص التى أثبتتها للمشبهه به مع نفي تفوق المشبه به على المشبه " (1)

وقد جاء بكلمة "يوم" نكرة حتى يتحقّق له عموم النفى فلا أحد يدانيه فصفاته هذه فأى وقت من الأوقات ، ثمّ تتداخل صورة أخرى فى المشهد وهى صورة متممة لهيئة المشبّه ، حيث تصوّر هيئة تتابع الأقوال والأفعال العجيبة منه فى غضبه فى سرعة وقوّة ، بهيئة السحاب الممطر الذى تتساقط منه قطرات المطر فى سرعة وتتابع ، وبجانب تصوير هيئة الكثرة والتتابع فى سرعة وقوّة ألمح هنا معنى العلو والرّفعة والفضل كالسحاب ، فكثيراً ما يُساء للإنسان ممن هم منتفعون به وله عليهم أياذ .

(1) انظر الصورة البيانية دراسة تطبيقية محمود محمد بن ص 30 ، دفاع عن البلاغة ص 112



التصوير البياني

وبلاغته في

شعر الفخر

## التصوير البياني وبلاغته في شعر الفخر

الفخر فنٌ قديمٌ وهو من أكثر أبواب الشعر التي طرقها الشعراء ، وقد كان الفخر في الجاهلية بالمجد والرفعة والحسب والأموال والأولاد وتحقير الآخرين والسخرية منهم ، والحمية الجاهلية التي نهى عنها الإسلام ورسوله ﷺ " فلَمَّا جاء الإسلام اعتدلت موازين النفس بفعل القيم الجديدة السامية ؛ فتحوّل الفخر إلى الاعتزاز بأعجاز الإسلام والانتساب للدين والعبودية لله رب العالمين وذكر البلاء الحسن في نصرة النبي ودعوته .... إلى جانب الفخر بالطاعة لله ورسوله" (1)

وهذا كله معناه أنّ العرب أصبحوا في عصر جديد يخالف العصر الجاهلي في كثير : في الدين السماوي القويم وفي الحضارة والثقافة فكان طبيعياً أن تتطور فنون شعرهم ؛ لذلك وجدنا النبي ﷺ ينهى عن العصبية الجاهلية ويقول " دعوها فإنها مُنتنة" (2) ، ونراه ﷺ يصوّب لكعب بن مالك شعره موجّهاً إياه بعيداً عن القيم الجاهلية عندما قال كعب (3):

مجالدنا عن جذمنا (4) كل فخمة  
مذرّبة فيها القوانس تلمع

" فقال ﷺ لا تقل " عن جذمنا وقل عن ديننا " (5) فأمره ﷺ بتعديل الكلمة التي تشير أو تشير إلى الموروث الجاهلي الذي لم يعد له مكانٌ في الإسلام .

- 
- (1) التحوّل الشعري في عصر البعثة المحمدية د/ صفوت زيد ص 68 ط التركي بطنطا بدون تاريخ .
  - (2) شرح النووى على مسلم 138/16 ط الثالثة ط دار إحياء التراث العربى بيروت 1392 هـ .
  - (3) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى د/ شوقى ضيف ص34 ط دار المعارف . ط 11 دبت .
  - (4) الفاضل للمبرد تحقيق د/ عبد العزيز الميمنى - ص / ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975 .
  - (5) جذمنا: الجذم: الأصل وجذم الرجل أهله وعشيرته .

## أولاً : الفخر بالمجد في الجاهلية والإسلام

يقول حسان بن ثابت «(1) [من الطويل]

ألا أيها الساعى ليدرك مجدنا  
فهل يستوى ماءان أخضر أجن<sup>(2)</sup>  
ومن يعدل الأذنب ويحك بالذرى  
تأول سهيلاً<sup>(4)</sup> فى السماء فإته  
نأتك العلى فاربع عليك فسائل  
وحسى<sup>(3)</sup> ظنون ماؤه غير فاضل  
قد اختلفا برّ يحق بباطل!  
سأندركنا إن نلتته بالأنامل

هذه المقطوعة جزء من قصيدة يفخر فيها حسان بعلو منزلة قومه في الجاهلية والإسلام ، فبيّن أن إدراك هذه المنزلة لغيرهم أمرٌ مستحيل ، ويصوّر البون الشاسع بين أمجاد قومه وغيرهم بصور حسية رائعة ، فالصورة الأولى أنه لا يستوى ماء البحر وماء الحسى ، فالأول كثيرٌ نقي ، والثاني عكرٌ قليل ، والصورة الثانية أنه لا تستوى الأذنب والذرى من الناقة ، والصورة الثالثة يصوّر قومه نجماً فى السماء ويصوّر من يحاول اللحاق بهم بمن يحاول أن يمسك نجماً فى السماء بيده وهو على الأرض .

والمتمم فى هذه الأبيات يجد أن معانى الفخر فيها جاهلية ، ولكن إذا تأملت باقى أبيات القصيدة وجدت أن هذه الأبيات إنما هى حلقة فى سلسلة من الفخر يكملها حسان بالفخر بنصر النبي ﷺ وبالانتصار على المشركين ببدر وأحد<sup>(5)</sup> ، وقد عمد حسان فى هذه الأبيات إلى تصوير مجد قومه وعلوهم على أمجاد غيرهم - وهو أمرٌ عقلى - وإبرازه فى صورة محسوسة وذلك لأنه " لتصوير الشبه من الشئ فى غير جنسه وشكله والتقاط ذلك له من غير محلته ، واجتلابه إليه من الشقّ البعيد باباً آخر من الظرف واللفظ ، ومذهباً من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه من العقل" (1)

(1) ديوانه ص 166 قصيدة (55)

(2) آجن / أجن الماء أجننا تغير طعمه ولونه ورائحته فهو آجن -- الوجيز ص 7

(3) حسى / السهل من الأرض يستنقع فيه الماء -- الوسيط -174

(4) سهيلا / نجم من النجوم (5) ديوانه ص144 (6) أسرار البلاغة ص 129

ومبالغةً في تأكيد هذا المعنى ، فقد أورد أكثر من صورة يستدلُّ بها على ما يريد إثباته ، فقد صوّر البون الشاسع بين مجد قومه وبين أمجاد غيرهم من الناس بالتشبيه التمثيلي الذي يشبه فيه مجد قومه بماء البحر الكثير النقي ، ومجد غيرهم بماء الحسى القليل العكر ، فقد صوّر فضل قومه وعلو منزلتهم مقارنةً بغيرهم من الناس ، بفضل ماء البحر على ماء الحسى ، وقد سبق أن بيّنت أن تشبيه المجد بالماء أو استعارة الماء للمجد فيها دقة وذلك ؛ لأنّ الماء إن لم يحفظ ويبالغ في حفظه فإنه يسهل ضياعه أو تعكيره وكذلك المجد " (1) .

وحسّان هنا يشير إلى ثبات الفارق بين مجد قومه ومجد غيرهم من الناس ، وذلك ؛ لأنّ ماء الحسى العكر يظلُّ عكراً، حتى وإن حاول أحد أن ينقيه فإنّ رائحته الكريهة تظلُّ عالقةً به ، ثم يصوّر بالاستعارة التمثيلية قومه في رفعتهم وعلوهم بذرى الإبل وغيرهم بالأذنان فمن يسوّى بينهم ، وبين غيرهم يكون كمن يسوّى أذنان الإبل بذراها ، وتوحى هذه الصورة بأن قومه قادة مقادير / لأنّهم شبههم بالذرى ، وذرى الإبل رؤوسها ، وتكون في مقدمتها وأذناها في مؤخرتها فقد جمع لقومه في هذه الصورة بين العلو والقيادة والتقدم ، وفي الاستفهام " ومن يعدل الأذنان ويحك بالذرا " سخرية واستهزاء بمن يسوى بين قومه وغيرهم ، ثم يتصاعد بالفخر أكثر وأكثر بالاستعارة التمثيلية ، فيصوّر علو قدر قومه ونأيتهم على من يريد اللحاق بهم - بأنهم كنجم في السماء ومن أراد أن يلحق بهم فكأنما يريد أن يمسك هذا النجم بيده ، وقد جمع لقومه في هذه الصورة بين علوهم ، واستحالة إدراك الناس لمجدهم .

ويلاحظ أن حسان تدرج في تصوير هذا المعنى ( رفعة قومه ) ومجد غيرهم فبدأ بالموازنة بين شيئين مستويين في المكان والجنس فماء البحر وما الحسى كلاهما على الأرض ، ولكن شتان ما بينهما ، وكذلك قومه يعيشون مع الناس وهم من جنسهم ، ولكنهم يختلفون عنهم فنقاء مجدهم وكثرته كما يختلف ماء البحر عن ماء الحسى في النقاء والكثرة ، وهكذا يتّضح الغرض من هذا التشبيه وأمثاله وهو بيان الإمكان فتفوق قومه وعلوهم على غيرهم من الناس مع أنّهم من جنسهم ، دعوى تحتاج إلى برهان يبيّن إمكان هذه الدعوى .

(1) انظر ص ( 79 ) من هذا البحث



ثم يرتفع حسّان عن الأرض قليلاً ليتصاعد بالمعنى، حيث صوّر قومه بالدُرى من الإبل وغيرهم بالأذنان ، فأضاف إلى معنى تفوقهم على غيرهم الزعامة والقيادة والثبات ، أعنى ثبات الفارق بينهم وبين غيرهم فكما أن الأذنان ثابتة لا يمكن أن تحلّ محل الذرا ، والذرا لا تهبط مكان الأذنان كذلك قومه ثابتون راسخون في الرفعة والقيادة ، ثم يتسامى بالمعنى ويرتفع به إلى عنان السماء ، ويبلغ به حدّ الاستحالة عندما يصوّر قومه نجماً في السماء ومن يحاول اللحاق بهم كم يحاول أن يمَسَّ هذا النجم بيديه ، ويلاحظ أنّ النّظم جاء مناسباً للمعنى الذى يصوّره حسّان ، فقد بدأ في البيتين الثانى والثالث بأسلوب الاستفهام التقريرى إشارةً إلى أنّ مجد قومه معلومٌ يُسأل عنه ويُقرَّرُ به النَّاسُ ، ثم جاء في البيت الرابع بأسلوب الأمر " تناول سهيلاً " وأرى أنّ أسلوب الأمر مناسبٌ للاستحالة المستفادة من البيت وهى استحالة إدراك الناس لمجدهم فكأنّه جاء بالأمر استهزاءً وتعجيزاً ، وكذلك جاء بأسلوب الشرط الذى آداته " إن " والتي تدلُّ على الشكِّ فى حدوث فعل الشرط ، والشرط هنا يدل على الاستحالة لا على الشك فحسب، فالمعلّق على المحال محالٌ .

## ثانيا : الفخر بالقوة والخبرة

### (1) الفخر بكرم الأصل والشجاعة والقوة

يقول كعب بن مالك " (1) [من الوافر]

قذفنا فى السَّوابغِ كلَّ صقرٍ      كريمٍ غيرِ معتلِّ الزَّنَادِ (2)  
أشَمَّ (3) كأنَّه أسدٌ عبوسٌ      غداةَ ندى (4) يبطن الجذعِ غادى  
يغشى هامَةَ البطلِ المذمَّى      صبىَّ السيفِ مُسترخى النَّجادِ  
لنظهرِض دينك اللهمَّ إنَّ      بكفِّك فاهدنا سُبُلَ الرَّشَادِ

في هذه الأبيات يفخر كعب بكرم أصل قومه وشجاعتهم في القتال ، وأهم أقياء ، يدفعون أنفسهم لنصرة دين الله ، وقد صور كعب قوة المحاربين المسلمين وكرم أصلهم وشجاعتهم بالاستعارة والكناية والتشبيه ؛ فهو أولا يستعير الصقر لهذا المحارب الذى دُفع إلى ميدان القتال . ثم أتبع هذه الاستعارة بالكناية عن صفة وهى قوله " غير معتلث الزناد " فهى كناية عن حسن اختيار أمهات هؤلاء المجاهدين ، وهذا يدل على كرم أصلهم ، ثم يشبّه هذا المجاهد المسلم فى رغبته فى التشفى والانتقام من أعدائه وإقباله عليهم فى عزة وجرأة بالأسد الذى يكشّر عن أنيابه ويزأر فى الغداة عندما يخرج وهو جائعٌ مشتاقٌ لرؤية فريسته كى ينقضّ عليها ، وقد اختار كعب صورة بعناية فائقة ، فقد استعار كلمة صقر للدلالة على حسن تدريبهم لصيد أعدائهم والانقضاض عليهم كالصقور فى سرعة خاطفة وهذه الاستعارة مناسبة للتشبيه فى البيت الثانى تمام المناسبة ؛ لأنّه راعى فى هيئة الأسد الذى شبّه به المقاتل المسلم أن يكون جائعاً مشتاقاً لاصطياد فريسته ، كما أنّ الصقر هو الآخر يخرج مع صاحبه مشتاقاً مترقباً متحفّزاً لرؤية فريسته .

(1) ديوانه ص 195 قصيدة (14).

(2) معتلث الزناد / يقال فلان " غير معتلث الزناد إذا كان متخير الزوجه وفلان معتلث الزناد لم يتخير زوجته / الوسيط ص620 مادة (علث) .

(3) أشم/ ارتفاع فى قصبه الأنف مع استواء أعلاه- مختار الصحاح ص196 .

(4) ندى/ ندى الصوت : بَعْدَ مذهبه / اللسان 227/14 والمراد بها : علاصوته " .



كما أنّ كعباً أحسن اختيار كلمات الأبيات ، فكلمة ندى لها موقعٌ في الصورة وذلك ؛ لأنّ الأسد إذا رفع صوته بزئيره فإنّه يرفع رأسه وبالتالي تتطابق صورتان صورة المشبه الموصوف بقوله ( أشم ) وصورة الأسد الموصوف بأنّه " ندى " ويبدو أن الشاعر أراد أن يجمع للمجاهد المسلم ، بين حسن التدريب والقوة والشجاعة وتمام الحلقة ، فجاء بالاستعارة لبيان حسن التدريب والخبرة وجاء بالتشبيه لتصوير القوة والعزة والشجاعة ثم أكمل الصورة بالكناية عن صفة في قوله " مسترخى النجاد " ليدل على أنهم يمتازون بصفة الطول ، وقد جاء بهذه الكناية لتناسب وصف المجاهد المسلم بأنه (أشم) وليحترس بالكناية من بعض الصفات غير المرادة في الاستعارة في البيت الأول وفالتشبيه في البيت الثاني ، ؛ لأنّ استعارة الصقور لهم قد يفهم منها سرعة انقضاضهم لصغر أحجامهم كما أنّ الأسد الذي شبههم به وإن كان قويا إلا أنّه لا يسير في قامة مديدة ؛ لذلك فإنّ الكناية لها موقعها الرائع من هذه الصور ، حيث إنّها تفصل بين الألوان وتنحّي الألوان التي قد تفسد الصورة ، وفي البيت الثالث يكتفى عن قوة سواعد المجاهدين المسلمين بالكناية في قوله " مسترخى النجاد " واسترخاء النجاد يلزم منه ثقل هذه السيوف وينتقل من ثقلها إلى قوة سواعد المجاهدين وحسن تدريبهم الأمر الذي يجعلهم يجيدون القتال بهذه السيوف الثقيلة ، وهي كناية كما نرى كثرت فيها الوسائط كما أنّها أيضا كناية عن صفة الطول كما سبق أن ذكرت .

ثم يأتي كعب بالمجاز المرسل في البيت الأخير في قوله " بكفك " ، حيث عبّر بالكف وأراد العهد فالعلاقة " الآلية " <sup>(1)</sup> ، وهذا المجاز متمم للصور في الأبيات وليس غريباً عنها ، فالقوة والعزة والخبرة التي صوّرها في الأبيات السابقة إنّما هي من الله وإلى الله ، فكعب بهذا المجاز يوجّه فخره الوجهة الإسلامية ، فكلمة " بكفك " توحى بالبراءة من الحول والقوة ، وتدُلُّ علمطلق الاستسلام لله عز وجل .

(1) العلاقة الآلية : هي كون الشئ " واسطة في إيصال أثر المؤثر إلى المتأثر " انظر ص 197 الرسالة البيانية للصبان .

وهكذا رأينا التشبيه يمتزج مع الاستعارة والكناية والمجاز في لوحة فنية رائعة " فلا بد أن تكون العلاقات بمثابة الشرايين الجارية في , الجسد أو الدم ، وكما لا يكون الدم الجارى بعض أجزاء الجسد من فصيلة مخالفة للدم الجارى في البعض الآخر كذلك لا تكون الأنسجة اللغوية والصورة النفسية والرموز المعنوية الجارية في التشبيه معزولة عن الحركة اللغوية العامة الجارية في السورة كلها أو القصيدة كلها " (1)

---

(1) دراسة في البلاغة والشعر ص 31 .

## (2) الفخر بالخبرة في الحروب

يقول كعب بن مالك في يوم أحد : (1) [ من الطويل ]

جِلَادٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لَا      عَلَى هَالِكِ عَيْنَانَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ  
تَدْمَعٌ رَوَى      وَلَا نَحْنُ مِمَّا جَرَتِ الْحَرْبُ نَجَزَعُ  
بُنُو الْحَرْبِ لِأَنْعِيَابِشِي نَقُولُهُ      وَلَا نَحْنُ مِنْ أَظْفَارِهَا نَتَوَجَّعُ  
بُنُو الْحَرْبِ إِنْ نُظْفِرْ فِلْسِنَا بِفَحْشٍ      وَيَفْرُجُ عَنْهُ مِنْ يَلِيَّةٍ وَيُسْفَعُ (2)

يفتخر كعبٌ في هذه الأبيات بقوة قومه وشدة بأسهم وصبرهم في الحروب فهم أشدّاء أمام نوائب الدهر، لا تدمع لهم عين على هالك ، إيماناً وصبراً، ذلك لأنهم نشأوا في أحضان الحروب فخبروا دروبها ومسالكتها وما يقال فيها ، وهم لتعودهم النصر فالحروب لا يببالغون في الفرحة إذا ما انتصروا ولا يتألمون للهزيمة ، وقد كانوا قبل الإسلام جهّالاً يخشاهم الناس ويتعدون عنهم اتقاءً لأذاهم ، بدأ الشاعر بحذف المسند إليه للمسارعة إلى إثبات المسند وتقريره ، فهو محور الأبيات ، بل هو محور ارتكاز القصيدة كلها فالغرض من القصيدة هو إثبات الجلد والتحمّل والصبر عند الهزيمة ، يقول الإمام عبد القاهر في بلاغة مثل هذا الحذف " هو بابٌ دقيق المسلك لطيف المآخذ ، عجيب الأمر ، شبيهٌ بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة وتجديك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبين " (3) ثم نراه يقدم " على هالك " على " عينا " للدلالة على عظمة الفجعة ليسوق الدليل على جلدتهم وقوّتهم ، كما أنّ تنكير كلمة " هالك " يدل على أنّهم لا يجزعون على أي شخص منهم شريفاً أو ضعيفاً ، وتنكير كلمة " عينا " لنفي الجزع عنهم جميعاً .

(1) ديوانه ص 227 قصيدة رقم 33 .

(2) يسفع : السفع هو السواد والشحوب ، لسان العرب مادة " سفع " ص 207 .

(3) دلالات الإعجاز ص 146 .

ثم يبرهن على جلدتهم وصبرهم وخبرتهم في الحروب وذلك عن طريق الكناية عن نسبة الخبرة بالحرب إلى قومه في قوله " بنو الحرب " لما فيها من معنى الملازمة ونشأتهم في أحضانها كما ينشأ الأولاد مع أمهم يتعلمون منها ، وقد تقسو عليهم أحيانا لتعلمهم ، ولأنهم بنو الحرب ، فليس هناك أسهل من جرى الشعر على ألسنتهم في الحروب ( لا نعيًا بشئ نقوله ) ، ثم جاء بضمير المتكلمين " نحن " مسبقًا بلا التي هي " لتوكيد النفي " <sup>(1)</sup> ليعرّض بالمشركين ، حيث إنَّ الصبر على الحرب وما فيها ليس مقصوداً عليهم فحسب ، وإنما الغرض أن يعرّض بمن لا يصبر على أهوال الحروب ونتائجها وهم كفّار مكة ، حيث فزعوا فزعاً شديداً لما حدث لهم ببدر ، ثم صدر البيت الثالث هو الآخر بنفس الكناية التي تدل على إلفهم للحروب بخيرها وشرّها منذ نعومة أظفارهم ، إشارة منه إلى حروبهم قبل الإسلام .

ويلاحظ أنّ كعباً في هذا البيت يثبت لقومه رزانةً واتزاناً في حالي النصر والهزيمة ، وقد ساق المعنى الأول وهو الاعتدال والاقتصاد في الفرحة عند النصر في معرض الشرط ، وجاء بجواب الشرط منفيًا بليس ومجئ المعنى في معرض الشرط مع تقديم حالة الانتصار على الهزيمة يوحي باستواء أثر الأمرين لديهم النصر والهزيمة . وجاء بجملة الجواب منفية بليس ليؤكد النفي بزيادة الباء في خبر ليس .

---

(1) ديوانه ص 227 ، 228 قصيدة 33.

ثمَّ عدل عن أسلوب الشرط في الشطر الثاني إلى الأسلوب الخبري لتأكيد النفي خاصةً وأنَّ الأمر الذي يدَّعيه أمرٌ غريبٌ يمكن أن يكون فيه شكٌّ أو ريبٌ ، فعدم الحزن والجزع عند الهزيمة أمرٌ غريبٌ يمكن أن ينكره السَّامع ؛ لذلك جاء بالأسلوب الخبري مؤكداً النفي " بلا " مقدما الضمير " : نحن " بعد أداة النفي ليعرِّض بالمشركين ، ونلاحظ أنه وصل بين الجمل في البيتين الثاني والثالث ؛ لأن أراد أن يثبت لهم مضمون هذه الجمل مجتمعة .

وقد صوِّر هذا المعنى - "عدم جزعهم عند الهزيمة" - بالاستعارة المكنية في قوله " ولا نحن من أظفارها نتوجَّع " وبلاغة الاستعارة المكنية تكمن في أنَّها " تعمل غالباً على بثِّ الحياة والحركة في المشبه به لغرض المبالغة " (1) ، ففي هذه الاستعارة جعل الحرب حيواناً مفترساً يَحْمَش المتحاربين بأظفاره ، فقد شبه الحرب بحيوان مفترس ثم حذف المشبه به رمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهي " الأظفار " والصورة دقيقةٌ موحيةٌ ، فالتركيب الذي جاءت الاستعارة في معرضه نَظَمَه الشاعر بدقَّةٍ وإتقانٍ . فالأظفار تدل على أنَّ الهزيمة مهما نالت منهم فلن تعدو أن تكون آثارها كخدوشٍ من أظفار حيوانٍ مفترسٍ ، فهم من القوة بمكانٍ بحيث لا ينال منهم عدو نيلاً بالغاً ؛ ولذلك أثار الأظفار كلازم للمشبه به المحذوف دون الأنياب ، لهذا الغرض ، وألمح مناسبةً معنويةً دقيقةً بين الكناية " بنو الحرب " وهذه الاستعارة وهي أنَّه لما أثبت لقومه بنوهم للحرب اختار الأظفار كلازم للمشبه به المحذوف فيكون المعنى أن الحرب مهما قست عليهم فلا يعدو أثرها أن يكون إلا كحيوان مفترسٍ يداعبُ أبناءه بمخالبه فهو إن أصابهم خطأً بأظفاره فإنما يصيبهم إصابةً غير بالغة ، وللجناس التام المستوفي بين " نظفر ، والأظفار " معنًى بالغ الروعة والجمال ، حيث يطوى هذا الجناس الأبيات طيًّا ليعبرِّ هو عن معناها في كلمتين ، فالجناس يوحى بمساواة الظفر بالأظفار وهو المعنى الذي تدور حوله الأبيات .

(1) محاضرات في علم البيان د/ ربيعي عبد الخالق ص37 التركي طنطا 2000 م.

ثمَّ يواصل كعبٌ بيان مجد قومه وقوتهم وشدة بأسهم حتى قبل الإسلام حيث يقول:

وكنَّا شهاباً ينقَى الناسُ حرَّه  
ويفرج عنه من يليه ويُسفع

يُصور كعب قومه قبل الإسلام في قوتهم ، وجهالتهم ، فيشبههم بالشهاب المحرق شديد الحرارة ، فالناس كانوا يتقون غضبهم فضلاً عن أذاهم كما يتعد الإنسان عن النار خوفاً من حرّها ، ومع ابتعاد النَّاس عنهم انقضاءً لغضبهم فإنَّهم لم يسلموا من أذاهم بسبب جهالتهم وشدة بأسهم ، فمن اقترب منهم يريد إيذاءهم فإنَّ أدنى قوةٍ منهم تردُّه خائباً مهزوماً كما يرتدُّ من يشعر بحرارة النار هرباً منها ، ويُلاحظ استخدام الشاعر كلمة " حرُّه " دون إحراقه ، وهذا يوحي بأنَّ الناس كانوا يتقون يسير غضبهم ، لأنَّهم لو غضبوا ولو غضباً يسيراً ، فإنَّ من أغضبهم لا يأمن أن تتطور الأمور إلى ما لا قبل له به ، كما أن قوله " يتقى " دون يجتنب يوحي بشدة حرص الناس على اجتنابهم ، وبناء الفعل " يسفع " للمجهول إشارة إلى أن وصول أذاهم لمن عاداهم قانون لا بد منه ، فهو واقع لا محالة ، وأن باعهم طويل يمتد إلى القريب والنائي .





## ثالثاً : الفخر بالشهادة

وهذا الغرض مما استحدثه الإسلام وهو من توابع العقيدة الرَّاسخة فإنَّ الإنسان إذا صحَّت عقيدته فإنَّه سيستعذب في سبيلها التضحية بكلِّ شئٍ حتى ولو كانت نفسه ، ؛ لأنَّ النظرة إلى الموت تغيرت من فقدان للحياة إلى وسيلة لحياة أخرى أتمَّ حياة عند الله من الحياة الدنيا قال تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ

يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ (1)

لذلك نرى كعب بن مالك يفخر بمن استشهدوا فدخلوا الجنة (2) :

أبلىغ قريشاً على نأيها      أتفخر منّا بما لم تلى؟  
فخرتم بقتلى أصابتهم      فواضل من نعم المفضل  
فحللوا جنائناً وأبقوا لكم      أسوداً تحامى عن الأشبلى

ينفى كعب أى فضل لقريش في يوم أحد، فهم يفخرون بشيء ليس لهم فيه فضل فما حدث إنما كان بمعصية المسلمين ، ومع ذلك فإنَّ ما افتخروا به وفرحوا أن أصاب المسلمين ، إنما هو فضل من الله لا يعطيه إلا لمن يجبه - لو كانوا يعلمون - فقد تركوا الحياة إلى حياة أعظم ، وإن كانوا قد رحلوا فقد خلفوا أسوداً أقوياء أمثالهم ، وقد بدأ الأبيات بالألا الاستفتاحية التي "يؤتى بها لإيقاظ المستمع ولفت انتباهه إلى ما سيلقى إليه" (3) ثم يسخر من قريش ويضع من مكانتها في قوله " على نأيها " مستخدماً على بمعنى مع (4) على سبيل الاستعارة التبعيَّة والعبارة توحى بالضعة والحقارة .

(1) سورة آل عمران الآية (169) .

(2) ديوانه ص254 قصيدة 49.

(3) دلالات التركيب ص262.

(4) الجنى الدانى فى حروف المعانى ص476 للمرادى ت د / فخر الدين قيادة ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولى 1415 هـ / 1994 م.

ثمَّ يسخر من فرحتهم بشئٍ ل 152 من صنعهم وذلك بالاستفهام الانكارى



التوبيخى " أنفخر منا بما لم تلى " فهم كالحادى وليس له بعير ، ثم تأتى الصورة فى البيت الثالث لتزجر قريشا وتنبههم إلى الحقيقة الغائبة عنهم ، وهى أنهم - ( شهداء المسلمين ) - إن كانوا قد رحلوا فقد رصدوا لأعداء الله ( أسودا ) تقاتلهم من بعدهم ، وقد تآزر النظم مع الاستعارة حتى خرجت الصورة متناسقة بديعة ففاء السببية فى ( فحلُّوا ) تدل على أن قريشا هم سبب النعيم الذى صار إليه هؤلاء الشهداء ، ويشقاء العدو عندما يعلم أنه أسعد عن غير قصد من يعاديه ، وقوله " حلوا " بمعنى انتقلوا مناسب تماما لجزاء الشهداء وهو الانتقال من الحياة الدنيا إلى حياة حقيقية ثانية كما أن إثارة الفعل أبقوا دون تركوا ؛ لأنَّ الفعل أبقوا يدل على الدوام والاستمرارية وهو مناسب تماما لما يخبر به كعب من رعاية الكبار للصغار فإذا ما شبَّ الصغار فإنَّهم يرعون ويحمون من دونهم وهكذا ، كما أن قوله " لكم " تدل على التخصيص والرصد وكأنَّهم ليس لهم مهمة وهدف فى هذه الحياة إلا الوقوف بالمرصاد لهؤلاء المشركين ، وقوله " أسودا " يدل على الكثرة كما أن له وقعا صوتيا مخيفا من توالى الضمتين مع المد الطبيعى وصوت الدال القوى .

وقوله " تحامى " دون " تدافع " ؛ لأنَّ المدافعه تكون عند إحداق الخطر واقترابه ، أمَّا المحاماة فهى تدفع الخطر قبل اقترابه ، فكأنَّهم جعلوا لأنفسهم وذويهم حمى لا يقترب منها ولا يتعداها أحد ، كما أنَّ قوله " الأشبل " استعارة للأشبل للأبطال صغار السن من أبناء المسلمين ، هذه الاستعارة تنزَّههم منزلة الأسود وتعالى من قدرهم وتخيف عدوهم ، وهكذا يجتمع الصبر والعزاء مع التهديد والوعيد والسخرية فى ثلاثة أبيات ، حولت فرحة قريش فرعاً ورعباً .



## رابعاً : الفخر باتباع الإسلام

يقول حسان<sup>(1)</sup>

1. الله أكرمنا بنصر نبيّه
  2. وبنّا أعزّ نبيّه وكتابه
  3. فى كلّ معتركٍ تطيرُ سيوفنا
  4. ينتابنا جبريل فى أبياتنا
  5. يتلو علينا النور فيها محمداً
  6. فنكون أولّ مستحلّ حلاله
  7. نحن الخيار من البرية كلّها
  8. الخائضو غمراتٍ<sup>(5)</sup> كلّ منية
  9. والمبرمون قوى الأمور بعزّهم
- وَبِنّا أَقَامَ دَعَائِمَ الإِسْلامِ  
وَأَعزَّنّا بِالضَّرْبِ وَالإِقْدَامِ  
فِيهِ الجَماعِمَ عَن فِراخِ الهامِ<sup>(2)</sup>  
بِفِرائِضِ الإِسْلامِ وَالأَحْكامِ  
قَسَماً لِعَمْرِكَ لَيْسَ كالأَقْسامِ  
وَمَحْرَمٍ لَهِ كَما كَلَّ حَرامِ  
وَنظامِها<sup>(3)</sup> وَزَمامُ كَلِّ زَمامِ<sup>(4)</sup>  
وَالضَّامِنونَ حِواديثِ الأيَّامِ  
وَالنَّاقِضونَ مَرائِرَ الأَقْوامِ

يفتخر حسان بأنّ دعائم الإسلام أقامها الله بقومه ، وبهم أعزّ الله نبيّه ﷺ فى المعارك التى خاضها بهم ضدّ أعدائه ، كما أنّهم يؤمنون بكلّ ما نزل به الوحي على النبي ﷺ ويكفيهم فخراً وشرفاً نزول جبريل فى مدينتهم بالأحكام من عند الله فيحلّون ما أحل الله ويحرّمون ما حرّم غير مسبوقين إلى ذلك ، ثمّ يفتخر بأجداد قومه وقوتهم وشجاعتهم ، تظهر الروح الإسلامية جليّةً فى هذه الأبيات، حيث يسند حسان الأفعال إلى الله سبحانه وتعالى فهو سبب كل فضل لله ؛ لذلك قدّم لفظ الجلالة.

(1) ديوانه ص143 قصيدة (35) .

(2) الهام / الهامة طائر يخرج من رأس الميت إذا بلى ، والجمع هام ، فإن العرب كانت تقول إن عظام الموتى وقيل أرواحهم تصير هامة فتطير / اللسان 112/15 .

(3) نظامها / النظام الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ. وكل خيط ينظم لؤلؤ أو غيره فهو نظام / اللسان 204/14 .

(4) زمام / الخيط الذى يشد فى البئرة أو فى الزمام ثم يشد فى طرفه المقود ، ويسمى المقود زمام / اللسان 59/7 .

(5) غمرات / الغمرة الشدة . وغمرة كل شئ منهمكة وشدته . كغمرة الهم والموت ونحوهما / اللسان 81/11 مادة (غمر) .

وهذا من مستتبعات العقيدة الإسلامية، فهو هنا يربط الفخر بالقوة والشجاعة بمصدرهما وصاحب الفضل فيهما وهو الله سبحانه وتعالى ، وبعد أن أبدى أسباب القوّة والتفضيل وأنها ما عادت بالمال والجاه والقوّة ، وإنما بالله ورسوله ودينه ، أخذ يفخر في اطمئنان لأنه وضع أساسه فلن يُساء فهمه ، وقد أورد حسّان بعض الصور البيانية في هذه الأبيات ، ففي البيت الثالث يستعير ( تُطِير ) لـ ( تُزِيل ) على سبيل الاستعارة التبعية وهي توحى بقوة الضرب وحده السيوف ، فالسيوف تضرب الجماجم فتزيل الغطاء وتكشف الرأس من الداخل ، فيطير الطائر الخرافي الذي كان العرب يزعمون أنه يخرج من رأس القتيل ، وقد يُعترض بأنّ الفعل هنا على حقيقته وليس استعارة ؛ لأنّ المقصود أن هذا الطائر الخرافي يطير فعلا . أقول إنّ السيوف تكشف وتزيل الغطاء عن هذا الطائر فللدلالة على قوة الضرب والمبالغة في قوة أثره استعير "الطيران للكشف والإزالة ثمّ اشتقّ منه تطير بمعنى تكشف . وفي قوله " فراخ الهام " كناية عن أنّهم يقتلون الشباب الأقوياء من أعدائهم ، فذكر الفراخ هنا إشارة إلى أنّها مازالت صغيرة لم تكبر بعد وينتقل من ذلك إلى أنّ أصحابها ما زالوا صغارا ، وفي هذه الكناية أيضا معنىً دقيقاً من حسّان أو ما إليه وهو أن هذه الفراخ لن تستطيع كما يزعمون - أن تطلب ثأر أصحابها (\*) لأنّها لن تصيح كما كانوا يزعمون ، وفي هذا إشارة من حسّان إلى أنّ قنلى أعدائهم لا يُثأر لهم ؛ لأنّ من قتلوهم من العزة والمنعة بمكانٍ فلن ينال منهم أحدٌ ، ثمّ جاء حسّان في البيت الخامس باستعارة ملائمة لما قبلها من معانٍ، حيث استعار النور للقرآن الكريم بجامع الهداية وهذه الاستعارة كما ذكرت مناسبة لما قبلها ، فكون القرآن نوراً من الله مناسبٌ لإثبات كل الفضل لله في قوله من أول بيت " الله أكرمنا - وبنا أقام - وبنا أعز " حتى في الأفعال التي فيها مباشرة وقوّة منهم يسندها الله عز وجل في قوله " وأعزنا بالضرب والإقدام " فالاستعارة مناسبة تماماً لهذا الاستسلام وتوحى بأنهم يفعلون هذه الأشياء بهدى من الله وتوفيق منه بسيرهم على منهجه المنير الهادي وهو القرآن الكريم ، وقد قدم حسّان الجار والمجرور علينا على المفعول به

" النور " إظهاراً للفرح والسعادة والفخر بكونهم أول من يتلى عليه نور الله .

\* كان العرب يزعمون أن القتيل يخرج من رأسه طائر كالبومة ويقف على قبره ويصيح قائلاً اسقوني - اسقوني ولا يزال على هذه الحالة حتى يؤخذ بثأره .

انظر / المستطرف من كل فن مستطرف للأبشيهي 84/2 - مكتبة الحياة 1989 م

وفي البيت السابع يأتي بتشبيهين مؤكدين مجملين في قوله نحن الخيار من البرية كلها ونظامها وزمام كل زمام ، فقد شبه قومه أولاً بالنظام وهو الخيط الذي يُنظم فيه اللؤلؤ وغيره ثم شبههم بالزمام وهو أيضا خيط يزم الأشياء فيقرب بينها ، فالتشبيه الأول يصور قومه ، وقد استمسكوا بجبل الله فجمعوا الناس بتبلغهم رسالة الله لهم فحفظوهم من التفرق في الظلمات فهم في هذا الوجه يشبهون النظام الذي يحفظ حبات العقد من الانفراط والتبعثر، ثم شبههم بالزمام في تقدمه " يقال زم القوم : تقدمهم كأنه زمام " (1) فهو أراد أن يثبت لهم سبقاً وتقدماً على غيرهم ، وليفيد عموم تقدمهم على كل الناس قال " وزمام كل زمام " بمعنى أنهم مقدمون وسباقون لكل سابق ، وهذان التشبيهان أيضا مناسبان للمعاني التي صدر بها القصيدة .

فالتشبيه بالنظام مناسب لإقامتهم لدعائم الإسلام واستقبالهم الوحي أولاً ثم توصيله للناس - وكونهم قدوة للناس في أنهم أول مستحلٍ للحلال ومحرمٍ للحرام ، والتشبيه الثاني مناسبٌ للأشياء التي تفوقوا وتقدموا بها على الناس والتي لا يمكن أن يُنازَعوا فيها كوجود النبي الذي ينزل عليه الوحي في ديارهم - ونصرهم للنبي ﷺ - وخوضهم المعارك معه لنصر الله ورسوله .

وهكذا نلاحظ أن " كل تشبيه إنما هو امتدادٌ للأنسجة اللغوية التي صاغت السياق كله وهذا يعني ضرورياً من الانساق الخفي المكين " (2) وفي البيت الثامن نجد يذكر جانباً من تضحياتهم من أجل الإسلام في صورةٍ تمتزج فيها الاستعارة بالمجاز المرسل في قوله " الخائضوا غمرات كل منية " حيث يوضح أنه كما يعم خيرهم البرية كلها فإن لهم قوةً وشجاعةً في الحق تجعلهم يخوضون من أجله غمرات الموت .

وقد عبر عن الحرب بالمنية "، حيث عبر بالمسبب عن السبب تشبيهاً للحرب ، ومبالغةً في إثبات شجاعتهم، حيث صور قومه بالمجاز كأهم يخوضون الموت لا الحروب وفي هذا إشارة إلى كمال القوة و الشجاعة . أما موطن الاستعارة المكنية فهو قوله " غمرات كل منية " حيث شبه الحرب وغمراتها ببحرٍ يخوضونه وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الخوض والصورة موحيةً تصوراً صعوبة الحروب وتجعلها صعبةً ثقيلةً فالذي يخوض في الماء يجد صعوبة في السير ؛ لأن الماء له مقاومة .

(1) المعجم الوسيط ص 401 مادة زم. (2) دراسة في البلاغة والشعر د محمد أبو موسى ص 30 .

التصوير البياني وبلاغته

في شعر الرّثاء

## التصوير البياني وبلاغته في شعر الرثاء

" هذا الفن قديم قدم الإنسانية لأنّه يعبر عن حزن الإنسان وألمه على فقد عزيز عليه (1) " والعاطفة فيه من أصدق العواطف ؛ لأنّ أوتار الشجي والطرب لا تحركهما إلا الأنغام الصادقة " (2) فهو فن " فلما تشوبهة الصنعة والتكلف " (3) ، وقد اختلف الرثاء الإسلامي عن الرثاء في الجاهلية فبينما كان في العصر الجاهلي تعلقوا فيه نبرة السخط والضجر ، والتفجع ، لا نجد لهذه الأشياء وجوداً في الإسلام ، فلا اعتراض على الأقدار ، ولا نسبة للموت إلى الطبيعة ، فالمرثية الإسلامية أخذت تذكر فضل المرثي في الإسلام وأخلاقه ، وشجاعته والدّود عن دين الله " والحقيقة أننا لا نستطيع أن نطلق على هذه الصور مرثية ، فالمرثية لميت في حين أن من تكتب عنه هذه القصائد يتجاوز مرتبة الأحياء " (4) وإن وجد بعض الشعر الحزين المتفجّع " إلا أنه صابرٌ محتسبٌ " (5) وأرى أن أثر التفجّع في المرثية الإسلامية خفيف ، حتى يمكن أن نقول بأنّه مدح ولكنه مدح للأموات .

" وقد ازدهر فنُّ الرثاء في هذا العصر ، حتى ليتمكن جمع ديوان كبير من الشعر الحزين في بدر وأحد خاصة " (6) وكما بدأنا في باب المدح بمدح النبي الأكرم ﷺ ، فسنبداً هنا برثاء الشعراء للنبي ﷺ ، ولقد رأينا في باب المدح أنه ﷺ لم يكن يجب المدح والثناء ، لأنه ليس كملوك الدنيا فكان هذا تقييداً لهذا الغرض ( مدح الشعراء له ) إلا أنه ﷺ لما قبض أظلمت الدنيا في وجه صحابته، حيث بدأوا يشعرون بغياب نور النبي ﷺ ، فيدخلون المسجد فلا يجدونه ، وتتوارد إلى أذهانهم ومخيلتهم المشاهد المختلفة للنبي ﷺ فهنا كان يصلى بهم ، وهناك كان يجلس يعلمهم القرآن والسنة فيشعرون بافتقادهم النبي ﷺ فتتفجر مشاعرهم ، وتفويض على ألسنتهم بأصدق وأعذب الكلمات في رثاء خير رسل الله وأفضل خلق الله ﷺ

(1) فن التشبيه د/ أمينة محمد سليم ص 135 ط الدار المصرية - الإسكندرية بدون تاريخ

(2) خصائص التراكيب ص 190 د/ محمد أبو موسى.

(3) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه د/ يحيى الجبورى ص 311 ط رابعة ط مؤسسة الرسالة 1983

(4) أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية ص 102

(5) الأدب في عصر النبوة والراشدين د/ صلاح الدين الهادي ص 262 ط الخانجي القاهرة 1988/1409

(6) شعر المصرمين وأثر الإسلام فيه ص 355





كما أن هذا النور في ازدياد ، فكلما مر الزمان ارتفع شأن النبي ﷺ وزاد اتباعه وهو ما عبّر عنه حسان بقوله " مبارك الأمر " ، ثمَّ يصور حسان حالته في حياة النبي ﷺ وحالته بعد قبضه بصورتين ، الأولى بالاستعارة التمثيلية في قوله " إني كنت في نهر جارٍ " ، حيث شبه حالته ، وقد كان يتزود وينهل من كرم وعلم وخلق ودين النبي ﷺ بهيئة من هو في نهرٍ جارٍ لا يظما أبداً ، ثم استعار هيئة المشبه به للمشبه ، ثمَّ جاء بصورة تشبيهية تصور حالته بعد قبض النبي ﷺ .

فلما ذكر في الاستعارة أنه كان مع النبي ﷺ كمن هو في نهرٍ لا يظما أبداً صوّر حالته بعد قبضه ﷺ بحالة طائر الهام الخرافي الذي يصيح دائماً بسبب عطشه كما كانوا يزعمون حتى يُثار للقتيل ، ويُلاحَظ أن حسان استخدم في البيت الأول " كان " التي تدل على الماضي مع أن نور النبي ﷺ مستمرٌ إلى يوم القيامة ، والذي حسّن المعنى مع دلالتها على الماضي أنها تأتي في مقام الرثاء " فتذكّر ما كان من الأموات في الماضي لازمة من لوازم الرثاء بكافة أنواعه " .

---

(1) رثاء غير الإنسان في الشعر العباسي ، عبد الرحيم السوداني ص 289 ط المجمع الثقافي أبو ظبي 1420 هـ / 1999 م .

## أولا : رثاء النبي ﷺ

يقول كعب بن مالك في رثاء النبي ﷺ " (1)

1. نُخِصُّ بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِهِ      وَكَانَ سِرَاجًا لَنَا فِي الدُّجَى
2. وَكَانَ بَشِيرًا لَنَا مِنْ ذُرَا      وَنُورًا لَنَا ضَوْؤُهُ قَدْ أَضَا
3. فَأَنْقَذَنَا اللَّهُ فِي نَوْرِهِ      وَنَجَّى بِرَحْمَتِهِ مِنْ لُظَا (2)

يذكر كعب فضل النبي ﷺ عليهم فقد كان هداية لهم وكان بشيرا ونذيرا ، أنقذهم الله بما أرسله به من الإسلام فنجّاهم من النار ، ففي البيت الأول يشبه كعب النبي ﷺ بالسراج بجامع الهداية ، ثم جاء بقوله " لنا " الذي يدل على اختصاصهم بنور النبي ﷺ ، ولكي يدل على تمام النور وعظيم نفعه جاء بكلمة الدُّجَلَانَّ النُّورَ لا يظهر كاملاً ولا تعظم فائدته إلا في دياجى الظلمات ؛ لأنَّ الضِدَّ يظهر حسنه الضِدُّ ، فالظلمة تظهر النور تماماً ، ويُعتذر عن تخصيص كعب قومه بنور النبي ﷺ مع أنه من كمال المدح وتمامه المدح بعموم الفضل - بأنه قد يكون المقصود " بالدجى " النوازل والشدائد وعظائم الأمور على سبيل الاستعارة الأصلية التصريحية ، أو لعل المقصود بها الحرب ، خاصة وأنه ذكرها في بيت سابق لهذه الأبيات ، حيث يقول " (3) :

وَبَغَى الرَّسُولَ وَحَقَّ الْبُكَاءُ      عَلَيْهِ لَدَى الْحَرْبِ عِنْدَ اللَّقَاءِ

فيكون مقصده أنهم اختصوا ببركة النبي ﷺ ودعائه وتوجيهه في الحن والكربات والحرب وأن رأيه وتوجيهه فيها يكشفها ويزيلها كما يهدى السراج من يسترشد به في الظلمات ، وكلمة الدجى استعارة للضلال ، أو الكربات والشدائد أو الحرب ثم تأتي الصورة في البيت الثاني من جنس سابقتها ، حيث يشبه النبي ﷺ بالنور في قوله " ونورا لنا ضوءه قد أضأ " وهذا التشبيه وثيق الصلة بالشطر الأول " وكان بشيرا لنا منذرا " فكونه بشيراً ومنذراً يجعلهم بالتبشير والإنذار يلتزمون الطريق المستقيم الذى أراد الله لهم .

(1) ديوانه ص 173 قصيدة 4(2) لظا/ اللظى : النار ... لظى اسم جهنم اللسان 204/13 مادة (لظى)

(3) ديوانه ص 173 قصيدة 4.

فهو في ذلك كالنور الذي يهدى الناس ويحفظهم من العثرات والانحراف عن الجادة . وهذا الوجه أيضا يجوز تخصيص المؤمنين بنور النبي ﷺ بتكراره " لنا " في شطرى البيت . وتعبيره بالفعل أيضا مقصوراً دون همز ؛ لأن صوت الألف الممدود مفتوح فكأن المدّ الناشئ عن قصر الفعل يوحى باستمرار نور النبي ﷺ وانتشاره بخلاف ما لو أتمّ الفعل فقال " أضاء " فسكون الهمزة يفوت الإيحاء الذي أشرت إليه ، ثم يأتي البيت الثالث نتيجة لمضمون البيت الثاني فانقاذهم بسبب نور النبي ﷺ مسبب عن تبشيره وإنذاره واستجابتهم ؛ لذلك صدر البيت بالفاء التي " من معانيها السببية " (1) ، وفي البيت استعارة في قوله " نوره " ، حيث استعار النور لما جاء به النبي ﷺ من هدى من الله بجامع الهداية والإرشاد واستخدام في الظرفية دون الباء " ( في نوره ) يعطى للصورة ظلالة رائعة فالعدول عن الباء مع ما فيها من معنى السببية إلى " في " يوحى بأن هذا النور ( الهدى ) ظرف أحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف وكأنه سفينة نجاة أنقذتهم وحملتهم إلى شاطئ النجاة وبرّ الأمام .

---

(1) المقتصد في شرح الايضاح 1 / 941

## ثانيا : رثاء حمزة رضي الله عنه

يقول كعب بن مالك " (1)

ولقد هُددتُ لفقدِ حمزة هِدَّةً      ظلَّت بناتُ الجوفِ (2) منها ترعدُ (3)  
ولو أنَّه فُجعت حراءُ بمثلِه      لرأيتُ رأسِي صخرها يتبدُّدُ  
قرمٌ (4) تمكَّن في ذؤابة (5) هاشمٍ      حيثُ النبوةُ والنَّدى والسودُّدُ  
والعاقرُ الكومِ (6) الجلاذِ إذا غَدَت      ريحٌ يكادُ الماءُ منها يجمُدُ  
والتَّارِكُ القِرْنَ الكَمِيَّ مُجدلاً      يومَ الكريهةِ والقَتَا يتقصَّدُ (7)

يصوِّر كعبُ هذه الأبيات حزنه العميق على فراق حمزة عمِّ النبي ﷺ فلو أنَّ جبلا فُجِعَ بمثله لتهدَّم ، وهو من خيرة بني هاشم ، كان كريماً في زمن الشتاء، حيث يحتاج الناس إلى من يطعمهم ، شجاعاً في الحروب يصرع الأبطال الأقوياء ويتركهم مطروحين على الأرض ، يصوِّر كعبُ عاطفته الحزينة التي سيطرت عليه لفقد حمزة وهذه تجربته قاسية على المسلمين بسبب موت بطلٍ مدافع عن الإسلام ، ففي البيت الأوَّل يعطينا صورة لأثر الصدمة عليه ووقعها في نفسه فاستعار هُددتُ لفزعه وانخيار قواه عند سماع خبر استشهاد حمزة ، فصوِّر أثر الخبر على نفسه بما يعترى البناء أو الجانب من الجبل من انهدام وانخيار ، والكلمة " هددت " وتأكيدها بالمفعول المطلق " هدة " " مناسبة بصوتها الشديد ومعناها الهلع للدمار وما يصحبه من أصوات " (8) والدمار ليس دماراً حسيّاً وإنما هو تصدُّع الأنفوس حزناً على سقوط هذا الجبل الشامخ ، كما أن تكرار الدال في " هددت " وتشديدها في " هدة " " وهي من الصوامت المغلقة التي توصف بالشدة والانفجار " (9) يوحي بقوة الحدث وفجائيته .

(1) ديوانه ص 189 ، 190 قصيدة (13)

(2) بنات الجوف / يقصد بها القلب والأحشاء .

(3) ترعد/ ارتعد ارتعش واضطرب الوسيط 353

(4) قرم / المقرم من البعير الذي لا يحمل عليه ومنه قيل للسيد قرم ومقرم/ مختار الصحاح 289

(5) الذؤاية / من كل شئ أعلاه الوجيز (6) الكوم/ الكوماء النافقة العظيمة السنم الوجيز 545

(7) يتقصَّد : تقصد العود : تكسر يقال تقصدت الرماح تكسرت/ الوسيط 738

(8) البلاغة القرآنية عند الإمام الخطابي ص 39 أ.د / صباح درازي مطبعة الأمانة 1986/1406

(9) المختار من علم الصوتيات د/ عبد الله ربيع محمود أ.د/ عبد العزيز أحمد علام ص 196 ط دار البشرى

– القاهرة 2000/1420

والصورة كما رأينا صوتيةً حركيةً فالصوت والحركة معاً في قوله " هددت " , " ترعد " ولما كان من شأن المسلم ألا يدعو ويرفع صوته بدعوى وصفها ﷺ بأنها دعوى الجاهلية من العويل وما شابهه, تحوّل أثر هذه الفجيرة إلى صوت مصحوب بحركة ولكنها تُحس بداخله ولا ترى ، وامتزاج الصوت والحركة يوحي بامتزاج المشاعر واختلاطها ، فالشاعر حزين حزناً شديداً ، لا يستطيع أن يعبر عنه إلا بالبكاء الذي لا يسعف هذه العاطفة ولا يخفف من أثرها فتتحرك وتضطرب بداخله ، وفي الوقت ذاته هو يعلم كمؤمن أنه يجب أن يفرح للشهيد لماله من منزلة عظيمة عند الله ، وقد أدّت الكناية في قوله - ( ظلت بنات الجوف منها ترعد ) دورها في بيان عمق مشاعر الحزن ، حيث أثر الحزن في كل عضو من أعضائه ، كما أنّ ذكر فرع الأحشاء خاصةً مناسب لما حدث لحمزة من بقر بطنه من قبل هند بنت عتبة ، كما أنّ هذه الكناية تدل على أنّه لم يتأثر بهذا الحدث تأثراً ظاهرياً أو تأثراً مفتعلاً ، وإنما كان تأثراً حقيقياً عميقاً شاركته فيه كل أعضائه . وفي إسناد الفجيرة إلى حراء مجاز عقلي .

والبيت الثاني كله كناية عن عظم الفجيرة كما أن كلمات البيت " حراء " " رأسى صخرها " مناسبة للصورة في البيت الأول ، وفي البيت الثالث استعارة مكنية في قوله " ذؤابة هاشم " حيث شبهه بنى هاشم في اختلافهم وتباين فروعهم في الفضل والأصل بشجرة لها فروع وفرع سيدنا محمد وسيدنا حمزة في ذؤابتها أى أعلاها ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو قوله " ذؤابة " كما أن قوله " قرم " استعارة، حيث إنّها بمعنى الفحل الكريم من الإبل استعارة لسيدنا حمزة ، بمعنى أنّه يشبه الفحل من الإبل في ضخامة جسمه وإشراق وجهه وارتفاع قامته ، والبيت الرابع كناية عن شدة كرمه ، وفي البيت مبالغة مقبولة في قوله " يكاد الماء منها يجمد والبيت الخامس كناية عن شدة قوته وشجاعته .

## ثالثاً : رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال كعب بن مالك يرثي سيدنا عثمان " (1) [من الكامل]

1. يا للرجالِ للبيك المخطوفِ
2. ويح لأمرٍ قد أتاني رائعٌ
3. قتلُ الخليفةِ كان أمراً مفضعاً
4. قتلُ الإمامِ له النجومُ خواضعٌ
5. يا لهفَ نفسي إذ تَوَلَّوا غدوةً
6. وتلوا ودلُّوا في الضريحِ أخاهمُ
7. من نائلٍ (3) أو سوؤدٍ (4) وحمالةٍ (5)
8. كم من يتيمٍ كان يجبرُ عظمه
9. فرجتها عنه برحمك (6) بعدما
10. مازالَ يقبلُهم ويرأبُ ظلمهم
11. أمسى مقيماً بالبقيعِ وأصبحوا
- وإد معك المترقِّقِ المنزوفِ
- هدَّ الجبالَ فانقضتْ برجوفِ (2)
- قامتْ لذكِ بليَّةُ التَّخويفِ
- والشَّمسُ بازغةٌ له بكسوفِ
- بالنَّعشِ فوقَ عواتقِ وكتوفِ
- ماذا أجنَّ ضريحه المسقوفِ
- سبقتْ له في النَّاسِ أو معروفِ
- أمسى بمنزله الضَّياعُ يطوفِ
- كادت وأيقنَ بعدها بحتوفِ
- حتى سمعتُ برنة التَّلهيفِ (7)
- متفرقينَ قد أجمعوا بخفوفِ

يبكى كعب في هذه الأبيات مقتل الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه ، ويبين عظم الخطب ، وأنه أمرٌ تحزُّ له الجبال هداً ، حزنت له السماء وما فيها ، ويصف مشهده وهو محمول على الاعناق إلى قبره ، حيث غيَّبه وغاب معه الخير فقد كان عوناً للفقراء واليتامى ، ثم يبيِّن بشاعة فعلتهم ، ويوازن بين ما فعلوه معه وبين حلمه وعفوه رضى الله عنه هذه الأبيات شأنها شأن قصائد الرثاء نابعة من القلب ، فجاءت تحمل عاطفة صادقةً وحرناً عميقاً ، وقد أسهم في زيادة نبرة الحزن وعلو نبرة التفجُّع في هذه الأبيات أمَّا ترثي مؤمناً قتل ظلماً وعدواناً ؛ كما أمَّا ترثي معه أمةً قد تفرقت ودخلت في كهف الفتن المظلم

(1) ديوانه ص 238 ، 239 قصيدة 39(2) رجوف/الرَّجْفَان/ الاضطراب الشديد /اللسان 111/6 مادة رجف.  
(3) النائل / النيل والنائل : ما نلته / اللسان 399/14 مادة (نيل). (4) السؤود/ الشرف ، وقد يهمز بضم الدال : السؤود بضم الدال الأولى لغة طى / اللسان. 296/7 مادة (سود) . (5) الحمالة / رجل حمال يحمل الكلَّ عن النَّاسِ / اللسان مادة حمل 230/4. (6) برحمك / من الرحمة : الخير والنعمة، الوسيط مادة (رحم) ص 335 . (7) التلهيف / لهف : استغاث: تلهف على الفاتت حزن وتحسر/ 842 الوسيط.

وبما أنّ المقام مقام حزن عميق وهذه الأبيات ينعى فيها صاحبها تلك الفعلة الشنيعة التي يندى لها جبين الأمة حسرة وخجلاً من خذلان الخليفة وتركه لهؤلاء السفهاء يقتلونهم ؛ لذلك فإن الكناية أبلغ من التصريح في هذا المقام المخجل المؤسف وهي المناسبة للخجل والذهول الناشئ عن عدم توقُّع أو تصديق ما حدث للخليفة الراشد الثالث من أمة مُحَمَّد ﷺ . ففي البيت الثاني " تطالعا الكناية " هدَّ الجبال " وهو كناية عن شدة هذا الأمر وهو قتل الخليفة . وكلمة "هدَّ" كما سبق أن ذكرت " مناسبة بصوتها الشديد ومعناها ذى الصوت الهلع للدمار المتخيل وما يصحبه من أصوات هائلة " (1) فهي مناسبة للهرج والصخب حول دار الخليفة من هذه الفئة الباغية ومناسبة لأصوات البكاء التي عمّت المؤمنين في أنحاء الأمة . ولاحظ حذفه أداة النداء من "ويح" إسراعاً إلى هذا الحزن ولضيق المقام لشدة الأمر . ، وقد ذكر كعب الآداة في البيت الأول للتلهُّف والتحسُّر والتوجُّع في قوله "يالرجال".

ثم جاءت الكنيتان في البيت الرابع في قوله " له النجوم خواضع " والشمس بازغة له بكسوف ، وهما كنيتان عن شدة الفجيعة . حتى إنّ الأشياء التي لا تعقل حزنت وألمت لهذا الحدث . وفي الكنایات السابقة تعريض بمن قتلوا الخليفة عثمان ؛ فكأنه يريد أن يقول أن قلوبهم أشدّ صلابة وقسوة من الحجارة ، وأنّ الأشياء التي لا تعقل أوعى منهم وأكثر إحساساً وفي البيتين السادس والسابع كناية عن نسبة، حيث كنى عن نسبة الكرم والسيادة والرحمة إلى الخليفة بأنّها اختفت معه في ضريحه حيث يقول :

ولّوا ودلّوا فى الضّريحِ أخاهمُ      ماذا أجنَّ ضريحُه المسقوف  
من نائلٍ أوسودِّ وحمالةٍ      سبقتُ له فى النَّاسِ أو معروف

وقد أعان النظم على دقة التصوير في هذه الكناية فعرض الصورة بالأسلوب الإنشائي ( الاستفهام ) في قوله " ماذا أجنّ ضريحه المسقوف ؟ دون الأسلوب الخبري ، وذلك ليذهب العقل في تصور هذه الصفات التي غيّبت مع الخليفة عثمان كل مذهب ، وابتدأه بالاستفهام سوَّغ له أن يدخل حرف الجر من على الصفات المنكرة " نائل - سوِّد - حمالة " لتفيد التعظيم والتكثير .

(1) البلاغة القرآنية عند الإمام الخطابي ص 39 .

وفي البيت الثامن كناية عن نسبة في قوله " أمسى بمنزلة الضياع يطوف " كناية عن نسبة الضياع والشقاء لليتامى من بعد سيدنا عثمان رضى الله عنه ، وفي اختياره لكلمة أمسى إيجاء بالظلمة والوحشة التي صار إليها هؤلاء اليتامى من بعد عثمان رضى الله عنه كما أنّ استخدامهم " كم " وتنكير كلمة " يتيم " يدل على كثرة اليتامى الذين كان يكفلهم ﷺ وبالتالي يدلّ ذلك على عظمة جرم من قتلوه .

والبيت العاشر كله كناية عن طول صبره وحلمه ﷺ على هؤلاء المعتدين ، وقد عبّر عن دوام هذه الصفة بقوله " مازال " وباستخدام الفعلين المضارعين في " يقبلهم - يرأب " واللذين يدلان على التجدد والحدوث وهكذا رأينا دور الكناية في المقام الذى ضاقت فيه نفس الشاعر حزناً على الخليفة فليس المقام مقام تأنق .



# الخصائص الفنية

للتصوير البياني عند

شعراء الرسول ﷺ

## الخصائص الفنية للتشبيه

التشبيه فنّ فطري مشترك بين جميع الأمم وتستخدمه كل طبقات المجتمع على تفاوت في بلاغته ، حتى إنه ليستخدمه الأطفال الصغار عندما لا تسعفهم حصيلتهم اللغوية فيسمّون الشيء باسم غيره للتشبه بينهما ، والدّافع إلى استخدام التشبيه أنّه "يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً في النَّفس ، وقد أدرك هذه الوظيفة جميع الألسنة من العرب والعجم ، فلم يستغن أحدٌ منهم عنه " (1) ، وهذا الفن " قد يكون أكثر الفنون دلالةً على حياة الأمم وحضارتها وثقافتها وتفكيرها ، لأنّه مؤرّخٌ صادقٌ لمشاهد الطبيعة وروائع العمران ولحياة البدو والحضر والقرى والمدن ، والمجتمعات والشعوب ، وهو من ناحية البلاغة الأدبية فنٌّ واسعُ الأثر ، عظيم المدى في الاستدلال والإقناع ، والتمثيل والتصوير ، والبيان والتعبير ، وإثارة المشاعر والعواطف والوجدانات " (2) وتعتبر الإصابة في التشبيه مؤشّراً من مؤشّرات خصوبة الخيال والشاعرية ؛ هذا عبد الرحمن بن حسان يصف زنبورا قد لسعه فيقول لأبيه " لسعني طائر ..... كأنه ملتفٌ في بردى حبرة ، فقال حسان " آبنى الشعر ورب الكعبة " (3) .

والإصابة في التشبيه ليست أمراً سهلاً يقول ابن رشيق "أشدُّ ما تكلفه الشاعر صعوبة التشبيه ، لما يحتاج إليه من شاهد العقل ، واقتضاء العيان" (4) ، وقد كثر استخدام التشبيه عند شعراء الرسول ﷺ وخاصةً حسان ، وكعب بن مالك هو الآخر نجد أنّ التشبيهات في شعره أكثر من الألوان البيانية الأخرى ، ولعل السبب في كثرة التشبيه عندهم أنّه وسيلة إقناع وخاصةً التشبيه التمثيلي لأنّه "إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ونُقلت عن صورتها الأصلية إلى صورته ، كساها أجهّة ، وكسبها منقبةً ورفع من أقدارها " (5)

(1) الصنائع ص 249 .

(2) التشبيه في شعر ابن المعتز ، وابن الرومي د/ محمد عبد المنعم خفاحي ص 5 ط أولى ط الناروقية الحديثة - القاهرة .

(3) أسرار البلاغة ص 191 .

(4) العمدة لابن رشيق 241/1 ت / عفيف نايف حاظوم ط دار صادر بيروت ط أولى 1424 هـ / 2003 م

(5) أسرار البلاغة ص 121

## خصائص أركان التشبيه البلاغية

### أولاً : الطرفان :

أولاً : من حيث الحسية والعقلية :-

لا شك أنّ الشاعر الجاهلي والإسلامي ، بحكم تفاعله مع بيئته ، وعدم اطلاعه على العلوم العقلية ، بجانب واقعية الإسلام ودعوته كل هذا دعم الجانب الحسي في هذا الشعر إضافةً إلى تأثرهم بالمنهج القرآني المعجز " ففي ميدان التشبيه نجد أنّ القرآن الكريم يستمد عناصره من الطبيعة الحيّة من نباتها وحيوانها وجمادها " (1) كما أنّ العرب لهم " طرائقهم الخاصّة في التشبيه من وحي بيئتهم " (2) فقد كان كل تفاعلهم مع بيئتهم وما يوجد فيها من صحراء ونباتات وحيوانات وسماء وشمس وقمر ونجوم مما جعلهم يميلون إلى الواقعية " وانغماس الشاعر في الواقع يجعل صورته يغلب عليها الحسية " (3) .

ومع ذلك فقد برزت معانٍ جديدة هي معانٍ خلقية عقلية سعى الشعراء في عصر صدر الإسلام إلى تصويرها كالإيمان والكفر ، والنفاق ، والهداية ، والمجد والرفعة ، واللؤم والحسنة ، والكرم وغيرها من المعاني العقلية التي تناولها الشعراء في تشبيهاتهم إلا أنّ تصوير هذه المعاني لم يفلت من ربة الحسية تماماً فقليلاً ما نجد في شعر شعراء الرسول ﷺ تشبيه معقول بمعقول أو محسوس بمعقول . والأعم الأغلب أن يُشبهه المعقول بمحسوس لأنّه أقرب إلى الإقناع إذا كان في مقام النصح والتوجيه والدعوة وأقدر على الإيجاع والإبلام إذا كان في مجال الهجاء يقول الإمام عبد القاهر عن فضل تمثيل المعاني " فإن كان مدحاً ، كان أجهى وأفخم ، وأنبل في النفوس وأعظم ..... وإن كان ذمّاً كان مسّه أوجع .... وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور ..... " (4)

(1) الأثر القرآني في التصوير الشعري د/ يوسف عبد الوهاب ص 39 ط التركي - طنطا 2001/1421

(2) تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/ إحسان عباس ص 235 ط بيروت بتصرف يسير

(3) الشباب والشيب في شعر ابن الرومي ص 305 كلية اللغة العربية ( ايتاي البارود) بتصرف يسير

(4) أسرار البلاغة ص 115

ولعل حسّان هو أكثر الشعراء 170 تصويراً لهذه المعاني العقلية لأنّه بجانب



وصفه للإيمان والكفر والهداية وغيرها مما يشترك فيه معه زميلاه عبد الله وكعب إلا أنه يزيد عنهما في تناوله بعض الصفات العقلية في هجائه اللاذع كاللؤم والحسة وغيرها فقد تناولها كثيراً ومثلها في صورة حسية . يقول في تصوير اللؤم<sup>(2)</sup>

ترى من اللؤم رقماً بين أعينهم      كما كوى أذرع العائاتِ كإيها

ثانياً : الطرفان من حيث الأفراد والتركيب والتعدد :-

قلَّ التشبيه المتعدّد قلّة واضحةً في شعر شعراء الرسول ﷺ ، وهذه النادرة " جاريةً على أعراق البلاغة الأصيلة التي تنفر من التكلف والإغراق " (3) ولم يقع التشبيه المتعدد في القرآن الكريم وإنما جاء التشبيه واحداً بواحد . ، وقد كثر التعدد في العصور اللاحقة عندما تبارى الشعراء في " التعقيد والاسهاب ورجبوا في التزيين ، والتنميق والمبالغة " (4) ، ولم أجد في شعر حسان من التشبيه المتعدد سوى التشبيه (5) في قوله :

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ قَوْلٍ غُرِرْتُ بِهِ      حَلَوُ يَمْدُ إِلَيْهِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ  
لَوْ تَسْمَعُ الْعَصْمُ مِنْ صَمِّ الْجِبَالِ بِهِ      ظَلَّتْ مِنَ الرَّأْسِيَّاتِ الْعَصْمُ تَنْحَدِرُ  
كَأَلْخَمَرٍ وَالشَّهْدُ يَجْرِي فَوْقَ ظَاهِرِهِ      وَمَا لِبَاطِنِهِ طَعْمٌ وَلَا خَبِرُ

فقد شبّه هذا القول الخادع بشيئين بالخمرة والشهد في حسن المظهر وسوء الجوهر (الطعم) وهو ما أسماه العلماء بتشبيه الجمع وهو ما تعدد فيه المشبه به دون المشبه " (6) أما التشبيهات المفردة فهي الأكثر عند شعراء الرسول ﷺ وتكاد تقترب منها التشبيهات المركبة ، ولعل السبب في كثرة التشبيهات المركبة في شعر شعراء الرسول ﷺ هو قدرتها على وصف الهيئات والحركات وهو ما يناسب جو المعارك والجهاد .

(2) ديوانه قصيدة رقم 43 ص153

(3) فن التشبيه ص129 (4) المرجع السابق

(5) ديوانه ص383 ، 384 ملحقات

(6) الإيضاح ص284 تحقيق د/ عبد القادر حسين مكتبة الآداب 1996/1416

## ثانياً : نبرات التشبيه



أولاً: من حيث الاستعمال :

استخدم شعراء الرسول ﷺ أدوات التشبيه الشائعة ، والتي كثر تداولها في كتب البلاغة\* , وأكثر الأدوات استخداماً عند شعراء الرسول ﷺ " كأن " التي تدل على قوة الشبه بين الطرفين " فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه ( كأنه ) " (2) ويلى كأن في كثرة الاستخدام " الكاف " كما استخدموا الأفعال التي قال عنها البلاغيون إنها تبنى عن التشبيه وتأتى بعد تمامه لتدل على قربه أو بعده كما قال صاحب خلاصة المعاني عن الفعلين حسب ، خال " بل الفعل منبىء عن حال التشبيه في القرب والبعد لا عن نفسه " (3) وأرى أن هذين الفعلين - خاصة - من أدوات التشبيه ، فقد أورد صاحب الإيضاح مثالا للتشبيه المرسل وهو :

وإذا الأسنّة خالطتها خلتها      فيها خيال كواكب في الماء (4)

"فكأنه اعتبر الفعل المذكور أداة تشبيه" (1) وأرى أن هذين الفعلين يفيدان التشبيه .

---

\* توجد أدوات أخرى لم تذكر في كثير من كتب البلاغة ذكرها بهاء الدين السبكي ( انظر " أدوات التشبيه في لسان العرب ص13 د/ أحمد هنداوى هلال ط مكتبة وهبة 1424 / 2003  
(2) عيار الشعر - ابن طباطبا - تحقيق د/ محمد زغلول سلام -ص36- ط منشأة المعارف - الإسكندرية 1980  
(3) خلاصة المعاني للحسن بن عثمان بن الحسين المفتى ص341 تحقيق د. عبد القادر حسين ط دار النصر للطباعة الإسلامية 1993م  
(4) الإيضاح ص 302

(5) المنهاج الواضح في البلاغة-حامد عوني ص 150 ط مكتبة الجامعة الأزهرية ط 1972 م

ولى أدلة على ذلك : الدليل الأول " لغوى " :

وهو أن دلالة الفعلين اللغوية ؛ 172 حول " الظنّ من غير يقين " (2) وهذه الدلالة بعينها هي معنى التشبيه ، أليس التشبيه يعنى اشتراكا وافترقا ، يقول قدامة بن



جعفر في تحديد مفهوم التشبيه " يقع بين شيئين ، بينهما اشتراك في معانٍ تعمُّهما يوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها " (2) وهذا المعنى يفيد الفعلان إفادتهما الظنُّ وهو " إدراك العقل الشئ مع ترجيحه " (3) دليل على سبق الوهم إلى حاسةٍ من الحواس بإقامة شئٍ مقام غيره ابتداءً قبل التحقق ، وما ذلك إلا بسبب شبه بين ، وهذا هو الشق الأول من معنى التشبيه ، وكون هذا الظن من غير يقين دليل على وجود بعض الاختلاف بين المشبه والمشبه به ، وهذا هو الشق الثاني من معنى التشبيه .

وأرى أن الفعلين يوحيان بقوة الشبه بين الطرفين ، ؛ لأنَّ ظنَّك الشئ غيره - وإن كان من غير ترجيح - يدل على قرب الهيئتين ، فكأنَّهما آداتا تشبيه مشفوعتان بالدليل على وجود الشبه وقوته ، وهو خلط الحواس بين المشبه والمشبه به ابتداءً .  
الدليل الثاني : إقامة حسب مقام كأنَّ في القرآن الكريم قال تعالى :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (4)

وقال في سورة الإنسان ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴾ (5)

وليس أدل على بلاغة حسب من استخدامها في القرآن الكريم للدلالة على التشبيه .  
الدليل الثالث " عرفى " :

وهو أنه جرى عرف الناس على أنهم إذا رأوا شخصا من بعيد يشبه آخر أو شيئا يشبه آخر فإنهم يؤكِّدون على أمر المشابهة التي أدت إلى الخلط بينهما قائلين " حسبته فلان - أو حسبته كذا .

(1) المعجم الوسيط مادة حسب ص 171 ، خيل ص 266 (2) نقد الشعر قدامه من جعفر ص 109 ، ت كمال مصطفى ط الخانجي القاهرة ط الثالثة د.ت. ،

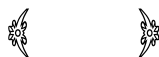
(3) المعجم الوسيط مادة ظنَّ ص 578

(4) سورة الطور آية 24 (5) الإنسان آية 19

الدليل الرابع : دليل استعمالى :

173

وهو أنَّ الشعراء يستخدمون هذين الفعلين كثيرا في مقام المدح ليؤكِّدوا قوَّة الشبه بين طرفي التشبيه يقولون بشار:



وكان تحت لسانها      هاروت ينفث فيه سحرا  
وتخال ما جمعت عليه      ثيابها ذهباً وعطرا

فكيف يكون مادحاً متغزلاً ويأتى بفعلٍ يدلُّ على بعد الشبه بين الطرفين !!!  
، وقد عدَّ ابن أبي الأصبع هذه الأفعال من أدوات التشبيه، حيث ذكر أنَّ من أنواع التشبيه " ما تكون أدواته أفعال الظن واليقين كقولك حسبت زيدا في جرأته الأسد ، وعمرا في جوده الغمام - والجارية في حسنها القمر - ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى  
:      وَتَحَسَّبُهُمْ أَيَقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ

وأرى أنه يجب التفرقة بين ما يمكن أن يسبق إليه الوهم ويظنه الإنسان غيره حقيقة ، وبين الأمثلة التي للمبالغة والتي ذكرها ابن أبي الأصبع ما عدا آية الكهف - فإنى أرى أنَّ دلالة الفعلين على التشبيه تتوقف على قوة الشبه بين الطرفين حقيقة ، لا ادعاء ومبالغة .

### ثانيا : أدوات التشبيه من حيث الإرسال والتأكيد

جاءت أغلب التشبيهات مرسله ذكرت فيها أداة التشبيه ولكن هناك بعض المقامات التي تقتضى التأكيد على قوة الشبه بين الطرفين فتحذف أداة التشبيه ؛ لأنَّ حذف الأداة يوحى باتحاد الطرفين، مثل مقام المدح يقول حسان في مدح النبي ﷺ (2)

من الذى كان نورا يستضاء به      مبارك الأمر ذا حزم وإرشاد  
ويقول (3)

فنشهد أنك عبد المليك      أرسلت نورا بدين قيم

(1) تحرير التحرير ج 1 ص 164 (1) ديوان بشَّار بن برد/ت-محمد الطاهر بن عاشور 70/4-طالشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر -1976م  
(2) ديوانه ص139 (3) ديوانه ص 136 قصيدة 32

### ثالثاً : له الشبه 174

أولا : من حيث الإجمال والتفصيل :

أغلب تشبيهات شعراء الرسول ﷺ جملة ولعل السبب في شيوع هذه الظاهرة في الشعر العربي بصفة عامة ، سلامة الفطرة اللغوية لدى المخاطبين فيحذف وجه الشبه ثقة بأن المخاطب سيعرفه ، كما أن الشاعر قد يحذف وجه التشبه " ليذهب الخيال والفكر كل مذهب في تحديد وجه الشبه على أساس تداعي المعاني والإيحاءات والظلال ويغلب هذا في القرآن الكريم والحديث وجيد الشعر " (1) ولعل سبب مجئ أغلب تشبيهات شعراء الرسول ﷺ جملة تأثرهم بالقرآن الكريم ، لأنه لم يذكر في القرآن الكريم وجه الشبه مطلقاً ، كما أن ذكر الوجه يحدد وجه الشبه ، أما حذفه فيوحي باشتراك الطرفين في كل الصفات ، كما أن ذكر الوجه يتعارض مع الإيجاز الذي هو عين البلاغة وقد جاء ذكر الوجه غالباً في مواطن المدح والذم ؛ لأن ذكره في المدح يدعو الممدوح إلى السرور ، وذكره في الذم آلم وأوجع وأبلغ في التحقير والتنكيل ، فمثال ذكره في الذم قول حسان (2)

أزب (3) أصلع سفسير له ذاب (4) ◆ كالقرد يعجم (5) وسط المجلس الحمرا

وقوله (6)

فقيم يقول يشتمنى لنيم ◆ كخنزير تمرغ فى رماد

ومثال المدح قول كعب بن مالك (7)

يمضى ويذمرنا عن غير معصية ◆ كأنه البدر لم يطبع على الكذب

(1) فى رحاب البيان العربى أ.د / صباح دراز .أ.د / أحمد ناجى ص 63

(2) ديوان حسان ص342 قصيدة (235) (3) زب : زيبا كان كثير الشعر ، الوسيط مادة (زب)

(4) ذاب : ذاب فى السير أسرع الوسيط مادة (ذاب).

(5) يعجم : عجم فلان عجمة كان فى لسانه لكنة الوسيط مادة (عجم).

(6) ديوانه ص 324 قصيدة (219)

(7) ديوانه ص 105

ثانيا : من حيث قرب الوجه أو 175 :

تنوعت تشبيهات شعراء الرسول ﷺ من حيث قرب وجه الشبه وبعده فهناك



تشبيهات شائعة الاستخدام قريبة الوجه مثل تشبيه الحرب بالرحى في قول كعب بن مالك<sup>(1)</sup>

لعمرك لقد حكت رحى الحرب بعدما ◆ أطارت نؤيا قبل شرقا ومغربا

فتشبيه الحرب بالرحى شائع متداول قريب الوجه . وكتشبيه الشجاع بالأسد كقول حسان<sup>(2)</sup>

ليوث إذا غضبوا فى الحروب ◆ لا ينكلون ولكن قدم

وقد يكون الوجه بعيدا طريفا كتشبيه السيوف بالمقاييس فى الاحراق فقد جرت عادة الشعراء على تشبيهها بالمقاييس أو بالنار فى اللمعان أما كعب فقد جاء بمعنى آخر طريف هو من مستتبعات ومستحدثات العقيدة الإسلامية . يقول كعب<sup>(3)</sup>

وقد عرّيت بيض خفاف كأنها ◆ مقابيس يزهيها لعينيك شاهر

ومثل وجه الشبه فى قول حسان<sup>(4)</sup>

بطعن كإيزاغ المخاض\* رشاشه ◆ وضرب يزيل الهام من كل مفرق

فقد اعتاد الشعراء على تشبيه سيلان الدم من الجروح بسيلان الماء من المزادة أما حسان فقد جاء بمشبه به جديد ووجه شبه أكثر جدّة ودقة فقد جمع فى الوجه بين كون الدماء رخيصة ، وكونها نجسة :<sup>(5)</sup> وهو وجه لطيف بعيد يحتاج إلى شئ من التأمل لاستخراجه .

(1) ديوانه ص 176 (2) ديوانه ص 138 (3) ديوانه ص 200

(4) ديوانه ص 298 (5) راجع ص 211 من هذا البحث

\*إيزاغ المخاض: دفعها بولها يقال أزغت به أى قذفت به

ومن الوجه البعيد أيضا قول كعب بن 176 فى مدح الرسول ﷺ<sup>(1)</sup>

يمضى ويذمرنا عن غير معصية ◆ كأنه البدر لم يطبع على الكذب

إنَّ التشبيه بالبدر في الحسن مألوف متداول أمَّا التشبيه به في الصدق فوجه دقيق يحتاج إلى فكر وروية وهو أنَّ النبي ﷺ لا يتخلف عن موعد يَرجى فيه حضوره كالبدر يسير بنظام ومواعيد دقيقة لا يتخلف عنها أبداً . (2)

وقد لاحظتُ أنَّ كثيراً من التشبيهات عن شعراء الرسول ﷺ بل أغلبها يحتاج إلى تأملٍ وتدقيق نظر لاستخراج وجه الشَّبه ، وليس هذا بسبب غموضٍ أو تعقيدٍ وإنما بسبب عمق الصورة ودقَّة المعنى كما سبق بيان ذلك في التحليلات .

---

(2) راجع ص 55 من هذا البحث /

(1) ديوانه ص 175

## الخصائص 177 نية للاستعارة



التصوير الاستعاري أرقى من التشبيه ؛ لأنَّ " الإحساس بالمشابهة بلغ مداه في الاستعارة وارتقى إلى هذه الحالة التي يدخل فيها المشبه في جنس المشبه به ويصير فرداً من أفرادهِ " (1) وتتفاوت الاستعارات في وظيفتها وبلاغتها " فكلُّ لون منها يتَّجه اتجاهاً في التَّصوير ... فالقصد في الاستعارة التَّبعية إلى مصادر الأفعال والمشتقات ، هي التي يجرى فيها التصوير ويُلاحظ التشبيه أصلاً ، والقصد في الاستعارة المكنية إلى المتعلقات ، فهي التي يجرى فيها التصوير أصلاً ً ويُلاحظ التشبيه أساساً " (2) وبناء على ذلك فإنَّ المقام هو الذي يستدعى ويتطلَّب نوعاً معيناً من أنواع الاستعارة دون غيره .

ومن خلال تتبُّع الاستعارات عند الشعراء الثلاثة لاحظتُ أن الاستعارات التصريحيَّة التبعية هي الأكثر استخداماً ، تليها الاستعارات التصريحية الأصلية ثم الاستعارات المكنية . ، وقد لاحظت ما يأتي :

أولاً : أنَّ السَّبب في كثرة الاستعارات التبعية هو أنَّها نتيجة طبيعية لكثرة الأفعال التي ترصد سير المعارك والغدوَّ والروح والضراب والفرار والمطاردة وبذلك تتناسب مع أحداث المعارك ، فالخيل عند حسان " (3)

- يبارين الأسنة مصغياتِ ◆ على أكتافها الأسلُ الظمَاءُ
- والفجيعة عند كعب يصورها بالهدِّ (4)
- ولقد هُدِدْتُ لفقد حمزة هَدَّةً ◆ ظلَّت بناتُ الجوفِ منها ترعدُ

(1) التصوير البياني د/ محمد أبو موسى ص 171 ط مكتبة وهبة 1400/1980  
(2) بين المكنية والتبعية والمجاز المرسل / د : بسيوني عبد الفتاح فيود ص 124 ط الحسين الإسلامية ط  
أولى 1993/1413  
(3) ديوانه ص 73  
(4) ديوانه ص 189

ثانياً : أنَّ الاستعارة المكنية عند شعمر 178 سول ﷺ جاء أغلبها إن لم تكن كلها في تصوير الحرب والموت فالحرب عن كعب حيوانٌ مفترسٌ أوناقةٌ عضوضٌ :



ولا نحن من أظفارها نتوجع (1)  
إنّ أخوا الحرب أصدى اللون مشعول (2)

بنو الحرب إن نظفّر فلنا بفحش  
فلا تمنّوا لقاح الحرب واقتعدوا

والموت عنده شراب يقول كعب (3)

نشارعهم حوض المنايا ونشرع

نعاورهم تجرى المنية بيننا

ويقول أيضا (4)

كؤوس المنايا بحدّ الظبينا

تعاور أيماهم بينهم

وحسان هو الآخر يرى الحرب ناراً يقول (5)

على الأعداء في وهج الحروب

أمام محمّد قد آزروه

ويقول (6)

ونحن حين تلظى نارها سغر

ولا يهرّ جناب الحرب مجلسنا

ويراها ناقة شرسة فيقول (7)

إذا لقحت حرباً وأعصل نايها

فلا تأمنّ يا ابن أمّ مجالد

ولعل اختصاص الاستعارة المكنية عندهم بالحرب والموت لأنها تعطي للجماذ مزيداً من التشخيص والفاعلية ، ففرق بين أن يقول الشاعر نزلنا ناراً وبين أن يقول وهج الحرب ، فكأنها نارٌ لها وهجٌ حقيقةً .

(3) ديوانه ص 225

(2) ديوانه ص 255

(1) ديوانه ص 228

(6) ديوانه ص 207

(5) ديوانه ص 135

(4) ديوانه ص 276

(7) ديوانه ص 331

وأرى أنّ القول بأنّ الاستعارة الـ<sup>179</sup> ترى أولاً في المصادر ثمّ في الأفعال - أرى أنّ هذا الأمر يتعارض مع البلاغة ؛ فالشاعر عندما يعتمد إلى الاستعارة الأصلية فإنه

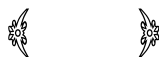


يرى أنّها هي المعبرة عما يريد أبلغ تعبير وعندما يعمد إلى التبعية فإنّه يرى أنّها هي المحقّقة لغرضه ، ولا يُجرى استعارته أولاً في المصادر ثم تنسحب على الفعل أو الاسم المشتق " ألا يُعدُّ هذا تعقيداً في تحليل الاستعارة بلا فائدة ؟ وإذا كان لعلماء اللغة - أو النحو والصرف بخاصة - منطقتهم في هذا التقسيم ، بحكم طبيعة الدراسة عندهم فإنّ لا أرى أي منطق لعلماء البلاغة فيما ذهبوا إليه " (1)

---

(1) التعبير البياني د/ شفيق السيد ط دار الفكر العربي بالقاهرة ص115

الخصائص الفصّية للمجاز المرسل



المجاز المرسل " يعبر عن طريقة رؤية الأشياء والإحساس بها " (1) وأكثر علاقاته وروداً عند شعراء الرسول ﷺ السببيّة " إشارة إلى فاعلية السبب وقوّته ، واستخدام المجاز المرسل قليلاً جداً إذا ما قورن بالتشبيه أو الاستعارة ، ويستخدم المتكلم المجاز المرسل " لإثارة الانفعالات المناسبة في نفس المتلقّي ، ويستخدم للوصول إلى ذلك ، تلك الصورة الفنية من التعبير المجازي التي تكون أكثر تمكّناً ، وقدرةً على إثارة الانفعالات ، وقابليّة لجعل موقف المتلقى منها ملائماً " (2) ومع هذه القيمة الفنيّة للمجاز المرسل ، نجد أنّ استخدامه في شعر شعراء الرسول ﷺ قليل جداً إذا ما قورن بالتشبيه أو الاستعارة مع ما له من قدرة على نقل المشاعر والأحاسيس وتعميق إحساس المتلقى بالمعنى ، ومع قلّة استخدامه إلا أنّ شواهدة في شعرهم تدلُّ على بلاغته فحسان بن ثابت يقول في يوم أحد (3)

وعلونا يوم بدرٍ بالتّقى طاعة الله وتصديق الرّسل

حيث أطلق السبب " التّقى " وأراد المسبّب وهو قوتهم في الحق وذلك لشدة إحساسه بالسبب وشدة إعجابه به ، وحتى يلفت نظر أعدائهم إلى هذه الفاعلية الشديدة لهذا السبب ، والتي جعلتهم يتفوقون على أعدائهم مع قتلهم ، كما أنّه يعمّق إحساس المسلمين بفاعلية هذا السبب يوم بدر وعدم فاعليته يوم أحد ، بسبب المخالفة ، انظر كيف حمل المجاز كل هذه المعاني والإيحاءات .

(1) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته د/ صلاح فضل ص 205 نقلاً عن الصورة البيانيّة د/ محمود بن ص 65

(2) الأصول د/ تمام حسان ص 371 . نقلاً عن الصورة البيانيّة د/ محمود بن ص 65

(3) ديوانه ص 95

وقال حسان يو أحد أيضا (1)

وموطن المجاز في قوله "بكفّ" والعلاقة الجزئية ، وهو هنا يعمّق الإحساس بمشاركة القائد ووجوده ، فهو ليس بمنأى عن القتال . وهكذا نرى كيف ينفذ المجاز إلى الوجدان مباشرة ويمسّ شغاف القلب ؛ ولذلك كان من الأساليب المؤثرة التي استخدمها القرآن الكريم في مواقف التنفير والتخويف الشديدة القوية انظر إلى قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَتَمَنَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا  
وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ (2)

كيف خيّل لهذا المعتدي على هؤلاء الضعفاء أنّه إنّما يأكل ناراً حقيقيةً . ولعلّ السبب في قلّة أسلوب المجاز المرسل عند شعراء الرسول ﷺ هو شيوع الطابع الملحمي وسيطرته على أشعار تلك الفترة ، حيث إنّ المجال ضيقٌ أمام مخاطبة الوجدان ؛ لأنّ أغلب هذا الشعر جاء في مقامات الحرب ، إمّا قبلها للتشجيع على خوضها ، وإمّا بعدها واصفا بطولاتها ، وإمّا في مقامات الهجاء والتراشق بالكلمات قبل الألسنة أو بعدها تعبيراً بالهزيمة ، أو تنفيساً عن مرارتها .

فكل هذه المقامات ( غير الإقناعية ) لا سبيل فيها إلى النفاذ إلى القلوب بقدر ما يُقصد فيها الوصول إلى العقول من الطريق الأسرع المباشر الذي يحقق الإيلام والإيجاع بسرعة ، وهو طريق التشبيه والاستعارة اللذين يتميزان بالسرعة في إدراكهما وإيجاءتهما ومغزاهما من قبل المتلقي أسرع من إدراكه للمجاز المرسل " فبالرغم من دلالته على الإحساس بدقّة إلا أننا لا نلمس فيه الانحراف بالسهولة نفسها التي ندرك بها الانحراف في الاستعارة " (3)

(2) سورة النساء الآية (10)

(1) ديوانه ص 99

(3) الصورة البيانية دراسة تطبيقية د / محمود محمد بن ص 101

## الخصائص 182 نمية للكناية

الكناية هي فنٌّ من فنون البيان فيها يستتر المعنى المراد بها فلا يصل إليه السامع إلا بعد زويٍّ َ لِأَنَّهَا تمتاز بدقّةٍ وغموضٍ فهي " أسلوب مصوّر يثري التعبير لأنّه لا يدل على المراد مباشرةً ، وإنّما يشير ويوميء ويترك للمتلقّي أن يستشفّ منه بقدر ما تمكّنه ملكاته ويسعفه به حسه (1) " وهي درجاتٌ بحسب الوسائط بين المكّنّي به والمكّنّي عنه (2) ومع حاجتها إلى تدقيق ورويّة إلا أنّها تدرك بسهولة إذا ما قُورنت بالمجاز المرسل ؛ لأنّ المستمع يدرك موطنها ولكن الفكر يكون في إدراك المكّنّي عنه ، أمّا المجاز المرسل فإنّ إدراك موقعه وتحديدّه غير يسير لأنّه ليس غريباً عن السّياق اللغوي كما سبق أن عرفنا " (3) .

وقد كثرت الكنايات في شعر شعراء الرسول ﷺ ، وقد جاءت الكناية عن صفة في المرتبة الأولى تليها الكناية عن نسبة ثم الكناية عن موصوف ، ولعل سبب كثرة الكنايات عن صفة في شعرهم هو نفس سبب قلة المجاز المرسل وهو غلبة الطابع الحربي الملحمي على شعرهم ، فالشعراء الثلاثة خرجوا من الحروب والأيام الجاهلية إلى الحروب والأيام الإسلامية ، فأكثر شعرهم مستولد من رحم واحدة رحم الحرب ، فراحوا يتفنّنون في الكناية عن صفاتهم من عزة وكرم وشجاعة ونجدة وأصالة وطول وقوة وكرم الأصل والرفعة والخبرة بالحرب والعفة والشرف وحسن الخلق ... الخ

---

(1) مستتبعات التراكيب د/عبد الغني بركة ص142 ط دار الطباعة المحمدية ط أولى 1409هـ / 1989 م

(2) شروح التلخيص 264 / 4 .

(3) الصورة البيانية د محمود محمد بن ص 101.

كما كُتبت عن صفات أعدائهم من جبنٍ وفرارٍ وضعة الأصل وضعف ولؤم و خسة وقبح وسوء خلق ولعل سبب قاً 183 ية عن موصوف ترجع إلى أنّ المكّنّي عنه





إمّا ممدوح فيذكر صراحة تلذذا بذكره ، وإما مهجو فيذكر إهانةً وتحقيراً وإجراءً للهجاء على اسمه صراحة ففي هذين المقامين يكون التصريح أبلغ من الكناية .

فعلى سبيل المثال عندما يتحدث حسّان عن الرسول ﷺ يقول (1)

بكف رسول الله حتى تَلَقَّت      ◆      على القوم ممّا قد يثرن نقوع

وعندما يهجو (2) يقول :

إن كنتِ كاذبة الذي حدّثنا      ◆      فنجوت منجى الحارث بن هشام

وعندما تستخدم الكناية عن موصوف تستخدم للتذكرة بفضل الموصوف وذكرها وعدّها لأفضاله وصفاته الحسنة ، وخاصةً في مقامات الرثاء للتذكرة بالأفضال ، واستمالة القلوب لتعميق الحزن عليه يقول كعب بن مالك في رثاء عثمان رضي الله عنه (3)

وقوّم أمر المسلمين إمامهم      ◆      يزع السفية ويقمع العدوانا

---

(3) ديوانه ص 285

(2) ديوانه ص 108

(1) ديوانه ص 99



# موازنات

185



# أولا

## تصوير الأرق والليل

يقول حسان بن ثابت: (1)

186

تَهْمُ هَوَادِي نَجْمِهِ أَنْ تَصَوِّبَا  
بِهَا مَا أُرِيدُ النَّوْمَ حَتَّى تَغِيْبَا  
تُرَاقِبُ عَيْنِي آخِرَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا  
مَعَ الصُّبْحِ تَتْلُوهَا زَوَاجِفُ لُغْبَا  
وَصَرَفِ النَّوَى مِنْ أَنْ تَشِثَّ وَتَشْعَبَا

تَطَّوَلَ بِالْحَمَّانِ لَيْلِي فَلَمْ تَكُنْ  
أَبِيْتُ أَرَاعِيهَا كَأَنِّي مُوَكَّلٌ  
إِذَا غَارَ مِنْهَا كَوَكْبٌ بَعْدَ كَوَكْبِ  
غَوَائِرُ تَتْرَى مِنْ نُجُومٍ تَخَالُهَا  
أَخَافُ فُجَاءَاتِ الْفِرَاقِ بِبِعْتَةِ



ويقول كعب بن مالك : (2)

سحاً كما وكف الطِّبَابِ الْمُخْضَلِ  
طَوْرًا أَحْنُ وَتَارَةً أَتَمْلُمُ  
بِبِنَاتِ نَعِشٍ وَالسُّمَّاكِ مُوَكَّلُ  
مَمَّا تَأْوِبُنِي شَهَابٌ مُدْخَلُ

نَامَ الْعَيُونُ وَدَمَعُ عَيْنِكَ يَهْمَلُ  
فِي لَيْلَةٍ وَرَدْتُ عَلَى هُمُومِهَا  
وَاعْتَادَنِي حَزْنٌ فَبِتُّ كَأَنِّي  
وَكَأَنَّما بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا  
ويقول النابغة الذبياني : (3)

وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب  
وليس الذي يرعى النجوم بأيب  
تضاعف فيه الحزن من كل جانب

كَلِّينِي لَهُمَّ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبِ  
تَطَاوَلَ حَتَّى قَلْتُ لَيْسَ بِمَنْقُضِ  
بِصَدْرِ أَرَاخِ اللَّيْلِ عَازِبِ هَمِّهِ

ويقول امرؤ القيس : (4)

على بأنواع الهموم ليبتلي  
وأردف أعجازاً وناءً بكلكل  
بصبح وما الإصباح منك بأمثل  
بكل مغار القتل شددت بيدل  
بأمراس كتان إلى صم جندل

وليلٍ كموج البحر أرخى سُذُولَهُ  
فَقُلْتُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُؤْلِهِ  
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ  
فِيأَلْكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ  
كَأَنَّ الثَّرِيَّا عَلَّقَتْ فِي مُصَامِّهَا

(1) ديوانه ص 148 (2) ديوانه ص 260 .

(3) ديوانه ص 40 ط دار المعارف مصر 1977 م (4) ديوانه ص 18، 19 ت تحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم ط خامسة دار المعارف د ت .

ويقول كشاجم : (1)

فلم اغتمض فيه ولا الليل غمضاً  
لتعلم طال الليل أم لي تعرضاً  
يقاس بشبر كيف يرجى له

187

ألا ربَّ ليلٍ بتُّ أرعى نجومه  
كأنَّ الثريا راحة تشبر الدجى  
فأعجب بليل بين شرقٍ ومغربٍ

لقد ركز حسان في أبياته على تصوير طول الليل ، فالصورة الكلية في

الآيات " أرق بسبب قلقٍ أو خوف " ، ولم يشر أو يفصل الهموم والأحزان أو

الأشواق التي جعلته مؤرّقا ، واكتفى بالاستدلال على طول ليله بتصوير بطء حركة النجوم وسهره يراقبها بالراعي الذي يرعى ماشيةً لا تتحول عيناه عنها حتى تبيت في أماكنها ، وقد أشار إلى استمرار أرقه واستغراقه الليل بقوله:

إذا غار منها كوكب بعد كوكب      تراقب عيني آخر الليل كوكبا

وبالبيت الأخير الذي يشبه فيه النجوم بإبل بطيئة أنعبها السير ، إذن فصورة حسّان تدل على شيءٍ واحدٍ وهو أنّه لم يغمض له جفن طوال هذا الليل الذي بات يراقب نجومه ، وكان أرقه بسبب خوفه من رحيل محبوبته ؛ لذلك نراه نشيطاً يصف كلَّ حركةٍ وسكنة لليل .

أمّا صورة كعب فقد جاء تصوير الأحران في بؤرتها ، وذلك لما كان يقاسيه من الفجيعة والحزن على شهداء مؤته ؛ ولذلك نجد أكثر ألفاظ الأبيات متعلقة بالحزن والألم ( عين - همومها - أحن - أتململ - اعتادني حزن - شهاب مدخل ) .

إذن فالعاطفة الحزينة هي المسيطرة علالأبيات ؛ لذلك فإن تصويره لأرقه وسهرة وطول الليل وبطء نجومه لم يكن مشهداً أصلياً ؛ لذلك نجد أنّه لم يفصّل في مراقبة النجوم ولم يحاول أن يجد شبها لبطء النجوم في حركتها ، ؛ لأنّ الحزون المكروب يثقله الهمُّ بسبب حزنه ، إلا أنّ الصّورة التي صوّر بها أرقه وسهره بسبب حزنه - على اختصارها وخلوّها من التفصيل - راعى فيها حالته النفسية

---

(1) ديوانه ص 453 تحقيق د / النبوي شعلان ط أولى ط الخانجي - القاهرة 1417هـ / 1997 م.

حيث صوّر أرقه وسهره ونظره إلى<sup>188</sup> سماء بمن هو موكل برعاية هذين النجمين فقط " بنات نعش والسُّماك "، وقد يُقال أنّ ثبات عينيه على هذين النجمين فقط يتنافى مع الأرق والسهر ؛ لأنّ المؤرّق تتحرك كل أجزائه حركةً قلقاً ولا يثبت نظره على شيء معين .

أقول إنّ حالة كعب النفسية وحزنه العميق يناسبه تماما هذا الثبات وأراه أحسن وأجاد

عندما حبس نظره على هذين النجمين فقط ، ولم يثبت لهما حركةً ومراقبةً للنجوم وأفولها واحداً بعد الآخر ؛ لأنَّ الحزين لا يكاد يصرف عينيه عن الشيء الذي ينظر إليه ، لأنَّه يكون خائر القوى مهزوم النفس ، أما المؤرَّق بسبب الحب أو الحزن الخفيف الذي لم يصل إلى درجة أحزان كعب فإنَّه مع أرقه يكون لديه بعض النَّشاط الذي يجعله يراقب النجوم ما غاب منها وما لم يغب ويصف بطء حركتها ويشبهها بأقرب نظير ، أما النابغة فإنَّ سبب أرقه أقل من الأسباب التي أرقت كعباً وهو ما عبَّر عنه بقوله " همُّ " فالهمُّ دون الحزن ؛ لذلك نجد أنَّ الحديث عن الهمِّ وعن طول الليل في أبيات النابغة يكاد يكون متوازناً ، ففي الشطر الأول من البيت الأول يذكر همُّه وفي الشطر الثاني يذكر بطء الكواكب وفي البيت الثاني كله يتحدث عن الليل وبطء كواكبه والبيت الثالث يتحدث عن الهموم .

وصورة النابغة مع اشتراكها مع صورة حسان في الرعي إلا أن هناك فارقا دقيقا بين الصورتين فالنابغة لم يجعل من نفسه راعيا للنجوم وإنما أثبتتها لآخر غير معلوم ليؤكد يأسه من انتهاء الليل، أمَّا حسان فكان غرضه أن يؤكد أرقه وسهره طوال الليل فلذلك أسند الرعي إلى نفسه . هذا الفارق من حيث الغرض ، أما الفروق الجمالية فإن صورة النابغة تعتبر من الخيال الرائع فقوله في وصف الليل :

**تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ ♦ وليس الذي يرعى النجوم بأيب**

"فقد صور النجوم بصورة الإبل ترح في أديم السماء وصوّر الصبح بالراعي الغائب الذي يخشى ألا يتوب " (1) وقوله : 189

**بصدرٍ أراح الليل عازب همه ♦ تضاعف فيه الحزن من كل جانب**

صوّر الهموم بصورة إبلٍ تسرح نهاراً ، ثم تراح ليلاً إلى الحظيرة وكذلك يشغل المرء عن همومه بالنهار ، فإذا انقطعت شواغله بالليل دبَّت الهموم إلى صدره فاحتلته من جديد " (2) ولا يخفى ما في هذه الأبيات من خيال رائع مناسب لغرض الشاعر كما سبق أن

أوضحت .

ثم يأتي الإبداع في أبيات امرئ القيس ، وليس سبب الإبداع أنه عبر عن المعنى الواحد ( طول الليل ) بطرق مختلفة في قصيدة واحدة وهو ما يسميه العلماء التصرف أو الاقتدار " وهو أن يأتي الشاعر إلى معنى فيبرزه في عدة صور " (3) وإنما كان مناط الإبداع في أن وصف مراحل الليل وصورها بدقة بما يناسب حالته النفسية في كل مرحلة وبما يناسب حقيقة الهموم والأحزان في كل مرحلة ، فأول الليل شبَّهه بموج البحر ، وأرى أن الوجه أن تتابع الهموم والأحزان عليه مع دخول الليل هم يتبعه هم وحزن يعقبه تذكر حزن آخر ، يشبه تتابع موج البحر إلى الشاطئ وهذا الوجه فيه معنى الكثرة والشدة ، هكذا وصف توارد الهموم والأحزان عليه مع قدوم الليل ، ثم انتقل إلى تصوير حالته النفسية في قوله " أرخى سدوله عليّ " فإن هذا الشاعر استعار لظلمة الليل السدول المرخاة لما بين المستعار والمستعار له من اجتماعهما في منع الأبصار من الأبصار " (4) وأرى أن ليس هذا التناسب فحسب هو سر جمال الاستعارة ولكن ، جمالها يكمن في أن نقل إلينا شعوره بوحدته فمع أن هذا الليل يعمُّ الدنيا إلا أنه جعلنا نشعر بأن الليل أرخى ستائره عليه هو وحده ؛ ليجعله في حجرة صغيرة بقوله " أرخى سدوله علي " ، حيث إن الجار والمجرور جعلنا نتخيله قد حبس وحده في حجرة صغيرة من صنع الليل .

(1) الموازنة بين الشعراء د / ذكي مبارك ص 15 .

(2) المرجع السابق ص 106 .

(3) تحرير التحبير ص 582 ج 4 ت . د / حفني شرف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر 1416 هـ / 1995 م .

(4) المرجع السابق 100/1 .

وهكذا يشعر كل مهموم مكروب 190 حين في كل شيء وبعد أن وصف مرحلة أول الليل بدقة وإبداع انتقل إلى وصف وسط الليل وهي المرحلة الثقيلة على نفس الإنسان لأنه صار على بعد عهد بالنهار ومنأى من الصباح ، فتكون هذه المرحلة ثقيلة جداً على المهموم المؤرَّق ؛ لذلك جاء بـ " لما " والتي توحى بطول المدة ، ثم صور هذه المرحلة الثقيلة عليه " مرحلة وسط الليل " بما يناسب ثقلها، حيث صورها بجمل تراخي وتمدد متشاقلاً في صور استعارية متكاملة غاية في البراعة ، وقد جعل الأمدي هذه الاستعارات من أجمل الاستعارات قيمة لأنها " أشد ملاءمة لما استعيرت له " (1) ثم تأتي المرحلة التي تلي مرحلة



وسط الليل ، وقد ضجر هذا المؤرِّق المهموم بالليل ، ونفذ صبره وضاق صدره ، فجعل ينظر إلى نجوم السماء فيراها لا تتحرَّك ؛ لأنه يستعجل حركتها فيشتبهها في بطء حركتها وكأنها لا تبرح مكانها بشيءٍ تُبَّتْ بجبل يذبل بأقوى الحبال وأمتنها ، ويلاحظ علو لهجة الضجر والتأفف في قوله " فيا لك من ليلٍ !! " فهذه النبرة التعجبية تحمل في ثناياها زفرات تأفف وضجر وضيق ملتهب ، وهكذا رأينا كيف تصاعد امرؤ القيس بصورة تبعاً لحالته النفسية في كل مرحلة من مراحل الليل في إبداع واقتدار ، وقد انتقد ابن رشيق هذين البيتين اللذين يصف فيهما امرؤ القيس بطء النجوم، حيث يقول :

فيا لك من ليل كأن نجومه  
بكل مغار الفتل شدت بيذبل  
كأن الثريا علقت في مصامها  
بأمراس كتان إلى صمّ جندل

يقول إنَّ في الأبيات " تكراراً للمعاني دون الألفاظ فالبيت الأول في رأيه مغنٍ عن الثاني ، والثاني يغني عن الأول ومعناهما واحد ، ؛ لأنَّ النجوم تشتمل على الثريا ، كما أن يذبل يشتمل على صمّ الجندل ، وقوله شدَّت مثل قوله ، علّقت بأمراس كتان " (2)

(1) الموازنة لأبي القاسم الحسن بن بشر -ت / السيد أحمد صقر ص 214 ط / دار المعارف - ط - رابعة ديت .

(1) العمدة لابن رشيق نقلا عن / أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء د / شفيق السيد ط دار الفكر العربي ص 8 ، 9 .

وأرى أن ليس المعنى واحداً وأنَّ<sup>191</sup> هـ الثريا بالذكر بعد ذكرها في عموم لفظ النجوم لتخيله فيها معنى القوة وأنه إذا كان هذا شأن النجوم المفردة أن تثبت وكأنها مثبتة بجبال قويّة في يذبل ، فكان من شأن الثريا وهي مجموعة من النجوم أن تقاوم وتسرع في حركتها ، فعاد وعلل ثباتها هي الأخرى بأنها تثبتت وكأنها شدّت بأدوات أشدّ قوةً تتناسب مع قوّتها وكثرتها ، وعلى أيّ حال فإنّ الصورة مناسبة تماماً لبطء حركة النجوم في وسط السماء لأنها عندما تقترب من وسط السماء تسير بطيئة جداً بخلاف





وقت طلوعها ووقت اقتراب أفوالها فإنها تسير بسرعة ، ثم انظر إلى هذه اللفتة الجميلة في البيت الثالث والتي تدل على استمرار همومه ليل نهار ، وهذا يجعل همومه أكثر من هموم النابغة ؛ لأن هموم النابغة تسرح نهاراً ويريحها له الليل ، وذلك في قوله :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل                      بصبح وما الإصباح منك بأمثل

انظر إلى استفتاح البيت بالألا الاستفتاحية وتكرارها ونداء الليل بأي وما التنبيه ، هذا المطلع ينم عن استسلام صادر عن نفس متعبة مستكنة ، فهو يستعطفه ويناديه في رفق قبل أن يظهر ضجره وتأففه منه في الأبيات التالية ، ثم انظر إلى الكناية الرائعة في قوله " وما الإصباح منك بأمثل " فهي كناية عن دوام همومه ليل نهار ، وليس جمالها في دلالتها على هذا المعنى فحسب وإنما لأنه شخّص من الليل إنسانا يناصبه العدا ، يحرص على إيلامه وتعذيبه ، فيقول له : هوّن عليك فهناك من هو أحرص منك على هذا الأمر ، وبذلك يتضح أنه ليس تزامم الصور البيانية في الأبيات هو معيار الجودة إلا أن تكون ملائمة متناسقة .

192

وهكذا تنم الأبيات وتعبر تعبيرا صادقا عن نفس محرقة بألوان من الشتات والضياع بسبب " رجمه من قبل أبيه وأمره بقتله ثم مقتل أبيه من بني أسد ، ووقوع مهمة الثأر عليه " (1) كل هذه الأحزان تقرّب هذه الصور المبالغ فيها من الحقيقة عند صاحبها ، وتأتي الصورة الخامسة وهي لكشاجم الرملي ، وواضح تأثره في البيت الأول بصورتى حسّان والنابغة في قوله " بت أرعى نجومه " إلا أن الصورة التخيلية الجميلة في الأبيات التالية تنم عن خيال خصب ، تأثر صاحبه بالعلوم الرياضية والمقاييس وغيرها من العلوم التي ازدهرت في العصر العباسي ، فقد لاحظ الشاعر شبيها بين الثريا وكفّ



اليد ثم تخيل أن الثريا تقيس الليل من الأفق الشرقي إلى الأفق الغربي ، ثم فرّع من هذه الصورة المتخيلة نتيجة منطقية متخيلة وهي استحالة انقضاء هذا الليل لأنه يُقاس بأداة صغيرة لا يتأتى بها قياسه ، " ولا شك أن صورة الثريا مع الليل على تلك الحال التي وصفها الشاعر صورة بديعة رائعة ، تعد من لطائف كشاجم التي تميز بها عن غيره ... فلم أعهد أحدا من الشعراء عبّر عن طول الليل بمثل هذه الصورة الفريدة " (2) .

ويرى ابن سنان الخفاجي أنه " من وضع الألفاظ موضعها ألا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور من الرسائل والخطب ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم " (3) !! ولم لا " واختيار الرجل قطعة من عقلة كما أنّ شعره قطعة من علمه " (4)

وهكذا وبمعرفة الجو النفسي والعاطفة المسيطرة يتضح الخيط الرفيع الذي يفصل بين الأساليب المتقاربة ، ؛ لذلك نادى بعض المحدثين أن يُضمَّ إلى البلاغة " مقدمة نفسية ... يعرف منها الدارس القوى الإنسانية ذات الأثر في حياة الأديب ، وكذلك الوجدان والذوق والخيال " (5)

- 
- (1) الأدب الجاهلي نصوص ودراسة د / محمد عبد المنعم خفاجي ص18 ط دار الجبل بيروت ط أولى 1991م .  
(2) الصورة التشبيهية وقيمتها البلاغية في شعر كشاجم رسالة ماجستير كلية اللغة العربية ببيتاي البارود .  
(3) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص166 ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولى 1402هـ / 1982 م  
(4) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص9 ت . علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الفكر العربي د . ت  
(5) مناهج تجديد الأدب ، أ/ أمين الخولي ص267 ، ص268 ط دار المعرفة القاهرة ط أولى 1960 م .

وبعد فقد رأينا كل واحدٍ من هؤلاء<sup>193</sup> قد أجاد في تصوير الليل وطوله بحسب حالته النفسية فجاءت الصور ملائمة تماما للتجارب ، إلا أنّ أفضل الصور الخمس كما رأينا هي صورة امرئ القيس لما فيها من الدقة وحسن التقسيم ، تليها صورة النابغة لما فيها من خيال حسن، تليها صورة كشاجم بما فيها من صورة خيالية مبتدعة غير مسبوق إليها ثم صورة سيدنا كعب ثم صورة سيدنا حسّان.





# ثانيا

## تصوير الدروع

( 195 )



# تصوير

## شكلها وهيئتها

يقول عمرو بن كلثوم (1)

196

تري فوق النّجاد لها غصونا  
رأيت لها جلوّد القوم جونا  
تصفّقها الرّيح إذا جرينا

علينا كلّ سابعه دلاص (2)  
إذا وضعت على الأبطال يوماً  
كان متونهنّ متون غدر



وقال حسان (3)

وبيضاء كالنهي (4) ففضاضة دلاص تثني على الناشر (5)

ويقول أبو العلاء المعري (6)

غديرنقت الخرصان (7) فيه نقيق علاجم والليل داج  
أضاة لا يزال الزغف (8) منها كفيلاً بالإضاعة في الدياتي

لقد كثر تشبيه الشعراء الدروع بالغدران وبالنهي وبمسطحات الماء بصفة عامة دون أي شيء آخر لامع وذلك ؛ لأن الماء والدرع يعينان الحياة ، فالماء هو الحياة ، والدرع بالنسبة للمحارب تساوى الحياة لأنهما تدفع عنه أسباب الموت من رماح وسيوف وحراب وسهام ، فهي تحفظ حياته كما يحفظها الماء ، والصورة الأولى لعمرو بن كلثوم وهي صورة تفصيلية دقيقة لكل أجزاء الدرع فقد وصف سطحها ، والفواصل بين أجزائها ولونها وتموج وانكسار الضوء عليها ، فهذه الدرع سابغة لينة وكأن خطوط مسامير الدروع التي تشك أجزاءها غصون متفرعة ، وكأن النجاد جذع لهذه الغصون ، ثم صور لونها الأبيض عن طريق الكناية في قوله " رأيت جلود القوم جونا " وهي كناية عن كثرة الدروع ، حيث بدا القوم وكأنها كسوة بيضاء لهم.

(1) شرح المعلمات السبع للزوزني ص 182 (2) الدلاص: المحكمة . (3) ديوانه ص 116 .

(4) النهي : الغدير .

(5) الناشر : وجمعه النواشر : عروق في ظاهر الكف والساعدين

(6) شروح سقط الزند ج4 تحقيق د/ طه حسين وآخرون ص 1724 ط المجلس الأعلى للثقافة ط الثالثة.

مصورة عن نسخة دار الكتب 1394هـ / 1945م .

(7) الخرصان : الأسنة .

(8) الزغف : ما فيها من اللين واللمعان .

ثم صور شدة بريقها ودقة صقلها بالصورة التشبيهية في البيت الثالث في قوله " كأن متوهن متون غدر " وجمع القيد ، قيد المشبه ( إذا جرينا ) وقيد المشبه به في آخر البيت ؛



إذن فالصورة شاملة لكل أجزاء الدرع ، وما أجمل الصورة التخيلية في البيت الثاني " ترى فوق النجاد لها غصونا " ، وما أجمل الصورة في البيت الأخير فهي صورة صوتية حركية ، والأجمل أن الذي دلَّ على الصوت والحركة في هذه الصورة كلمة واحدة ( تصفحها ) فهي ترسم الحركات المتتالية المتصادمة بسبب آثار الرياح على سطح الماء ، كما تسمعنا صوت تصادم الماء ، والأجمل من كل ذلك هو التطابق بين المشبه والمشبه به في هذه الصورة الصوتية الحركية ، فالمشَبَّه ( سطح الدرع ) له تَمَوُّجٌ ولمعانٌ إذا جرى بها حاملها بسبب انكسار الضوء عليها ، كما أنَّ لها صوتاً عندما تقابل الرياح وحاملها يجري بها ، وعندما تنكسر على شاطئها موجات السهام والسيوف .....

أما صورة حَسَّانِ فصورة بسيطة يصور فيها الدرع بالنهاي في اتساعها ويصور ليونتها بالكناية في قوله " تثني على الناشر " أما صورة أبي العلاء فهي صورة عميقة جمعت بين الصوت واللون والحركة ، فقد تخيل أبو العلاء أصوات السهام والسيوف وهي تنقر وتقرع سطح الدرع علاجماً أي ضفادع تنق في الماء ، فالصورة رائعة موحية، حيث إنَّ قوله والليل داج يوحى بأن غبار المعركة مقابل لليل في جانب المستعار ، فقد أرانا في بيت واحد اتساع درعه ولمعائها وظلمة المعركة وأسمعنا وقع السهام والسيوف عليها ، ثم يبالغ في لمعائها وبريقها بأنها كفيلة بالإضاءة في الظلمات وإضاءة الأجسام غير المشتعلة في الظلام غير ممكنة عقلاً إلا أنه أخرج كلامه على سبيل المبالغة، حيث جعلها لشدة لمعائها وصقلها تعكس أي ضوء يقع عليها وتزيده .

وأحسب صورة أبي العلاء صورة بديعة رائعة ، ففيها خيال جميل وتقريب بين المتباعدين ، فالمستعار منه ينذر حضوره إلى الذهن عند حضور المستعار له ، كما أن الجناس بين الأضاءة والإضاءة له موقعه فقد اختار لفظ الأضاءة دون النهي أو الغدير أو غيرها لما فيه من إيجاء بالإضاءة والنور ، وصورة أبي العلاء هي أجود الصور الثلاث تليها صورة عمرو بن كلثوم فمع ما فيها من تفصيل وإيجاء إلا أن صورة أبي العلاء تفوقها بالخيال الحسن .



(2)

# تصوير مسامير

## الدروع

199

يقول كعب بن مالك (1)

حذق الجنادب ذات شك موثَّق

بيضاء محكمة كأن فتيرها





يقول كنانة بن عبد يا ليل (2)

علينا دلاص من تراث محرق كلون السماء زينتها النجوم

يقول أبو العلاء (3)

أتأكل درعي أن حسبت قتيورها وقد أجديت قيس عيون جراد

الصورة الأولى لكعب بن مالك يشبه فيها إحكام مسامير الدروع والتصاقها بمتنها حتى إنَّها لتبدو للناظر إليها جزءاً منها بحدق الجنادب ، وهي صورة تركّز على شدة الإحكام (4) والصورة الثانية لكانة بن عبد يا ليل ، وألمح فيها لفتة جميلة وصورة دقيقة فطن إليها كنانة وهي أنّ مسامير الدروع مع أنّها فوق صفحة لامعة شديدة اللمعان والبريق إلا أنّها لبروزها عن سطح الدروع ولشدة لمعانها - (المسامير) - تبرق عند سقوط الضوء عليها ، وكأنّها نجوم السماء ، ولو أنّه خصّ هذه الهيئة وقبدها بوقت الصبح حين يدبر الليل ويقبل النهار لاكتملت الصورة براعة ، ولعلّه أراد ذلك ولم يصرح به في الكلام ، ؛ لأنّ هذه الهيئة لا تكون إلا في هذا الوقت عندما يظهر لون السماء الأزرق مختلطاً ببقية من سواد الليل وتظهر معه بعض النجوم قوية الضوء .

أما صورة أبي العلاء فقد استخدم الصورة التقليدية وهي تصوير مسامير الدروع بعيون الجراد ووجّها وجهة ساخرة، حيث إنّه يسخر من أخذ درعه التي كانت رهناً عنده ورفض ردّها إليه ، وهكذا نرى أن الشاعر الحاذق " حين يقع على هذه التشبيهات في شعره عليه أن يضيف إليها من فته ما يجددها به " (5) ؛ فهو يتهم بصاحبه ويعلل أخذه درعه وأكله إياها بعلّة غير حقيقة وهي أنّه حسبها عيون جراد في زمن القحط ، وصورة أبي العلاء بما فيها من ابتكار وتجديد أحسبها أفضل الصور الثلاث تليها صورة سيدنا كعب بما فيها من دقّة وتفصيل .

(1) ديوانه ص 145 (2) سيرة ابن هشام 200 (3) شروح سقط الزند 4 / 1713 .

(4) انظر ص ( 96 ) من هذا البحث (5) دراسة في البلاغة والشعر د / محمد أبو موسى ص 140



# ثالثا

## تصوير الحرب

201

يقول عمرو بن كلثوم (1)

يكونوا في اللقاء لها طحيناً  
ولهوئها (3) قضاة أجمعيناً

♦ متى ننقل إلى قوم رحانا  
يكون ثفالها (2) شرقي نجد

يقول زهير (4)

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم      ♦  
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة      ♦  
فتعركم عرك الرّحى بثقالها      ♦  
فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها      ♦

وما هو عنها بالحديث المرجّم  
وتضرّ (5) إذا ضرّيتموها فتضرّم (6)  
وتلقح كئافا ، ثم تتج فتتم  
قرىّ بالعراق من قفيز ودرهم

يقول كعب بن مالك (7)

لعمري لقد حغت رحى الحرب بعدما      ♦ أطارت لويّاً قبل شرقاً ومغرباً

إن الرّحى أداة من لوازم البيئة الصحراوية استخدمها كثير من الشعراء في تصوير الحرب لما للحرب من آثار مدمرة ، فبعدها تناثر الأشلاء وتختلط بالسيوف والرماح والخيول ، بجانب الحركة والاضطراب والدوران أثناء اشتداد المعركة " كما أن لكل ثفالاً ، فأرض المعركة ثفال لها، وجلدة الرّحى ثفالها ، وكل يتلقاضحيا " (8). كل هذا دفع الشعراء إلى تصوير الحرب بالرّحى .

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 128. (2) ثفالها : الثفال ما يبسط تحت الرّحى عند الطحن ، الوسيط مادة ( ثفل ) ص 97 .

(3) لهوتها : اللهوة ما يلقيه الطاحن من الحب في فم الرّحى بيده ، الوسيط مادة ( لها)

(4) شرح شعر زهير بن أبي سلمى تحقيق د / فخر الدين قبادة ط دار الآفاق الجديدة بيروت الجديدة ط أولى 1982 / 1402 ص 26 ، 27

(5) تضرى : ضرّياً وضرّاً وضرّاً أي اشتد ، الوسيط مادة ( ضرى ) ص 539 .

(6) تضرّم : ضرّم فلان أي جد وأسرع ، وضرّم في أكله أي أسرع الوسيط مادة ( ضرّم ) ص 539 .

(7) ديوانه ص 176

(8) التصوير البياني في معلقات العرب ص 240

والصورة الأولى التي معنا لعمرو ب 202 م ، ومعلوم أن معلقته هذه يغلب عليها الفخر ، والصورة التي معنا خير دليل على علو نبرة الفخر في هذه المعلقة ، فالشعراء

يستعرون الرحي للحرب ويشبهون الحرب بها على أساس أنها طاحنة ومدمرة للفريقين المتحاربين على حد سواء .

أمّا عمرو فقد جعل الهلاك بالحرب لمن يعاديهم فقط ، أما قومه فهم الذين يديرون الرحي لإهلاك من أرادوا دل على ذلك قوله :

متى ننقل إلى قوم رحانا ♦ يكونوا في اللقاء لها طحيننا

حيث جعل الحرب ملكا لهم بالإضافة في قوله " رحانا " ثم جعل هلاك أعدائهم قانونا حتميا، حيث جعله جوابا للشرط في قوله " يكونوا في اللقاء لها طحيننا "، حيث شبههم بالطحين تشبيها مؤكدا ، ثم كنى عن كثرة قومه وشدة قوتهم بقوله

يكونوا ثفالها شرقي نجد ♦ ولهوتها قضاة أجمعينا

حيث جعل قبيلة قضاة كلها هي ما يوضع في هذه الرحي ليطحن .  
أما أبيات زهير فأبيات صادرة من حكيم ذي خبرة بعادات العرب واهتمامهم ، فهو يستميلهم في أول الأبيات ، ويثبت لهم علما وخبرة ؛ لأنّ النفس تستثقل التحذير أو الأمر المباشر من الغير ، فإن إذا ما أثبت لمخاطبك غني عن النصيحة ، فإنك تشق إلى قلبه طريقاً وتفتح منافذ عقله للتدبر ، وتروّض نوازع الكبر في نفسه ، وهذه طريقة الحكماء الناصحين ودرب أصيل من دروبهم ، قالت الأعرابية التي نصحت ابنتها قبل عرسها " أي بنية : إنّ الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك " (1) ، وقد استعان زهير في مقدمته هذه باستعارة " ذقتم " لتجربة معاناة الحرب وويلاتها وهي استعارة تبعية بليغة لبيان شدة الحرب .

---

(1) من النصوص الجاهلية أ . د / رزق داود ص 170 ط - دار - الأزهر ط 2000

ثم ينتقل ببراعة مخوفاً لهم بطريقة غير مباشرة ، فلم يثبت هلالكا لهم بسبب الحرب بطريقة مباشرة ، وإنما أثبت لهم <sup>203</sup> بعت بالحرب على هيئة تكون عليها ذميمة على

سبيل الاستعارة التبعية في " تبعثوها " ثم أثبت لهم أيضا أنهم سيجعلونها تتجراً وتندرب على الافتراس والإهلاك وذلك باستعارة " تضرى ، ضريرتها ، تضرم " مع إهام المفعول به حتى تذهب أذهانهم في تحديده كل مذهب ، فيصلوا بأنفسهم إلى أنهم إنما جعلوها تضرى وتضرم وسيكونون هم طعاماً لها .

ثم إذا به يمس ما يهّم العربي ، بل ويهم جميع القبائل والأمم وهو البقاء فاستعار العرك الذي هو " حك الشيء حتى يمحي " <sup>(1)</sup> لاستئصالهم شيئاً فشيئاً والقضاء عليهم تدريجياً ، وهو لا يقصد أنها تطحنهم بدليل قوله " بثفاها " ولم يقل " بلهوتها " وإنما قصد أنها تمحوهم تدريجياً بأخذها منهم أعدادا كبيرة في كل مرة تُبعث فيها ، كما تحكّ الرحي الثفال مرة بعد مرة ، حتى يمور ويصبح باليا ، وهذه الصورة متفرعة من الصورة في البيت السابق فالحرب إذا ما ضرت وأسرعت وجدّت في التهامهم فإنها ستقضي عليهم وتستأصل شأفتهم ؛ ولذلك ربط بين البيتين بفاء السببية ، ويلاحظ ارتفاع لهجة التخويف في هذا البيت .

ثم إذا به يصور من ينشأ في ظلال الحروب ، وقد فقد أخواً أو أباً ، أو عزيزاً ، فيعتاد عليها كأنه تولد من رحمها وتربّي في أحضانها ، فيصير مسعر حروب داع إليها فيستعير لهذه الهيئة هيئة الناقة التي تلقح تباعاً كل عام فتلد توائم ثم ترضعهم وتفظم ، ثم يمزج الحقيقة بالصورة التي استعارها في قوله :

فتنتج لكم غلمان أشام كلهم ◆ كأحمر عاد ثم ترضع فتفظم

ولاحظ تقديم الجار والمجرور " لكم " والذي يفيد التخصيص ، ثم تقديم " أشام " على " كلهم " وذلك ؛ لأنّ كلا الطرفين يظن أنّ الحرب تضرّ الطرف الآخر ولا تضرّه هو ، وتكون شؤماً على عدوه لا عليه فقدّم ليقلب هذا الاعتقاد .

(1) تعر ككم / عرك الشيء ذلك حتى محاه / الوجيز 415 .

ثم يتحول الناصح إلى متهمك وساخر بعد أن اطمأنّ إلى تفتّح منافذ العقول والقلوب ، فيستعير تغلل لأضرار الحروب على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية ، لأنّها لا تغلل

لهم خيرا " بل تغلل لهم غلة ليست كغلة أهل العراق ففيها الموت والهلاك" (1) .  
وبعد فهذه حكم وصور مترابطة محكمة تليق برجل من رجال الحوليات ، وهكذا  
رأينا صوراً شتى يربطها زهير ببراعة فنراه يصور الحرب بالوحش الضاري ثم ينتقل بإتقان  
إلى الرحي ثم يحكم الانتقال إلى الناقة وهكذا تمتزج الألوان تحت ريشة زهير التي تعرف  
طريقها إلى الإبداع لتخرج صورة كلية متناسقة محكمة تصاعد بها تخويفا وإنذار ، أمّا  
صورة كعب فهي صورة بسيطة يشبه فيها الحرب بالرحى ، قدّم فيها المشبه به على  
المشبه وأضافه إليه مثل " ذهب الأصيل " وهي صورة تقليديه ليس فيها إبداع  
كالصورتين السابقتين ، إلا أنه راعى الدقة في اختيار الفعل " حكّت " دون " دارت " .  
وذلك ؛ لأنّ حصار بني النضير لم يكن فيه قتال شديد فناسبه الفعل حكّت .  
وبعد . فما أجمل وأروع أبيات زهير ، ولم لا تأتي بهذه الروعة والدقة وهو في مقام  
النصح والتوجيه ومعه متسعٌ من الوقت كي يفكر وينقح ويغير ويبدّل حتى يحسن  
صنعتة ، وصنعة زهير " تدخل في باب الصنعة المقبولة والمطلوبة في الفن " (2) ولله در  
من قال " لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فإن الناس لا يسألون في كم فرغ  
وإنما يسألون عن جودته وإتقانه " (3) وتأتي صورة عمرو بعد صورة زهير ؛ لأنّ صورة  
زهير أعمق وأبلغ لشمول تصويرها ودقة معانيها.

---

(1) الفن ومذاهبه د/ شوقي ضيف ص 31 ط دار المعارف ط 11

(2) معالم على طريق النقد القديم د/ رجاء جبر ص 50 مكتبة الشباب بدون تاريخ

(3) دفاع عن البلاغة الأستاذ / أحمد حسن الزيات ص 6 ط الرسالة -- 1945



# رابعاً

## تصوير التوازن النفسى

### فى الحروب

يقول كعب بن زهير (1)

قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

لا يفرحون إذا نالت رماحهم

وقال كعب بن مالك (2)

على هالكٍ عيناً لنا الدَّهر تدمع  
ولا نحن ممَّا جرت الحرب نجزع  
ولا نحن من أظفارها نتوجَّع

جلادٌ على ريبِ الحوادثِ لا ترى  
بنو الحرب لا نعيًا بشيءٍ نقوله  
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفُحشٍ

وقال حسان (3)

وإن أصيبوا فلا خور و لا جزع  
إذا الزَّعانف (4) من أظفارها خشعوا

لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم  
نسموا إذا الحرب نالتنا مخالبتها

من الأمور التي يفتخر بها المسلم التوازن في حالتي النصر والهزيمة ، فعدم المبالغة في الفرحة عند النصر دلالة على التعود عليه وأنه ليس من المحدثات وإنما هو أصل ، وعدم الجزع والحزن البالغ عند الهزيمة يدلُّ على الجلد والقوة وأنها شيء عارض سرعان ما ينسى ويزول .

وبيت كعب بن زهير كناية عن هذا التوازن في حالتي النصر والهزيمة وتتخلل الصورة الكنائية صورة مجازية هي قوله " رماحهم " ، حيث عبّر بالجزء وأراد الكل على سبيل المجاز المرسل ، فقد عبر بالرماح وأراد كل أنواع الأسلحة ، وقد عبر بالرماح دون السيوف مع أنَّ القتال بها هو الأعم الأغلب ، وهو مناط الفخر والشجاعة وميدان التباري ، بخلاف الرماح والسهام فإنها لا تدل على ما يدل عليه القتال بالسيوف ، ولعله أراد أن يبرهن - بذكر الرماح دون غيرها - على طول باعهم وأنهم ينالون من عدوهم وإن كان نائياً .

(1) شرح ديوانه ص 25 ط دار الكتب المصرية 2002/1423

(2) ديوانه ص 227 ، 228 (3) ديوانه ص 239

(4) الزعانف : " الزَّعْنَفَةُ " كل جماعة ليس لهم أصل واحد ، والزَّعْنَفَةُ " ردئ كل شيء ورذاله الوسيط مادة (زعنف) ص 394 .



وأما أبيات كعب فما أجمل تفصيلها لجلد قومه وشدتهم باستخدام الكنايات والاستعارة ودقة نظم الأبيات واختيار ألفاظها بعناية فائقة وبجودة الجناس في البيت الأخير بين " الظفر ، والأظفار " وإيجاءات الصور الرائعة في هذه الأبيات " (1) أما صورة حسان فبالرغم من وجازة عباراتها إلا أنها تحمل الكثير من المعاني ، فقد استعار المخالب لأضرار الحرب عند حديثه عن إصابتها قومه ، واستعار الأظفار لأضرار الحرب عند حديثه عن إصابتها أعدائهم - ( وهما أي المخالب والأظفار من لوازم المستعار منه المحذوف ) - وفي هذا إشارة إلى قوة تحملهم لأضرار الحرب وإن كانت بالغة ( كأثر مخالب الحيوان المفترس ) وإلى ضعف أعدائهم في مواجهة آثارها وإن كانت خفيفة ( كخمش الأظفار ) ، كما أن في الاستعارة لمحة أخرى وهي أن الحرب مهما نالت منهم لا يكون أثرها فيهم إلا كأثر مخالب الحيوان المفترس في فريسته ولا يمكن - بسبب قوتهم وتعودهم الحروب - أن تنال منهم أكثر من ذلك أو أن يكون أثرها قوتهم وتعودهم الحروب - أن تنال منهم أكثر من ذلك أو أن يكون أثرها بالغا وصورة كعب هي أفضل الصور الثلاث لما فيه من الدقة والتفصيل وحسن اختيار الصور البيانية وتناسبها مع الصورة الكلية تليها صورة حسان.

---

(1) انظر ص (150) من هذا البحث .

# خامسا

## تصوير سيلان الدماء

### من الجروح

يقول الحارث بن حلزة (1)

فجبهناهم بضرب كما يخرج ◆ من خربة (2) المزداد الماء

ويقول كعب بن مالك (3)

تكر القتا فيكم كأن فروغها (4) ◆ عزالي (5) مزاد ماؤها يتهزّع (6)

ويقول حسان بن ثابت (7)

بطعن كإيزاغ المخاض رشاشه ◆ وضرب يزيل الهام من كل مفرق

إن تصوير هيئة خروج الدم من الجروح شائع ومطروق من كثير من الشعراء ، والشعراء الثلاثة تناولوا هذه الهيئة مع اختلافهم في اختيار المشبه به فالحارث اختار هيئة خروج الماء من خربة المزداد " واختيار خربة المزداد في القربة دون الفتحة العليا فيها لشدة اندفاع الماء منها " (8) ، وأرى أن الشاعر لم يوفق في اختيار خربة المزداد كمقابل للجبهة التي يخرج منها الدم إثر الطعن فيها وذلك ؛ لأنّ الجبهة في أعلى الجسم وخربة المزداد في أسفلها ، كما أن هيئة الماء النازل من خربة المزداد ، ليست كههيئة الدم الخارج من الجروح ؛ لأنّ الدم الخارج من الجروح خاصة العميقة يكون على هيئة متهزّعة ، بخلاف الماء النازل من خربة المزداد .

- 
- (1) شرح القصائد العشر للتبريزي /ت/ محمد محي الدين عبد الحميد ط ثانية 1964/1384م
  - (2) خربة : " الخربة " الثقبّة الواسعة المستديرة ، خرة المزداد ، عروتها ، الوسيط مادة (خرب)
  - (3) ديوانه ص 229
  - (4) الفروغ : الطعنات الواسعة .
  - (5) عزالي : جمع عزلاء وهي قم المزدادة والسقاء
  - (6) يتهزّع : يتقطّع
  - (7) ديوانه ص 298
  - (8) التصوير البياني في معلقات العرب د/عبد الحليم محمد شادي رسالة دكتوراة - كلية اللغة العربية بالزقازيق

أما كعب فقد وقع اختياره على عزالي المزاد بمعنى فم السقاء كمشبه به الأمر الذي جعل صورته أكثر دقة من صورة الحارث للتطابق التام بين الهيئتين ، أما حسان فأحسبه أصاب التشبيه ووقع على أقرب مشبه به هيئة خروج الدم من الجروح ، حيث شبه هيئة خروج الدم من جروح الأعداء بهيئة خروج البول من المخاض، حيث يكون له رشاش ، وتفضل صورة حسان صورة كعب والحارث لسببين :

الأول : إصابة حسان عين الشبه بين الطرفين فخروج الدم من الجروح العميقة لا ينهز منذ بداية وإنما يكون في بدايته مندفعاً في قوة وتواصل محدثاً رشاشاً ثم بعد أن يقل الدم في الشرايين يعتمد في خروجه من مكان الطعنة على قوة ضربات القلب والتي تخرجه من الجرح في هيئة دقات متهزجة ، هذه الهيئة أشبه ما تكون بهيئة إخراج المخاض بولها ففي البداية وبسبب كثرة البول المحتبس داخلها ينزل في قوة واندفاع فغير تمزّع وبعد قليل وعندما يقلّ البول المحتبس يبدأ ما تبقى في النزول على هيئة التهزج فما أجمل وأدق صورة حسان ، وهكذا نرى " الابتكار أي ابتكار بعيد عن الأذهان لا يجول إلا في نفس أديب وهبه الله استعداداً سليماً في تعرّف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء وأودعه الله قدرة على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض" (1)

#### السبب الثاني :

في تفوق صورة حسان هو أن الشعراء الثلاثة شبهوا الدماء بالماء وهذا يوحي بأنها دماء رخيصة إلا أن حسان أضاف إلى التشبيه بالماء معنى زائداً حين جعلها دماءً نجسه، حيث شبهها بالبول ليس هذا فحسب وإنما جعلها كبول الحيوان ، وتلي صورة كعب صورة حسان في الدقة وحسن التصوير .

---

(1) جواهر البلاغة - الأستاذ السيد أحمد الهاشمي ص 357 ط التقدم بطنطا بدون تاريخ .

سادسا  
تصوير الشجاع  
وتشبيهه بالأسد

يقول زهير في معلقته (1)

لدى أسد شاكي السلاح مقذّف ◆ له لبد أظافره لم تقلم

وقال كعب بن مالك في رثاء حمزة (2)

وتراه يرقل (3) في الحديد كأنه ◆ ذو لبدة شثن البرائن أربد

وقال عمرو بن معدي يكرب (4)

فلو لاقيتني للقيت ليثا فوقه لبدّه

تلاقي شنبثا شثن (6) البرائن (7) ناشرا كتده (8)

اعتاد الشعراء تشبيه القوى الشجاع بالأسد ، أو استعارة لفظ الأسد له وذلك لما عهد من تصوير هذه الصفات في الأسد وهي الجرأة والافتراس والشراسة في القتال والدفاع عن صغاره .

والصورة الأولى لزهير استعار فيها لفظ الأسد للمحارب الشجاع ، المستعد للقتال ، وهذه الاستعارة كما ذكر البلاغيون في مرتبة المطلقة لذكر ملامات منها ما هو خاص بالمستعار له ومنها ما هو خاص بالمستعار منه فقوله " شاكي السلاح مناسب للمستعار له ، ومقذّف يصلح لكليهما ، وله لبد أظافره لم تقلم ، مناسب للمستعار " (9)

- 
- (1) شرح شعر زهير ص 29 تحقيق د/ فخر الدين قباوة ط بيروت  
(2) ديوانه ص 190  
(3) يرقل : رقل فلان جر ذبله وتبختر في مشيه ، الوسيط مادة ( رقل ) ص 362 .  
(4) ديوانه ص 88 تحقيق / مطاع الطرابيشي ط مكتبة دار البيان - دمشق - سوريا  
1994/1414

- (5) شثن : شثنت كفه ، خشنت وغلظت ، الوسيط مادة ( شثن ) ص 472 .  
(6) البرائن : البرثن ، مخلب السبع أو الطائر الجارح ، الوسيط مادة ( برثن ) .  
(7) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس أو الكاهل .  
(8) معاهد التنصيص 2 / 150 ت / محمد محي الدين عبد الحميد ط عالم الكتب بيروت د ت .

وأما كعب فقد سلك طريق التشبيه ، وقد جاءت صورته التشبيهية رائعة، حيث لم يقتصر على تشبيه حمزة رضي الله عنه بالأسد في الجرأة والشجاعة فحسب ، وإنما لاحظ شبيها في الهيئة أيضا ؛ لذلك استخدم الآداة كأن لما بين المشبه والمشبه به من قوة في الشبه فحمزة كان رجلا ضخما قويا يتبختر في الحديد ، وما أجمل ملاحظة كعب وجود شبه بين لبدة الأسد ، ولحية حمزة والذي دل على اعتبار هذا الوصف في وجه الشبه قوله " ذو لبدة " بإضافة ذو إلى لبدة مما يدل على المصاحبة والتلازم وترى هذا في الفرق بين قولك " هو كريم، وهو ذو كرم - وهو صادق وهو ذو صدق " <sup>(1)</sup> وهذا ما جعلني أرجح أنه يقصد بمقابل اللبدة في جانب المشبه به اللحية في جانب المشبه كما شبه كفيّ حمزة ببرائن الأسد في ضخامتها ، وما أجمل التعبير عن الأسد بأوصافه دون اسمه ( كناية عن موصوف ) ، وما من شك أن من كان شأنه أن يشابه الأسد في هيئته أنه مشابه له في صفاته . فما أجمل هذه الصورة التشبيهية التي جامعها الكناية وأرى أنّ التشبيه إذا أصاب وآزره النظم قد يكون أبلغ من الاستعارة .

أما صورة عمرو بن معد يكرب فقد أجراها على التجريد ومع تأثيرها بصورة كعب إلا أن قوله " فوقه لبده " تضعف الصورة ، ؛ لأنّ اللبد تكون مندلية على كتفيه ، إلا أن يكون مقصده أنه يشبه في خبرته أسدا عجوزا تقدمت به السن حتى التفت لبده بعنقه كله وأحسب صورة كعب أجود الصور الثلاث لما فيها من دقة في التصوير ومقاربة بين المشبه والمشبه به ، وخروجها عن المؤلف من التشبيه بالأسد في الشجاعة فقط إلى الجمع بين الهيئة الخارجية والصفات العقلية .

(1) قراءة في الأدب القديم ص 32.

# سابعاً

## تصوير السيوف



(1) تشبيه

لونها بلون الملح

يقول عبد الله بن الزبيرى (1)

وبيض كأن الملح فوق متونها ◆ بأيدى كماء كالليوث العوائث (2)

ويقول حسان بن ثابت (3)

وقد أرانى أمام الحى منتظما ◆ بصارم مثل لون الملح قطاع

ويقول أبو العلاء المعرى (4)

ومشهرات أشبه الملح لونها ◆ ولست بغير الملح آكل زادى

إن تشبيه لون السيوف في بريقها ولمعائها بالملح تشبيه يرى للوهلة الأولى تشبيها عاديا لأنه يقف عند حدود الحواس " وأشد ما يضعف الصورة فنيا أن يقف بها الشاعر عند حدود الحس " (5)

ويلاحظ أن الملح ليس هو الغاية في البياض فهناك ما هو أشد بياضا منه كالمرجان واللؤلؤ ، ولكن العربي الكادح الذى لا يعرف الترف في معيشته يشبه السيوف بالملح لأنه الشائع في بيئته كما أن اللؤلؤ والمرجان يشبه بهما الأشياء التى تستخدم في الترف والنعيم ، أما أدوات القتال فمن التناقض أن تشبه باللؤلؤ والمرجان .

ويلاحظ أن المشبه بين السيوف والملح لا يقف عند حدود الحواس كما يفهم للوهلة الأولى وإنما يتعدى الأمر ذلك الشبه الحسى الذى يتمثل في البياض وإنما يوحى تشبيه السيوف بالملح بأنها ( السيوف ) كالملاح فكونها ضرورة لتناول الطعام فالسيوف هى وسيلة العربي في كسب قوته والدفاع عنه . وبعد الوقوف على هذا الوجه يتضح أن المعنى لا يقف عند التشبه الحسى فقط .

- 
- (1) سيرة بن هشام ج 2 / 189  
(2) العوائث : عاث أي أفسد ، عاث الذئب في الغنم ، أفسد فيها بالافتراس والتقتيل ، الوسيط مادة ( عاث ) ص 639 .  
(3) ديوانه ص 336 .  
(4) شروح سقط الزند ج 4 ص 177 ط دار نهضة مصر الفجالة القاهرة 1977م.  
(5) النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمي هلال ص 420 الديوان للعقاد 16/1 ، 17 ط ثانية 1921 م.

وصورة ابن الزبيرى وحسان وإن كانت تحتمل هذا المعنى اللطيف إلا أنهما لم يشيرا إلى هذا المعنى بأى إشارة ؛ لذلك تقف الصورة عندهما عند حدود الحس ، مع احتمال قصد ابن الزبيرى الإشارة إلى هذه المعنى بقوله " كأن الملح فوق متونها " .

أما الصورة أبى العلاء فقد أصابت عين هذا المعنى ، وقد كساها أبو العلاء ثوبا جديدا على عادته فى تجديد الصور القديمة، حيث أردف الصورة الحسية البسيطة المألوفة- ( تشبيه السيوف بالملح) - تذييلا يحمل تورية جميلة وذلك فى قوله " ولست بغير الملح آكل زادى " فانظر كيف بعث الصورة ونفض عنها غبار الإلف والعادة وألبسها ثوبه وصاغها فى قالبه ، فالمعنى القريب غير المراد هو أنه لا يأكل طعامه إلا بالملح ، والمعنى البعيد أنه يكتسب طعامه بسيفه ولا يستسيغه إلا إذا اكتسبه به ، كما لا يستساغ الطعام بدون الملح .

وتفوح رائحة التهديد من هذه التورية، حيث يهدد من خان الأمانة وغصب درعه ولم يعطها له ، ولعل أقرب صورة إلى صورة أبى العلاء هى صورة ابن الزبيرى كما ذكرت من قبل، حيث يقول " كأن الملح فوق متونها " فقد ترك الحديث عن اللون ووضع الملح فوق متون السيوف وكأنها خبز أو آنية طعام خاوية تفتقر إلى ما يأكله هؤلاء المحاربون بهذا الملح ، ولا أريد أن أحمل النص ما لا يتحملة وإنما تحسست هذا المعنى من ذكره " الملح " دون " لون الملح " وقوله " فوق متونها " .

وأرى أن صورة أبى العلاء هى أفضل الصور الثلاث تليها صورة ابن الزبيرى للاعتبار السابق ذكره .

(2)

# تصوير الضرب بالسيوف

يقول ابن الزبيري (1)

بسيوف الهند تعلقو هامهم ◆ علا تعلقوهم بعد نهل

وأجابه حسان بن ثابت (2)

نضع الأسياف فى أكتافكم ◆ حيث نهوى علا بعد نهل

لما كانت السيوف والسنان الحادة التى تستخدم فى القتال تفتح الجسم فتحات وتستفرغ ما فيه من دماء صورها الشعراء وكأنها تشرب من هذه الأجسام دماء. هذا المعنى تناوله ابن الزبيري وصورة بالاستعارتين علا ونهل، حيث استعار النهل للضرب بالسيوف ، ثم استعار العلل الدال على معاودة الشرب ، لتكرار الطعن بهذه السيوف .

وتخصيص ابن الزبيري الهام بالضرب يقرب الشبه بين المستعار له والمستعار منه، حيث إن من يشرب يكون شربه من أعلى الإناء " فمه " وتكرار حرفى العين والهام له وقع وإيحاء بهذه العملية المستمرة وتكرار حرف الهاء وهو من الحروف الهوائية ، فيه إيحاء باليسر والسهولة لأن صوت الهاء ( من الأصوات الرخوة ) (3)

أما حسان فقد تأثر بابن الزبيري فى الاستعارتين إلا أنه سلك طريقا آخر للدلالة على تكرار هذه العملية وسهولتها، حيث استخدم الفعل " نضع " للدلالة على السهولة فوضع الشئ فى الشئ يوحى بسهولة الفعل .

(1) سيرة بن هشام ج3 / 76

(2) ديوانه ص93

(3) أصوات العربية بين الوصف والتعظيم د / محمد عبد الحفيظ العريان ص204 ط أولى ط أبناء وهبة القاهرة 1991 م.

بخلاف ما لو قال " نطعنكم " أو نضربكم " كما استخدم الفعل " نُهوى " للدلالة على تكرار هذه العملية، حيث إن من معاني الفعل : هوت يده إلى الشيء : امتدت وارتفعت ثم إن تخصيصه الأكتاف كمواضع لوضع السيوف فيها - مع أنها ليست من المقاتل التي يفتخر الأبطال بإصابتها - إشارة إلى وهنهم وكأن قتلهم لا يحتاج إلى إصابتهم في مقتل .

فما أجمل معاني حسان وحسن نظم البيت ، وأرى أن صورة حسان بالرغم من تأثره بابن الزبيرى إلا أنها تفضلها بجودة النظم ودقته وإسهامه في بيان الصورة وتوضيحها .



(3)

تصوير لمعان السيوف

والرماح

يقول ابن الزبيري في يوم أحد (1)

وقد عريت بيض كأن وميضها ♦ حريق ترقى فى الإباء سريع

وقال بن مالك في يوم الخندق (2)

جأوى ملممة كأن رماحها ♦ فى كل مجمعة ضريمة غاب

اشترك الشاعران في تصوير الحركة التصاعدية اللامعة الناتجة عن سقوط أشعة الشمس على هذه السيوف والرماح المصقولة اللامعة ، فإذا ما تحركت في يد حاملها فإن البريق يترقى صاعدا إلى أعلى وكأنه حريق في قصب أو غاب .  
وواضح تأثر ابن الزبيري بكعب بن مالك في مطلع بيته، حيث إن لكعب بيتا يوم بدر يقول فيه (3)

وقد عريت بيض خفاف كأنها ♦ مقاييس يزهيها لعينيك شاهر

وصورة ابن الزبيري يصور فيها وميض السيوف إذا ما تحركت في يد حاملها بالحريق الذى يتصاعد في القصب سريعا .  
والصورة التشبيهية هذه صورة لونية حركية صوتية فصور اللون بقوله " حريق " ، حيث يشبه الوميض الأصفر المنعكس على متون السيوف بالنار وعبر عن الحركة بقوله " ترقى " ودل على الصوت بما دل به على اللون والحركة فالحريق إذا ترقى في القصب فإنه يحدث صوتا يشبه صوت إخراج السيوف من أغمادها وهذا التشبيه من التشبيه في الهيئات التي تقع عليها الحركة واقتزنت الحركة باللون . وفي تقييده المشبه به بقوله سريع لمحة حسنه ضرورية لتحقيق وجه الشبه في المشبه والمشبه به وذلك ؛ لأن حركة الوميض على متون السيوف ( المشبه ) تكون سريعة جدا كالبرق فكان من الملائم أن يذكر هذا القيد في جانب المشبه به .

(2) ديوانه ص 181 .

(1) سيرة بن هشام 79/3 .

(3) ديوانه ص 200 .



أما كعب فتأثره بابن الزبيرى واضح إلا أن كعبا استدرك على صورة ابن الزبيرى كون الاجتماع للسيوف أو الرماح شرط لتحقيق الهيئة فى الطرفين ، فجاء بكلمة ( مجمعة ) الدالة على التجمع والتقارب بين الحار بين فى الكتيبة فإذا ما حدثت هذه الهيئة وهى وميض هذه الرماح اللامعة وترقى الوميض إلى أعلى مع هذا الاجتماع قاربت هذه الهيئة إلى حد كبير هيئة المشبه به .

، وقد دل كعب على السرعة بقوله " ضريمة " لأنها تدل على سرعة الاشتعال فلم يحتج إلى تقييدها بالسرعة كما فعل ابن الزبيرى .  
كما أن صورة كعب هى الأخرى صوتية حركية لونية فإن مقارعة الرماح للدروع أو لبعضها البعض تشبه صوت الحريق . واللون والحركة فى قوله " ضريمة غاب " وأحسب كعبا تفوق على عبد الله بن الزبيرى فى هذه الصورة .

# الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على قائد الغر المحجلين ،  
وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

ويعد

فبعد أن عشنا مع شعراء نبينا ﷺ ورضى الله عنهم من خلال فصول هذه الدراسة أسجل  
الآن هذه النتائج التي توصل إليها البحث ، وأهم التوصيات ، أما النتائج فهي:-

- 1- إن الإسلام لم يحرم الشعر وإنما قومه ووجهه الوجهة الإسلامية .
- 2- قام التصوير البياني بدوره في المجتمع الإسلامي في هذه الحقبة حيث استغرق كل متطلبات العصر من مدح للرسول ﷺ وصحابته ، وتصوير المعارك ورياء الشهداء ، والفخر بالإسلام ونبية ورسالته ... إلخ
- 3- عناصر التصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ منتزعة من البيئة ففي المدح يختارون أسمى مظاهر الصحراء وأكثرها بهجة وامتلاء بالحياة ، وفي الهجاء يختارون أقبح مظاهر الصحراء وحيواناتها فيصوّرون بها المهجو .
- 4- كان لإبداع هؤلاء الشعراء أثرٌ في ألوانهم وريشتهم فلم يحاكوا الطبيعية بنقلها نقلاً بحتاً وإنما كان للإبداع والخيال الخصب دورٌ في التصوير .
- 5- لم يغرق شعراء الرسول ﷺ في الخيال ، فلم تأت صُورهم في هيئة شطحات خيال ، وإنما كان الخيال في شعرهم بالقدر الذي تستحسنه الأذواق وتتفق على قبوله .
- 6- جاءت ألفاظهم في الأعم الأغلب واضحة لا تحتاج إلى المعجم وهذا فيما أرى تأثراً بالمنهج القرآني .
- 7- اختيرت الألفاظ الموحية التي تبرز الصورة تماما ، وتجعلها تنفذ إلى القلوب بمجرد طرقها للأسماع .
- 8- استعانة الشعراء في بعض صورهم بالألفاظ القرآنية ، يعطى الصورة جمالاً وروعاً .

- 9- تميزت الصور البيانية عند شعراء الرسول ﷺ بالعمق والبعد عن السطحية ، بمعنى أن الصور وإن بدت بسيطةً لأوّل وهلةٍ إلا أنّها تحمل معاني وإجاءات جمّة .
- 10- جاءت الصور البيانية عندهم مناسبة تماما للسياق قبلها وبعدها تؤثر فيه ويؤثر فيها ، وهذا دليل على دقة النظم وحسن اختيار عناصره ، الأمر الذى يدل على سلامة الفطرة اللغوية .
- 11- اتّسمت صورهم البيانية بالوضوح وبالرغم من عمقها إلا أنّ الفكر فيها لا يصل إلى درجة التعقيد والغموض الذى يتعب الذهن دون جدوى .
- 12- جاءت الصور البيانية عندهم بسيطة أحيانا ، عندما يكون المعنى بسيطاً ، وأما عندما يدق المعنى ويتشعب ويتداخل مع غيره ويحتاج إلى مزيد تأكيدٍ أو توضيحٍ فإنهم يكتفون بالألوان البيانية لتوضيحه ووضع الفواصل بينه وبين غيره مما قد يختلط به .
- 13- امتزجت الصور البيانية عند شعراء الرسول ﷺ بأحوالهم النفسية ، فجاءت معبرة تماما عن أحوالهم النفسية .
- 14- اتّسمت الصور البيانية عندهم بالتفصيل والاستقصاء والحرص على أن تشتمل على أدقّ الجزئيات .
- 15- بالرغم من وجود بعض الصور المألوفة والتي سبقوا إليها إلا أنّهم أضفوا عليها من بيئتهم وثقافتهم وذات أنفسهم ما يجدها ويخرج بها من دائرة التكرار والتقليد .
- 16- امتاز هؤلاء الشعراء بحسّ مرهفٍ وملكةٍ قويةٍ في اختيار الصورة البيانية الملائمة للمقام والأقدر على بيان المعنى أفضل من غيرها فجاءت صورهم مناسبة تماما للمقامات ، فهناك مقامات تتطلب التشبيه ، ومقامات تستدعى الكناية وأخرى تستدعى الاستعارة أو المجاز المرسل ، ومقامات تتطلب الاستعارة المكنية دون التبعية أو العكس .
- 17- اجو العام للعصر وأحداثه ، والغرض الشعري ، يؤدي إلى شيوع أنواع معينة من الصور البيانية .
- 18- غلبت الحسية على الصور البيانية في شعر شعراء الرسول ﷺ ، وهذا دليل على تأثرهم بالقرآن الكريم في هذا النهج .

19- قلَّ شعر الغزل في شعرهم قلة واضحة وصلت إلى حد الندرة .

هذه هي أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، وأما التوصيات فهي ما يلي :-

- (1) إلى كلِّ من يحملون لواء الأدب الإسلامي لا يصدنكم عن دراسة الأدب الإسلامي واستبانة محاسنه وأسراره ، ما يشاع عنه بأنه ضعيفٌ .
- (2) ينبغي على الباحثين مراجعة ونقد التراث النقدي والبلاغي للوصول إلى أرحح الآراء في القضايا التي اختلف فيها علماء البلاغة ، وذلك بغية الوصول الى نظرية نقدية بلاغية عربية لمواجهة تيارات الحداثة الخبيثة التي تسعى إلى إبعاد المسلمين عن تراثهم ، الذي هو مصدر قوتهم .
- (3) ضرورة الحدِّ من التقسيمات والتفريعات المنطقيَّة في دراسة البلاغة لأنَّها تنفِّر القراء والباحثين ، والاتجاه إلى المنهج التحليلي البلاغي في دراسة النصوص ، فهو يستميل القارئ ، ويساعد الباحث على التعمق في بحثه .
- (4) البعد عن السطحية ، وضرورة معايشة النصِّ مرَّاتٍ ومرَّاتٍ لاستظهار محاسنه.
- (5) على الباحث ألا يقطع الصور البيانية عن السياق ، و ألا يغفل أثر الصور البلاغية في توضيح الصور البيانية .
- (6) التأكيد على ضرورة دراسة الجو النفسي للشاعر ، فنفسية الشاعر تصبغ نصه بصبغةٍ خاصةٍ .

## وبعد

فالحمد لله أولاً وآخراً ، وأسأل الله أن ينفع بهذه الصفحات القليلة والتي هي محاولةٌ لباحثٍ ناشئٍ ، وضع فيها ما أعطاه الله من فهمٍ ، وما يسّره له من علمٍ ، فإن كان قد وُفّق فيفضله سبحانه وعونه ، ثمّ بتوجيهات استاذي الجليلين الأستاذ الدكتور / حسن أمين مخيمر - وهبه الله الصحة والعافية - وللاستاذ الدكتور المرحوم / عبد الرازق مُجّد فضل - رحمه الله ، وإن كنت قصرت ، فحسبي أنّي بشر .

" ربنا آتانا من لدنك رحمةً وهيء لنا من أمرنا رشداً " الكهف (10)

### الباحث

طاهر عبد المنعم على أبو يوسف

# الفهارس

## فهرس الآيات

م	الآية	اسم السورة ورقم الآية	الصفحة
1	مثلهم كمثل الذى استوقد نارا	البقرة (17)	105
2	ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم	( البقرة 127 )	ى
3	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا	"(آل عمران 319)	119,152
4	ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما	النساء (10)	182
5	فلاتقعداو معهم حتىخضوا في حديث غيره	النساء(140)	7
6	قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين	المائدة (15)	44
7	وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم	الأنعام (68)	7
8	ولباس التقوى ذلك خير	الأعراف(26)	96
9	إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم	( الأنفال 12 )	68
10	وعلى الثلاثة الذين خلفواحتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت	( التوبة 88 )	25
11	يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة النبا وفى الآخرة	إبراهيم(27)	78
12	إنا كفيناك المستهزئين	( الحجر 95 )	أ
13	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا	( الإسراء 88)	8
14	وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود	الكهف(18)	174
15	والشعراء يتبعهم الغاؤون	( الشعراء 224 ، 227 )	69
16	فككبوا فيها هم والغاؤون	الشعراء(94)	5
17	والشعراء يتبعهم الغاؤون	الشعراء(224)	89
18	وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب	( النمل 88)	76
19	ولا تصعر خدك للناس	لقمان (18)	70

م	الآية	اسم السورة ورقم الآية	الصفحة
20	تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت	( الأحزاب 19 )	70
21	ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا	( الأحزاب 25 )	72
22	" إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا "	( الأحزاب 45 ، 46 )	44
23	" وما علمناه الشعر وما ينبغي له "	( يس 69 )	8
24	سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم	( فصلت 53 )	أ-52
25	ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت	( محمد 20 )	81
26	ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر	القمر (38)	88
27	ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون	الطور (24)	173
28	" فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين "	( الطور 34 )	8
29	أفرايتم اللات والعزى	( النجم 19 ، 20 )	3
30	لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر	( الحشر 14 )	59
31	" ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد "	( الصف 6 )	58
32	قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين	الجمعة (7)	59
33	كأنهم خشب مسندة	المنافقون (4)	105
34	يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون	المعارج (43)	107
35	مما خطبأتهم أغرقوا فأدخلوا نارا	( نوح 25 )	67
36	ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا	الإنسان (19)	173
37	يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة	النازعات (86)	107
38	كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون	( المطففين 14 )	72





## فهرس الأحادس

الصفحة	الحديث	م
(7)	لأنَّ ىمتلى جوف أحدكم قىحا فىرىه خىرا له من أن ىمتلى شعرا	1
(8)	إن من البىان لسحرا وإن من الشعر لحكما	2
د-20	اهجهم أو هاجهم وجبرىل معك	3
(24)	إن المؤمن ىجاهد بسىفه ولسانه	4
(24)	إنك لحن الشعر	5
(27)	لا ىقول الرفث	6
(44)	خذوا الشىطان ؛ لأنَّ ىمتلى جوف أحدكم قىحا	7
(45)	إذا رأىتم المداحىن فاحثوا فوجوههم التراب	8
(45)	لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مرىم	9
(141)	دعوها فإنها منتنة "	10

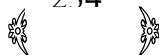


## فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	قائل البيت	القافية والبيت
210	الحارث بن حلزة	فجبناهم بضرب كما يخرج من خربة المزاد الماء
121	....	نأت سلمى فعاودني صداع الرأس والوصب
187	النابعة الذبياني	كليني لهم يا أميمة ناصب تطاول حتى قلت ليس بمنقص بصدر أراح الليل عازب همه وليل أقاسيه بطيء الكواكب وليس الذي يرعى النجوم بأيب تضاعف فيه الحزن من كل جانب
217	عبد الله بن الزبيري	وبيض كأن الملح فوق متونها بأيدي كماء كالليوث العوائث
197	أبو علاء المعري	غدير نقت الخرصان فيه أضاة لا يزال الزغن منها نقيق علاجم والليل داج كفيلا بالإضاءة في الديقاجي
66	طرفة	وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم بكأس حياض الموت قبل التهدد
200	أبو العلاء	أتأكل درعي أن حسبت قتيرها ، وقد أجذبت قيس عيون جراد
217	أبو العلاء المعري	ومشتهرات أشبه الملح لونها ولست بغير الملح آكل زادي
174	بشار بن برد	وكان تحت لسانها وكان ما جمعت عليه هاروت ينفث فيه سحرا ثيابها ذهباً وعطرا
187	كشاجم الرملي	ألا رب ليل بت أرعى نجومه. فلم اغتمض فيه ولا ليل غمضا كأن الثريا راحة تشبر الدجا لتعلم طال الليل أم لي تعرضا فأعجب بليل بين شرق ومغرب يقاس بشر كيف يرجي له انقضا
223	عبد الله بن الزبيري	وقد عربت بيض كأن وميضها حريق ترقى في الأباء سريع
45	كعب بن زهير	إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
47	الأعشى	أنت خير من ألف ألف من القوم م إذا ما كبت وجوه الرجال



الصفحة	قائل البيت	القافية والبيت
57	السموئل	وإنا أناس لا نرى القتل سبه إذا ما رأته عامر وسلول
66	كعب بن زهير	لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل
187	امرؤ القيس	وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي فقلت لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت بيدبل كأن تائريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل
207	كعب بن زهير	لا يفرحون إذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا
220	عبد الله بن الزبيري	بسيوف الهند تعلو همامهم عللا تعلوهم بعد نهل
2	زهير بن أبي سلمى	ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
47	المتبي	تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
200	كنانة بن عبد اليل	علينا دلاص من تراث محرق كلون السماء زينتها النجوم
202	زهير بن أبي سلمى	وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم متى تبعثوها تبعثوها زميمة وتضّر إذا ضرّ يتموها فتضرم فتعركم عرك الرحا بثفالها وتلقح كثافاً ثم تنتج فتسم فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم
213	زهير بن أبي سلمى	لدى أسد شاكي السلاح متقذف له لبد أظفاره لم تقلم
57	عمرو بن كلثوم	بفتيان يرون القتل مجدا وشيبا في الحروب مجربينا
73	عمرو بن معد يكرب	الضاربين بكل أبيض مخدم الطاعنين مجامع الأضغان
93	.....	فإن تعافوا العدل والإيمان فإن في أيماننا نيران
202	عمرو بن كلثوم	متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحيننا يكون ثفالها شرقي نجد ولهوتها قضاة أجمعينا
213	عمرو بن معد يكرب	فلو لاقيتني لقيت ليثا فوقه لبده تلاقي شنبثا شن البرائن ناشرا كتده



# فهرس المراجع والمصادر

- (1) أثر الإسلام فى بناء القصيدة العربية د/ أحمد شاكراً غضيب ط دار الضياء - عمان - الأردن 2001/1422
- (2) أدوات التشبيه فى لسان العرب د/ أحمد هندأوى هلال- ط مكتبة وهبه القاهرة 2003/1424
- (3) أساس البلاغة للزمخشرى - ط دار إحياء المعاجم العربية - ط - أولى - 1953م/1372هـ
- (4) أسد الغابة فى معرفة الصحابة- لابن الأثير - طبعة جمعية المعارف مصر د.ت
- (5) أسرار البلاغة - للإمام عبد القاهر الجرجانى - تحقيق محمود محمد شاكراً- طبعة دار المدنى - القاهرة 1412هـ - 1991م
- (6) أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء - د/ شفيع السيد - طبعة دار الفكر العربى - بيروت - د.ت
- (7) أصوات العربية بين الوصف والتنظيم - د/ محمد عبد الحفيظ العريان - طبعة مكتبة وهبه القاهرة 1991
- (8) أصول البيان العربى - د/ محمد الصغير - طبعة دار الثقافة - بغداد د.ت
- (9) اعتذاريات الشعراء للرسول - أحمد الجدع - طبعة دار الضياء الأردن 2000/1421
- (10) الأثر القرآنى فى التصوير الشعرى - د / يوسف عبد الوهاب- طبعة التركى طنطا 2001/1421
- (11) الأدب الجاهلى نصوص ودراسة / دكتور محمد عبد المنعم خفاجى- طبعة دار الجيل بيروت طبعة أولى 1991
- (12) الأدب المفرد - الإمام البخارى - طبعة المطبعة العثمانية - مصر 1309 هـ

- (13) الأدب فى صدر الإسلام – د/محمد عبد الرحمن عبد الظاهر مطبعة الحسين – القاهرة  
1996
- (14) الأدب فى عصر النبوة والراشدين – د/ صلاح الدين الهادى – طبعة الخانجى –  
القاهرة 1988/1409
- (15) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية – د/ صباح عبيد دراز – طبعة الأمانة  
القاهرة 1986
- (16) الاستبصار فى أنساب الأنصار – لابن قدامة محمد موفق الدين- (مخطوط بدار الكتب  
– القاهرة 349 تاريخ )
- (17) الاستعارة فى لسان العرب – د/ أحمد هنداوى هلال- طبعة مكتبة وهبه طبعة أولى  
1993/1414
- (18) الأسس الجمالية للنقد الأدبى – د/ عز الدين إسماعيل- طبعة دار الفكر العربى  
بيروت – طبعة ثالثة 1974
- (19) الإصابة فى تمييز الصحابة – لابن حجر شهاب الدين – طبعة المطبعة التجارية –  
القاهرة 1939
- (20) الأصول الفنية للأدب – الأستاذ عباس حسن – طبعة الأنجلو المصرية 1949
- (21) الأغانى/ لأبى الفرج على بن الحسين- الأصفهانى طبعة الهيئة المصرية العامة  
للكتاب – مكتبة الأسرة 2001
- (22) الاقتضاب للبطلئوسى – تحقيق مصطفى السقا ، وحامد عبد المجيد- طبعة الهيئة  
المصرية العامة للكتاب
- (23) الأفسير فى علم التفسير – للطوفى البغدادى – تحقيق د/ عبد القادر حسين -طبعة  
المطبعة النموذجية 1977
- (24) الإيضاح للخطيب القزوينى – تحقيق د/ عبد القادر حسين - طبعة مكتبة الآداب  
1999/1416
- (25) البداية والنهاية/ لابن كثير – طبعة مطبعة السعادة – القاهرة 1932

(26) البديع لأسامة بن منقذ - تحقيق عبدا على مهنا - طبعة دار الكتب العلمية بيروت  
1987/1407

(27) البرهان فى علوم القرآن - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى - ت- محمد أبو الفضل  
إبراهيم - طدار المعرفة للطباعة والنشر بيروت- د.ت

(28) البلاغة التطبيقية دكتور أحمد موسى - طبعة مطبعة المعرفة - القاهرة د.ت.

(29) البلاغة العربية بين القديم والحديث د/ عبد الحليم محمد شادى - طبعة الأمانة  
القاهرة طبعة ثانية 2003/1424

(30) البلاغة القرآنية عند الإمام الخطابى د/ صباح عبيد دراز طبعة الأمانة - القاهرة  
1986/1406

(31) البلاغة تطور وتاريخ د/ شوقى ضيف- طبعة دار المعارف طبعة ثالثة د.ت.

(32) البيان العربى د/ بدوى طبانة - طبعة الأنجلو المصرية طبعة رابعة 1968

(33) البيان والتبيين لآبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - ت.د/ عبد السلام هارون  
طبعة الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة 2003

(34) التبيين فى أسرار البيان - د/ عبد الحليم شادى- طبعة الأمانة طبعة أولى  
1999/1420

(35) التحول الشعري فى عصر البعثة المحمدية د/ صفوت زيد - طبعة الترمى طنطا د.ت

(36) التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز د/ عبد العظيم المطعنى - طبعة مكتبة  
وهبه طبعة أولى 2002/1423

(37) التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى د/ محمد عبد المنعم خفاجى - طبعة  
المطبعة الفاروقية الحديثة - القاهرة ط أولى

(38) التصوير البيانى د/ محمد محمد أبو موسى- طبعة مكتبة وهبه 1980/1400

(39) التصوير البيانى بين القدماء والمحدثين د/ حسنى عبد الجليل يوسف- طبعة دار  
الأفاق العربية القاهرة 1997

(40) التصوير البيانى فى قصيدة النابغة المشهورة د/ عبد الحليم شادى- ط الأمانة



1993/1414

(41)التعبير البياني د/ شفيع السيد - ط دار الفكر العربى طبعة ثانية 1982

(42)التفسير النفسى لأدب د/ عز الدين إسماعيل- طبعة دار العودة بيروت د.ت.

(43)الجمال بين الفلاسفة والبلغاء د/ بسيونى عرفة رضوان- طبعة الرسالة 1981

(44)الجنى الدانى فى تذوق المعانى د/ عبد الحليم شادى - طبعة الأمانة طبعة أولى

1987/1407

(45)الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى - تحقيق - د/ فخر الدين قباوة - طبعة

دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى 1994/1425

(46)الحياة الأدبية فى العصر الإسلامى د/ النبوى شعلان - طبعة المدنى القاهرة

1981/1401

(47)الخصومات البلاغية والنقدية فى صنعة أبى تمام د/ عبد الفتاح لاشين - طبعة

المعارف المصرية د.ت

(48)الديوان - للعقاد- طبعة 1921 طبعة ثانية

(49)الرسالة البيانية- للصبان - طبعة المطبعة الأميرية ط أولى 1315

(50)الروض الأنف للسهيلى - أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله- طبعة الجمالية -

القاهرة 1914/1332

(51)السيرة النبوية لابن هشام تحقيق - عمر محمد عبد الخالق - طبعة دار الفجر -

القاهرة طبعة أولى 1999/1420

(52)الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه - د/ يحيى الجبورى- طبعة مؤسسة الرسالة

بيروت طبعة رابعة 1983

(53) الشعر والشعراء لابن قتيبة - تحقيق/ أحمد شاکر- طبعة دار المعارف د.ت

(54)الصناعتين/ لأبى هلال العسكري- تحقيق محمد على البجاوى ، محمد أبو الفضل

إبراهيم - طبعة دار الفكر العربى د.ت

(55) الصور البيانية بين النظرية والتطبيق د/ حفى شرف ط-دار نهضة مصر للطبع



والنشر - ط -أولى1385 هـ-1965 م

(56)الصورة الجمالية بين القدماء والمحدثين د/ عبد الحلیم شادی - طبعة السعادة

طبعة أولى 1999/1411

(57) الصورة الجمالية د/ محمود محمد بن - بدون معلومات عن الطباعة

(58) الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى د/ جابر عصفور طبعة دار المعارف -

القاهرة .د.ت.

(59) الطبقات الكبير- ل محمد بن سعد تحقيق د/ على محمد عمر- طبعة مكتبة الأسرة

2004م

(60) العمدة فى نقد الشعر وتمحيصه - لابن رشيق القيروانى -تحقيق عفيف

نايف حاطوم- طبعة دار صادر بيروت طبعة أولى 2003/1424

(61) الفاضل للمبرد - تحقيق/ عبد العزيز الميمنى - طبعة الهيئة المصرية العامة

للكتاب 1975م

(62) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى د/ شوقى ضيف- طبعة دار المعارف طبعة

11 د.ت

(63) القوس العذراء وقراءة التراث د/ محمد أبو موسى- طبعة دار غريب -

القاهرة 1983/1403

(64) المختار من علم الصوتيات د/ عبد الله ربيع محمود . د/ عبد العزيز علام-

طبعة دار البشرى القاهرة 2000/1420

(65) المزهر- لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبى بكر- السيوطى - طبعة دار احياء

الكتب د.ت

(66) المستطرف من كل فن مستظرف -شهاب الدين محمد بن أحمد- طبعة مكتبة

الحياة 1989

(67) المطول/ لسعد الدين التفتازانى -ط-مطبعة أحمد كامل 1330هـ-

(68) المعجم الوجيز - ط-مجمع اللغة العربية -القاهرة -1997/1418 م

(69) المعجم الوسيط - ط-دار المعارف - مصر - ط- ثانية 1973/1393م





- (70) المفضليات - للمفضل بن محمد الضبي - تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - طبعة دار المعارف - مصر د.ت
- (71) المقتصد في شرح الإيضاح- للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق د/ كاظم بحر المرجان - طبعة وزارة الثقافة والإعلام العراقية 1982م.
- (72) المنهاج الواضح في البلاغة -د/ حامد عوني- طبعة مكتبة الجامعة الأزهرية ط 1972
- (73) الموازنة بين الشعراء د/ ذكي مبارك طبعة - البابى الحلبي 1973/1393م
- (74) الموازنة: للآمدى أبي القاسم الحسن بن بشر- طبعة دار المعارف القاهرة - تحقيق أحمد السيد صقر - طبعة رابعة د.ت.
- (75) الموشح/ للمرزباني أبي عبد الله محمد بن عمران - طبعة المطبعة السلفية - القاهرة 1929
- (76) النقد الأدبي أصوله ومناهجه للأستاذ / سيد قطب - طبعة دار الشروق طبعة رابعة 1980/1400
- (77) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال - طبعة دار نهضة مصر للطباعة - القاهرة 1977
- (78) النقد الأدبي عند العرب د/ طه أحمد إبراهيم - طبعة دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى 1989/1409
- (79) الهجاء والهجاؤون في الجاهلية د/ محمد محمد حسن - طبعة مكتبة الآداب 1948
- (80) أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ للبيضاوي- طبعة المطبعة البهية المصرية - طبعة ثانية 1925
- (81) بغية الإيضاح /الشيخ عبد المتعال الصعدي -طبعة المطبعة النموذجية - القاهرة ط -خامسة-1973



- (82) بين المكنية والتبعية والمجاز العقلى د/ بسيونى عبدالفتاح فيؤود - طبعة -  
الحسين الإسلامية القاهرة طبعة أولى 1993/1413
- (83) تاريخ ابن عساكر/ لأبى القاسم على بن الحسن - طبعة العربية دمشق طبعة  
أولى د.ت
- (84) تاريخ آداب العرب/ الأستاذ مصطفى صادق الرافعى - طبعة الاستقامة القاهرة  
طبعة أولى 1940
- (85) تاريخ الأدب العربى- الأستاذ أحمد حسن الزيات- طبعة لجنة التأليف والترجمة  
والنشر مصر 1935
- (86) تاريخ الإسلام السياسى د/ حسن إبراهيم حسن - طبعة 1948
- (87) تاريخ الشعر العربى حتى أواخر القرن الثالث الهجرى د/ محمد نجيب البهيبتى  
- طبعة دار الكتب المصرية 1950
- (88) تاريخ الطبرى /محمد بن جرير- تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة دار  
المعارف مصر د.ت
- (89) تاريخ النقد الأدبى عند العرب د/ إحسان عباس- طبعة بيروت د.ت.
- (90) تحرير التعبير - لابن أبى الإصبع تحقيق دكتور / حنفى شرف - طبعة  
المجلس الأعلى للثنون الإسلامية طبعة 1995/ 1416
- (91) جواهر البلاغة - الأستاذ السيد أحمد الهاشمى - طبعة التقدم بطنطا د.ت
- (92) حاشية السيد الشريف على المطول ط- مطبعة أحمد كامل- 1330
- (93) حسان بن ثابت شاعر الرسول تحقيق د/ سيد حنفى حسنين - طبعة المؤسسة  
المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر د.ت
- (94) خزانة الأدب/ للبغدادى عبد القادر بن عمر- طبعة السلفية القاهرة د.ت
- (95) خصائص التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى- طبعة مكتبة وهبه ط- خامسة  
2000/1421
- (96) خلاصة المعانى/للحسن بن عثمان بن الحسين المفتى - تحقيق د/ عبد القادر  
حسين طبعة دار النصر للطباعة الإسلامية 1993



- (97) خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال -صلى الدين أحمد بن عبد الله -  
طبعة الخيرية مصر 1322
- (98) دراسات فى الأدب الجاهلى والإسلامى د/ محمد عبد المنعم خفاجى- طبعة دار  
الجيل بيروت 1992/1412
- (99) دراسة فى البلاغة والشعر د/ محمد محمد أبو موسى- طبعة مكتبة وهبه طبعة  
أولى 1991/1411
- (100) دفاع عن البلاغة الأستاذ أحمد حسن الزيات -طبعة مطبعة الرسالة 1945
- (101) دلائل الإعجاز - الإمام عبد القاهر الجرجانى- تعليق الشيخ محمود محمد شاكر-  
ط مكتبة الأسرة 200 م
- (102) ديوان الأعشى شرح وتحقيق د/ محمد محمد حسين -طبعة مؤسسة الرسالة  
بيروت طبعة سابعة 1983/1403
- (103) ديوان السموعى- طبعة بغداد 1955
- (104) ديوان المتنبى- تحقيق عبد المجيد دياب- طبعة دار المعارف مصر طبعة ثانية  
1992
- (105) ديوان النابغة الذبياني -تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم -طبعة دار المعارف  
مصر 1977
- (106)
- (107) ديوان امرئ القيس -ت محمد أبو الفضل إبراهيم -طبعة دار المعارف طبعة  
خامسة د.ت
- (108) ديوان بشَّار بن برد -ت/محمد الطاهر بن عاشور -ط- الشركة التونسية  
للتوزيع، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع -الجزائر 1976م.
- (109) ديوان حسان بن ثابت تحقيق د/ سيد حنفى حسنين -طبعة دار المعارف -  
مصر .د.ت.



- (110) ديوان عبد الله بن رواحة تحقيق د/ وليد قصاب- طبعة دار الضياء -الأردن ط  
ثانية 1988/1408.
- (111) ديوان عمرو بن معد يكرب- تحقيق مطاع الطرابيشي- طبعة مكتبة البيان  
سوريا 1994/1414
- (112) ديوان كشاجم تحقيق د/ النبوى شعلان طبعة الخانجي – القاهرة ط أولى  
1997/1407
- (113) ديوان كعب بن مالك الأنصاري تحقيق د/ سامى مكى العاني- طبعة مطبعة  
المعارف بغداد طبعة أولى 1966/1336
- (114) رثاء غير الإنسان فى الشعر العباسي- عبد الله عبد الرحيم السوداني -طبعة  
المجمع الثقافى فى أبو ظبى 1999/1420
- (115) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي- طبعة دار الكتب العلمية بيروت -طبعة  
أولى 1982/1402
- (116) شرح القوائد العشر الجاهلية للتبريزي- تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد -  
طبعة ثانية 1964/1384
- (117) شرح المعلقات السبع للزوزنى-طبعة مكتبة المعارف – بيروت 1983
- (118) شرح القوائد العشر الجاهلية للتبريزي- تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد -  
طبعة ثانية 1964/1384
- (119) شرح النووى على مسلم -طبعة دار إحياء التراث العربى- بيروت طبعة ثالثة  
1392 هـ
- (120) شرح ديوان كعب بن زهير- لابي سعد بن الحسن السكرى - طبعة دار الكتب  
والوثائق القومية – مصر 2002/1423م
- (121) شرح شعر زهير بن أبى سلمى تحقيق د/ فخر الدين قباوة - طبعة بيروت  
د.ت
- (122) شروح التلخيص-ط دار السرور –بيروت .د.ت.



- (123) شروح سقط الزند تحقيق د/ طه حسين- وآخرون- طبعة المجلس الأعلى للثقافة ط الثالثة مصورة عن نسخة دار الكتب 1945/1394
- (124) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه د/ يحيى الجبورى- ط مؤسسة الرسالة بيروت طبعة ثانية 1981/1401
- (125) صحيح البخارى -طدار الفكر - استنبول- د.ت.
- (126) طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحى- تحقيق الشيخ محمود محمد شاكر- طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة د.ت
- (127) عبقرية محمد الأستاذ / عباس محمود العقاد -طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة د.ت.
- (128) علم البيان د/ رفعت السوداني- طبعة الأمانة 1991/1411
- (129) علم المعانى د/ صباح دراز- طبعة التركى طنطا 1996
- (130) عيار الشعر لابن طباطبا العلوى تحقيق د/ محمد زغول سلام -طبعة منشأة المعارف الإسكندرية 1980
- (131) فن التشبيه د/ أمينه سليم -طبعة الدار المصرية- الإسكندرية د.ت
- (132) فن التشبيه د/ على الجندى- طبعة الأنجلو المصرية طبعة ثانية 1966/1386
- (132) فى البلاغة القرآنية -أسرار الفصل والوصل .أ.د صباح دراز -طبعة الأمانة القاهرة 1986/1406
- (133) فى رحاب البيان العربى دراسة بلاغية تحليلية أ.د/ صباح دراز أ.د/ أحمد سعد ناجى - طبعة 2003/1424
- (134) فى ظلال القرآن الأستاذ / سيد قطب -طبعة دار الشروق طبعة 25- 1417  
- 1996



- (135) قبسات من بلاغة المعانى د/ عبد الحليم محمد شادى - طبعة الأمانة القاهرة -  
طبعة أولى 1989/1409
- (136) قراءة فى الأدب القديم د/ محمد محمد أبو موسى- طبعة وهبه 1998/1419
- (137) قيم جديدة للأدب العربى د/ عائشة عبد الرحمن- طبعة دار المعرفة 1961
- (138) كعب بن مالك حياته وشعره د/ عبد المنعم أحمد يونس- طبعة الأمانة-القاهرة  
طبعة أولى 1986/1406
- (139) كنز العمال ، 3 / 576 ، المتقى الهندي ، ت / بكر حياتي وصفوت السقاط  
مؤسسة الرسالة بيروت
- (140) لسان العرب- لأبى الفضل جمال الدين بن محمد مكرم بن منظور- طبعة دار  
صادر بيروت طبعة أولى 2000
- (141) مباحث فى وجوه تحسين الكلام أ.د / رفعت السودانى - طبعة الأمانة طبعة  
أولى 1991/1411
- (142) محاضرات فى علم البيان د/ ربيعى عبد الخالق - طبعة التركى طنطا 2000
- (143) مختار الصحاح /محمد بن عبد القادر الرازى - ط -دار الحديث- ط  
أولى 2000 م.
- (144) مختصر الرحيق المختوم/ صفى الدين المباركفورى -طبعة رحمة للنشر  
والتوزيع الإسكندرية مصر طبعة أولى .د.ت.
- (145) مداخل إلى علم الجمال الأدبى د/ عبد المنعم تليمه- طبعة دار الثقافة مصر  
1982
- (146) مستتبعات التراكيب د/ عبد الغنى بركة- طبعة دار الطباعة المحمدية -طبعة  
أولى 1981/1409
- (147) معالم على طريق النقد القديم د/ رجاء جبر- طبعة مكتبة الشباب- القاهرة  
د.ت



(148) معانى القرآن للفرّاء - تحقيق / أحمد نجاتى وآخرون - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب د.ت

(149) معاهد التنصيص / تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - طبعة عالم الكتب بيروت .د.ت

(150) مغازى رسول الله - للواقدي أبو عبد الله محمد - طبعة السعادة - مصر 1367

(151) معنى اللبّيت عن كتب الأعراب / لابن هشام الأنصارى - تحقيق د/ مازن

المبارك طبعة دار الفكر بيروت طبعة أولى 1992/1412

(152) مفتاح العلوم- للسكاكى- طبعة دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى 1987

(153) ملامح النقد الأدبى بين القديم والحديث د/ عبد الرحمن عبد الحميد على -

طبعة مكتبة الجامعات 1980/1400

(154) من أساليب القرآن المجاز العقلى د/ عبد الرازق محمد فضل - طبعة التركى

طنطا 1997

(155) من أسرار حروف الجر فى القرآن الكريم د/ محمد الأمين الخضرى - طبعة

مكتبة وهبه طبعة أولى 1993/1414

(156) من النصوص الجاهلية د/ رزق محمد داود- طبعة دار الأزهر للطباعة ط 2000

(157) من بلاغة القرآن د/ أحمد بدوى- طبعة القاهرة 1955

مناهج تجديد الأدب/ الأستاذ- أمين الخولى - طبعة دار المعرفة القاهرة طبعة أولى

1960

(158) نقد الشعر - قدامة بن جعفر - تحقيق- كمال مصطفى - طبعة الخانجى القاهرة

د.ت

(159) نكت الهميان فى نكت العميان - صلاح الدين بن خليل- طبعة مصر 1911

(160) نهاية الأرب فى فنون الأدب - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى-

طبعة دار الكتب المصرية 1924

(161) التصوير البياني فى معلقات العرب-د/ عبد الحليم محمد شادى- رسالة

دكتوراه كلية اللغة العربية بالزقازيق

(162) الشباب والشيب فى شعر ابن الرومى د/وليد حموده -رسالة ماجستير كلية

اللغة العربية إيتاى البارود

(163) الصورة التشبيهية وبلاغتها فى شعر كشاجم الرملى – عبد الحميد محمود

الشاذلى- رسالة ماجستير كلية اللغة العربية إيتاى البارود

الدوريات

(164) جريدة الأهرام عدد 2003/3/29 م

## فهرس الموضوعات

247

الصفحة	الموضوع
--------	---------





أ-ى	المقدمة
1	التمهيد
2	أثر الإسلام فحياة العرب الاجتماعية والسياسية
3	أثر الإسلام في حياة العرب الدينية والثقافية
5	موقف الإسلام من الشعر
11	أثر الإسلام في الشعر
18	مصطلح شعراء الرسول
19	التعريف بشعراء الرسول
20	حسان بن ثابت
23	كعب بن مالك
26	عبد الله بن رواحة
29	مفهوم الصورة
34	وقفه مع تعريف علم البيان
	<b>الفصل الأول</b>
43	التصوير البياني وبلاغته في شعر المدح
44	مقدمة عن المدح
46	أولاً: تصوير نور النبي
51	ثانياً: مدحه بالهداية
56	ثالثاً: مدح المؤمنين
	<b>الفصل الثاني</b>
64	التصوير البياني وبلاغته في شعر الهجاء: مقدمة
65	أولاً: الهجاء بالسفاهة والجهل
70	ثانياً: الهجاء بالكفر والغدر
75	ثالثاً: الهجاء بالحقد والغيب
79	رابعا: الهجاء بضعة الأصل
82	خامساً: الهجاء باللوم
	<b>الفصل الثالث</b>
85	التصوير البياني وبلاغته في شعر الوصف مقدمة
86	أولاً: وصف أدوات القتال
87	(1) وصف الخيل
91	(2) وصف السيوف
95	(3) وصف الدروع
98	(4) وصف الرماح
104	ثانياً: وصف المعركة
108	(1) وصف المعركة وفرار الأعداء
	(2) وصف شدة القتال وتصوير الموت
الصفحة	<b>الموضوع</b> 248

112	(3) وصف الحرب وشجاعة المسلمين فيها
115	(4) وصف الحرب وتشبيهها بالنافة
118	ثالثا : وصف الموت وبيان حقيقة الحياة
120	رابعا : وصف الأرق
120	(1) وصف الأرق بسبب الحزن
124	(2) وصف الأرق بسبب الخوف
126	خامسا : وصف الجروح
128	سادسا : وصف الكتيبة الإسلامية
130	سابعا : وصف جموع المشركين وتشبيههم بموج البحر
133	ثامنا : وصف جموع المشركين وتشبيههم بحراء
135	تاسعا : وصف هداية الرسالة الإسلامية
138	عاشرا : وصف قوة الهجاء وأثره
	<b>الفصل الرابع</b>
141	التصوير البياني وبلاغته في شعر الفخر - مقدمة
142	(1) الفخر بالمجد في الجاهلية والإسلام
145	(2) الفخر بالقوة والخبرة
152	(3) الفخر بالشهادة
154	(4) الفخر باتباع الإسلام
	<b>الفصل الخامس</b>
158	التصوير البياني وبلاغته في شعر الرثاء - مقدمة
159	(1) رثاء الرسول ﷺ
163	(2) رثاء حمزة رضي الله عنه
165	(3) رثاء عثمان رضا الله عنه
	<b>الفصل السادس</b>
169	الخصائص الفنية للتصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ
178	(1) الخصائص الفنية للتشبيه
181	(2) الخصائص الفنية للاستعارة
183	(3) الخصائص الفنية للمجاز المرسل
	(4) الخصائص الفنية للكناية
187	الفصل السابع- موازنات
187	(1) تصوير الأرق والليل
196	(2) تصوير الدروع
202	(3) تصوير الحرب
207	(4) تصوير التوازن النفسى فى الحروب
	(5) تصوير سيلان الدماء من الجروح
الصفحة	249 <b>الموضوع</b>



225	الخاتمة
226	التوصيات
	الفهارس
230	فهرس الآيات القرآنية
232	فهرس الأحاديث النبوية
233	فهرس الأشعار
235	فهرس المراجع والمصادر
248	فهرس الموضوعات

